

معاقون وليسوا عاجزين

عمرنا والبيبي



ذآ الففكز
ومشق، سؤوبة



ذآ الففكز المآآآر
أسؤوبآ - كؤسآآ

المكآبة الآكآرؤفة

أطفآل الخلف ذؤب الآآنآآآة الآصآة

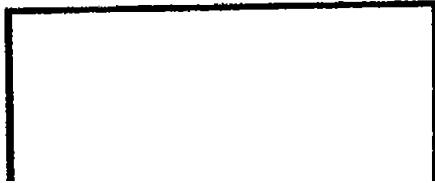
www.gulfkids.com

الأستاذ عدنان السبيعي

- ولد في دمشق عام ١٩٢٥م.
- أتم دراسته الجامعية بامتياز في قسم الفلسفة بجامعة الملك فؤاد ١٩٤٨م.
- عمل مدرساً في دور المعلمين بسورية، ومحاضراً في جامعة دمشق.
- أعير إلى جامعة الرياض لتدريس الفلسفة وعلم النفس ١٩٦٤-١٩٦٨م.
- انتخب عضواً في المنظمة العالمية (اليونيسكو) في دمشق والقاهرة.
- له مؤلفات عديدة بلغ عددها أكثر من (٢٠) مؤلفاً في مختلف المجالات التربوية والصحية والبيئية والنفسية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معاقون
وليسوا عاجزين



معاقون و ليسوا عاجزين / عدنان السبيعي .-
دمشق : دار الفكر ، ٢٠٠٠ . - ٢٨٨ ص
٢٠ سم .

١- ١٥٥,٤ س بي م ٢- العنوان ٣- السبيعي
مكتبة الأسد

ع: ٢٠٠٠ / ٦ / ١١١٥

عدنان السبيعي

معاقون وليسوا عاجزين

دار الفكر المتاحر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية



الرقم الاصطلاحي : ١٣٧٧, ٠٣١
الرقم الدولي : ISBN: 1-57547-795-5
الرقم الموضوعي : ١٥٠
الموضوع : علم النفس
العنوان : معاقون وليسوا عاجزين
التأليف : عدنان سبيعي
الصف التصويري : دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي : المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات : ٢٨٨ ص
قياس الصفحة : ٢٠ × ١٤ سم
عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي
والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية

فاكس ٢٢٣٩٧١٦

هاتف ٢٢١١١٦٦، ٢٢٣٩٧١٧

<http://www.fikr.com/>

E-mail: info @fikr.com



الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤٢١ هـ

حزيران (يونيو) ٢٠٠٠ م

المحتوى

٥	المحتوى
٧	المقدمة
١١	معاقون وليسوا عاجزين
١٣	بين الإعاقة والعجز
١٩	عودة قصيرة إلى الوراء
٢٢	الشعور بالنقص
٢٣	تغيير نظرة المصاب إلى نفسه
٣١	مع أسرة المعاق
٤٦	التأهيل المهني للمعاقين
٥٧	الطفل السليم يفجؤه المرض
٥٩	المصاعب النفسية
٧٤	تهيئة الطفل لدخول المستشفى
٨٢	ظهور الغاية
٨٥	النقاهاة والجو الأسري
- ٩٣	نفسية الطفل الكفيف
٩٥	تمهيد
٩٧	إعجاز أم عجز
١٠١	أقسام المكفوفين
١٠٦	وظائف الحس البديل
١٠٩	الكفيف في أسرته
١١٤	وقفة مع هيلين كيلر
١١٩	حول مبادئ التعامل مع الكفيف
١٢٣	تجربة فذة لمضاعفة القدرة الإنتاجية للمكفوفين

١٢٩	نفسية الطفل الأصم
١٣١	نفسية الطفل الأصم
١٣٤	أسباب الصمم
١٥٢	العيوب اللفظية
١٧٣	نفسية الطفل المقعد
١٧٥	شلل الأطفال
١٨٨	شخصية المقعد
٢٠١	الصحة النفسية لضعاف العقول
٢٠٣	الطفل المتخلف عقلياً
٢٠٦	ليسوا كلهم سواء
٢٠٨	الكشف والتشخيص
٢١٠	المظهر الحسن
٢٢٧	كونوا منطقيين
٢٣٤	مدرسة في البيت
٢٤٢	القراءة والكتابة
٢٤٩	الطفل المشكل
٢٥١	تمهيد
٢٥٢	معنى الطفل المشكل
٢٦٢	الطفل الوحيد
٢٧٢	إعاقة التخريب
٢٨٨	المراجع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والتسليم على معلمنا سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.
وبعد فقد كان الناس إذا رأوا كفيفاً لا يبصر أو مقعداً لا يمشي أو أبكم لا ينطق تألموا لهم، ونفضوا أيديهم منهم، ويثسوا من حالتهم وعدّوهم من العاجزين...

كان العجز فيما مضى إهانة لا نظير لها، تجعل العاجز يحيا في أدنى العيش، ويضطر إلى قبول الإهانة والرضى بمصيبته. كان العجز يتضمن اعتبار المصاب تافهاً عديم القيمة يائساً من نفسه ومن الحياة كلها، مقهوراً لا مستقبل له.

أدت عوامل كثيرة في عصر ما بعد الحرب العالمية الأولى من هذا القرن إلى تبدل رئيسي وتغير شامل في النظر إلى هذه الفئات من البشر. أهم هذه العوامل يقظة الوجدان الإنساني عند المؤمنين، وتقدم دراسات العلوم الإنسانية ونضج علوم الأمراض، بالإضافة إلى تقدم علم النفس والطب النفسي والصحة النفسية.

وقد لاحظ العلماء المتخصصون ملاحظات هامة قلبت وجهات النظر في مواجهة العجز والعاجزين أهمها ما يأتي:

١ - لاحظوا أن الذين كانوا يُسمون بالعاجزين ليسوا سواء بل هم على درجات وأصناف، فليس جميع من لا يسمع متساوياً مع غيره من الصم في درجة الصمم. ولا المقعد يساوي المقعدين في الأذية... إلخ.
٢ - لاحظوا أن هناك إمكانيات يملكها بعض العاجزين للتحسن والشفاء دون غيرهم بدرجات.

٣ - أدت الأبحاث النفسية والمرضية إلى التخلي عن فكرة العجز وتبني فكرة الإعاقة، وأكد المختصون أن الفارق بين العجز والإعاقة ليس مجرد فارق لغوي أو لفظي، وإنما هو فارق جوهري في مواجهة الموضوع.

٤ - قامت فكرة الإعاقة على دراسة كل مصابٍ على حدة وتحديد درجة إصابته وتقدير مدى تفتح واستعداده للتعاون مع الجهود الآيلة إلى عونه وإنقاذه.

٥ - إذا اعتبرنا العجز مصيبة شاملة تصيب شخصية العاجز، فإن الإعاقة إصابة في جانب من جوانب حياة المصاب.

٦ - وإذا كانت المصيبة تدور حول محور الخسارة المهلكة للإنسان، فإن الإعاقة تدور حول ما بقي سليماً بعيداً عن الإصابة. ويتيح الفرص من أجل التفتح النفسي والنجاة من الشقاء، والسعي في طلب التعويض.

٧ - قامت فكرة التعويض على تدريب المعاق كي ينمي الأمور السليمة في تكوينه، ومضى هذا التدريب يستهدف تأهيل المعاق كي يتقن عملاً من الأعمال يُدرُّ عليه نصيباً من المال يجعله يعول نفسه في المستقبل ويثق بذاته، ويفرجُ همومه، ويفتح أبواب الطمأنينة والراحة لروحه، ويؤدي به كل ذلك إلى أن يعد نفسه مسؤولاً عن نفسه، لا تقل مسؤوليته - إن لم تزد - عن الذين يتولونه ويُعنون به.

٨ - وعلى هذا فإن ثمة روابط كبيرة وعلاقات وشيخه بين ما عُرف ببرامج الإعاقة وما عُرف بالصحة النفسية. وبذلك تغدو القضية: «كيف السبيل إلى أن يجي للمعاق في ظل الصحة النفسية إلى أقصى الدرجات؟...» .

مفهوم الإعاقة في حضارتنا

عالج الإسلام مشكلة الضعف الإنساني معالجةً مخلصمة وذكية، قوامها الإحسان والإبداع وشرف المواجهة، بهدف راب صدوع الحياة، وتكميل نواقص الإنسان الذي أكرمه الله وأحسن منزلته.

فها هو سبحانه يعاتب رسوله الكريم ﷺ، لتجنبه الرجل الأعمى للحظات في مجال الفكر والتبليغ فيقول: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه بُرِّئَ﴾ [عبس: ١/٨٠-٣] .

ولم يفرق سبحانه في الحقوق والواجبات والتكليف بين المعاق وغيره إلا في بعض الأمور الجسدية، ومع ذلك طمأنهم، مينا لهم حكمهم في ذلك: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [الفتح: ١٧/٤٨].
 في ضوء هذه الآيات الكريمة وغيرها توصل العلماء المسلمون إلى ضرورة معالجة النقص والضعف في الإنسان فكان لهم السبق في هذا المضمار. وبيان ذلك ما يأتي:

- ١ - كان أفلاطون (على الرغم من مكانته الفكرية) يرى أن العناية يجب أن تُوفّر للسليمين ذوي الأجسام القوية والعقول البالغة.
- ٢ - كان نيتشه فيلسوف القوة يرى أن الحياة للأقوياء، وأن المرضى (بما فيهم المعاقون) وكل الذين فقدوا قواهم وآمالهم، لا شأن لهم بعالم الأرض. فالبقاء والحياة للأقوى.
- ٣ - كان الأوروبيون في العصور الوسطى يحرقون الكثيرين من المرضى وهم أحياء، ولا يسمحون لضعاف العقول بدخول المشافي.
 وفي مقابل ذلك كان المسلمون ينشعون المشافي الجسدية والنفسية، ويعالجون بنجاح الكثيرين.
- بنى الوليد بن عبد الملك أول مشفى على الأرض لمعالجة المجذومين وذلك في العام (٨٨ هـ) الموافق (٧٠٧ م).
- ذكر ابن عساكر المؤرخ أن الوليد بن عبد الملك خصص لكل مقعدٍ خادماً يخدمه، ومنح كل كفيف إنساناً يقوده ويطعمه.
- جعل المسلمون في كل مشفى متخصص بالأعراض الجسمية قسماً خاصاً بالأمراض والانحرافات النفسية، وقد ارتقى الطب عندهم إلى حيث ظلت كتب ابن سينا معتمدة في كليات الطب بإنكلترا وفرنسا حتى القرن الثامن عشر.
- تعلم الصليبيون من المسلمين بناء المشافي ونقلوا ذلك على غرار ما شاهدوه في الشام ومصر.

وكتنا قد أشرنا في كتابنا الصحة النفسية للجنين^(*) أن الصحة النفسية تكون بشروط :

- توافق الوظائف الجسدية والنفسية.
- مقاومة الصعوبات ومعوقات النمو.
- الإحساس بالعافية .

إننا نرى أن برامج الإعاقة إذا استنارت بهذه الشروط، فإنها ترتقي إلى أسمى ما يرتقى منها فتفضي إلى :

- ١ - إشعار المعاق أنه مسؤول عن نفسه كإنسان له المكانة والاعتبار.
- ٢ - إشعار المعاق بأنّ ثمة من يرعاه بالعلم الصحيح والعطف النبيل.
- ٣ - نجاح المعاق بإتقان ما يحسنه وصياغة ما يقوم به صياغة تشعر بالظفر والأمان.

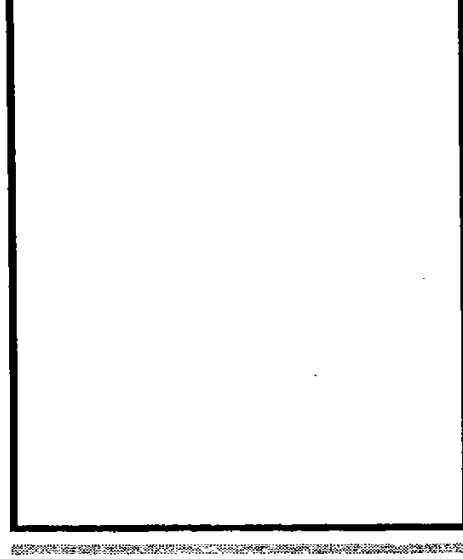
وطبيعي أن الاكتفاء بإنشاء مؤسسات الإعاقة وبناء ما بينى لهم من ملاجئ، ورصد ما يرصد لهم من المخصصات الآيلة إلى إيوائهم وتغذيتهم، نقول هنا الاكتفاء بهذه الأعمال لا يعني شيئاً ما لم تستثمر عند العاملين في الإعاقة ويُعدون خير الإعداد.

وقد استلهمنا هذا كله فعقدنا الفصول الآتية في كتابنا هذا الطفل الذي طال مرضه - الطفل الكفيف - الأصم الأبكم - المقعد - الأطفال ضعاف العقول.

ونرجو من الله العليّ القدير أن يجد هذا الكتيب ما يثير اهتمام العاملين في مجال الإعاقة ويساعدهم على متابعة أعمالهم على هدىً وبصيرة وكفاية وإتقان إنه سميع مجيب قريب.

عدنان السبيعي

(*) الحلقة الأولى من سلسلة الصحة النفسية نشر دار الفكر عام ١٩٩٧. صفحة (٢٣).



معاقون
وليسوا عاجزين

معاقون وليسوا عاجزين

بين الإعاقة والعجز

كان الإنسان الذي يُصاب ببصره أو سمعه أو شلل في رجله أو قدميه يسمى (عاجزاً).

وكانت فكرة العجز فكرة قديمة ومحزنة لكل الناس فوق أنها معطّلة تسمم الشخصية، وتلحق العار بصاحبها العاجز، وقد يمتد العار إلى ذويه، فيضطر العاجز إلى الانزواء والبعد عن الناس.

إن فكرة العجز لاكتنفي بوصف الواقع السيئ بل هي تحكم عليه وتدينه، فتوحي أن هذا الواقع الشاذ لا يمكن تغييره أو تبديله أو الإقلال من بشاعته، وتؤكد أن العجز يمتد بكل مساوئه إلى الأيام المقبلة، وأنه يلقي بظلاله السوداء على العاجز وأهله؛ إنه يأكل ولا يعمل ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: ٧٦/١٦].

إن العجز يجعل من الإنسان العاجز إنساناً على الهامش، ضعيفاً مهاناً يعيش بلا أمل، قد سُدَّتْ منافذ الرجاء في وجهه وأصبح من الأجدى له أن يتوارى ويستسلم لعجزه، وألاً يحاول أية محاولة، مادام قد ثبت عجزه، واتضح نقصه، وتأكد أنه لا يصلح حتى لخدمة نفسه، فضلاً عن خدمة الآخرين.

إن العجز فكرة جبرية متشائمة وهي تتعارض مع المنطق السليم، كما تتعارض مع كرامة الإنسان.

وأتفق أن تقدّم علم النفس تقدماً كبيراً بين الحربين العالميتين فتبين أن كل إنسان مصاب في ناحية أو أكثر أو أنه مستعد للإصابة، وأن الإنسان الكامل ليس إلا أسطورة.

وتبين أيضاً أن الناس يتفاوتون ويختلفون في إمكاناتهم وقدراتهم العقلية والفعلية، فهذا ضعيف البصر وذاك أضعف، وهذا محدود السمع وذاك لا يسمع.

وأتفق أيضاً أن علم الأمراض قدّ نما وأصاب تقدماً كبيراً في شفاء الناس وإبلاهم، فعاد الأمل إلى كثيرين اعتبروا مرضى ميؤوساً منهم، حيث كثر عدد الذين شُفوا أو تحسنت أحوالهم. فشعر الجميع في شتى المجتمعات أن السلامة والنجاة من الأمراض والعاهات أمر ممكن، وشاع بين الناس إمكان تحسين صحة الناس وقدراتهم. فانتقل هذا الكلام إلى المعنيين بشؤون العجز والعاجزين، فاستبدلوا بديلاً عن العجز بفكرة الإصابة المعوّقة وأخذوا يستعملون كلمة الإعاقة والمعوقين.

وظاهر وواضح أن الإعاقة أقرب إلى الأمل وأكثر إشراقاً للمصابين من العجز ومبعثاً للرجاء والشفاء أو التحسن للمعاق ومن يُعنى به.

وهكذا عرفت المجتمعات أن الإعاقة تختلف عن العجز اختلاف
النور عن النار واختلاف الأمل عن اليأس.

وهانحن نبين الآن الفوارق التي أظهرها العلماء بين العجز والإعاقة.

تحليل معنى العجز

١- إذا ظهرت الإصابة لدى إنسان في جانب من جسمه أو
عقله فتحوّلت ((الإصابة)) إلى ((مصيبة)) ثم عمّت المصيبة سائر
جوانب الحياة عند صاحبها، فأفقدته شجاعته وثقته بنفسه فهو عاجز.

٢- فأدى ذلك إلى أن يعتزل المصاب عن الناس ويتفوق على ذاته.

٣- وإذا سعى ذووه للنظر في أمره وتقديم العون له لم يجدوا إلا

اليأس..

فلا ينظرون إلا إلى المهام والأعمال التي ((لا يصلح لها))
((ويعجز عن أدائها)) فالأعمى لا يوظّف في الدولة ولو كان ذكياً
وموهوباً، والمصاب بالشلل النصفى محكوم عليه أن يظلّ قعيد
البيت مهما كان عقله وكانت قدرات يديه.. وضعيف العقل
لا يُزوَّج أياً كانت أسرته.

٤- وهكذا فالعاجز يعرّوه اضطراب انفعالي، ثم يحس بأنه
محكوم عليه بالأعمال التي لا يحاول أي شيء. إنه كائن
مستهلك ومُهْلِك ومبْعَس ومْتَعِب.

٥- وهكذا حُكِمَ على العاجز ((بالإعدام المهني)).

٦- فتكالت المجتمعات مستنكرةً على العاجز ومضت تزيد من قبح الإصابة فتجمع كل المكفوفين أو المقعدين في فئة قبيحة تسميها فئة المكفوفين أو المقعدين.. إلخ.

إذا وُلِدَ أحد الأطفال مصاباً بالصمم أو أتاه الصمم بعد ولادته لأحد الأسباب، فإن الناس لا ينظرون إلى هذا الطفل كمصاب في سمعه فقط بل بوصفه ((أحد المتخلفين)) أو واحداً من جماعة الصُّم.

وهكذا يدفعون الأصم الفاقد للسمع إلى عدم الاعتماد على نفسه، أو تقدير ذاته أو الثقة بها، فيحيا بعيداً عن الاعتبار الاجتماعي والكرامة الإنسانية ولايتاح له اللحاق بمهنة من المهن: أرأيت أنّ الإعاقة العضوية تصبح إعاقة اجتماعية؟؟..

أما الناحية الممتازة التي حصلها تقدم علم النفس فهي كبيرة بحملها فيما يأتي:

١- يقول الباحث النفسي: يمكننا بل يجب علينا أن نقطع الطريق وتدخل بين الضعف الجسدي والعجز فنمنع الضعف عن أن يتحول إلى عجز.

أو نمنع الإصابة من أن تتحول إلى مصيبة.

٢- وأصبح التوجُّه محصوراً في التفتيش عن النواحي الأخرى التي لم تصبها الإصابة. وبتعبير آخر أصبحنا نفتش عما يستطيعه المصاب لا إلى ما لا يستطيعه.

٣- راح المختصون بالخدمة الاجتماعية يهتمون بقضية ما يستطيعه كل معوق إلى أقصى الدرجات الممكنة من قدرات وطاقات وأعمال.

٤- ويُدرّب المعاق على الأعمال والمهن التي تتناسب مع استطاعته.

٥- فيتاح له أن يكسب رزقه، ويعتمد على نفسه، ويريح نفسه من لومها، ويمارس بدلاً من هذا احترامه لذاته ويتهجد بإنتاجه قلّ أو أكثر.

٦- وتُثار في كل معاق همته من أجل أن ينقذ نفسه ويرغب صادقاً بالنهوض من ((عثاره))، يراجع نفسه ويعمل على البدء من جديد على الدوام.

٧- ويطرح جانباً مخاوفه من المجتمع، ويستبدل بها رغباته بأن ينشئ - وسط المجتمع - كيانه الذاتي المتحرر.

٨- ويخضع لمراقبة تحدد مدى الإنقاذ الذاتي عنده ونوع التحسن. وقد تبين في إثر ظهور برامج العون الاجتماعي، أن المعاقين ليسوا متساوين، بل ينقسمون إلى فئات:

- فئة ترى أن الإعاقة شيء مُذل مهما تكن الظروف.

- فئة ترى أن الإعاقة شيء يدعو إلى التبصر والتنبه.

- فئة ترى أن الإعاقة شيء يدفع إلى التعويض.

وإذا درسنا أنواع التعويض عند المعاقين رأيناها يقوم على أنواع ودرجات: فهناك معوّق يسلك سبيل الانتقام من السليمين، وهناك معوق يطمح إلى ارتقاء سلّم المجد فيقتحم باب التفوق، وهذا الأخير لا يرغب بأن يحصل فقط ما فاته بسبب الإعاقة، بل يرغب بأن يحصله أضعافاً مضاعفة، ولسان حاله يقول:

((صحيح أنا كفيف، ولكنني أملك حساسية خاصة تفوق حساسيات الآخرين، إن بوسعي أن أصبح شاعراً فيجعلني الشعر في مصاف كبار الشعراء، وبوسعي أن أصبح متصوفاً فيجعلني التصوف أرتقي وأرتقي إلى مصاف كبار السالكين)).

وتأمل أنت إنساناً كهذا فتقول: ((إن من الناس أناساً تفيدهم المصائب وتكشف عن جوهرهم الخفي)).*

إن الواحد من هؤلاء يفرض على الناس الاحترام والتقدير، منذ أن يشرع فيتعهد نفسه وينمي استطاعته فيبدو وكأنه أفضل من السليمين بل يغدو نموذجاً من النماذج البشرية التي تؤتسى على الرغم من انحرافه وإصابته.

* طبعاً لا أحد يتمنى أو يسعى لحصول إصابة أو مصيبة، لكن المهم أن المصيبة إذا جاءت لم تخرج صاحبها عن السواء الاجتماعي ولم تمنعه عن احترام نفسه لنفسه، ولسان حاله يقول: ((كل قوة في الأرض - إلا التي تسحقني - تزيدني قوة، وأستطيع أن أستخدمها)).

عودة قصيرة إلى الوراء

فكرة المصاب عن نفسه

كل فرد منا يكون صورة ذهنية عن حالته الجسدية سواء كان سليماً معافى، بديناً أو نحيفاً، قوياً أو ضعيفاً، ولهذا الصورة أهمية كبرى في تكوين شخصيته، إذ على أساسها يكون فكرته عن نفسه، ويكون سلوكه متأثراً بها.

وهناك بعض الأفراد ممن يعطون أهمية خاصة لنواحٍ جسمية خاصة كالطول أو القصر، فمثلاً الفرد الذي يرغب في الالتحاق بالكلية العسكرية يهتم ببلوغ طول معين، والفرد الذي يرغب في عبور المانش يهتم بأن يزيد وزنه ويحيط جسمه بطبقة من الشحم، والفتاة التي تهتم برشاقتها تحزن لو زاد وزنها بضعة غرامات.. وهكذا.

وتتأثر الصورة الذهنية بنوع العمل الذي يقوم به الشخص كما تتلون بثقافته الخاصة، وهي تتكون منذ أوائل الطفولة حين يستطيع الطفل - وهو ما يزال في دار الحضانة - أن يدرك أنه شخص مستقل عن غيره، ويستطيع أن يفعل بعض مايفعله غيره، ولايستطيع أن يفعل بعضه الآخر. ثم إن هذه الصورة ليست ثابتة

بل تتحول مع الأيام، وأياً كان الحال فإن الصورة الذهنية لكل فرد تظل متأثرة بما تحصل للفرد وما جرى معه وما كان عليه.
فما علاقة هذا كله بالإعاقة والمعاقين؟..

سنرى فيما بعد أن هناك عمليات لإنقاذ المعاقين نسميها بالتأهيل للحياة النافعة، وسنرى أنه ينبغي على كل مختص بالتأهيل أن يتذكر قبل كل شيء وفي كل حالة يواجهها أنه أمام شخص له: ماضٍ وتاريخ طويل لا يمكن تجاهله في الحاضر، وعليه أن يؤثر تأثيراً كبيراً في تلك الصورة الذهنية (التي تعدلت مراراً خلال سنوات طويلة، ويمكنها أن تتعدل بعد الآن).

الإصابات: حين تقع إصابة ما فإن المشكلة ليست مشكلة حادثة باص تسبب عنها بتر ذراع أو ساق، وهي ليست فقط مشكلة عمل ومحاولة الحصول على عمل آخر. وإنما هي مجموعة من المشاكل لعل أهمها جميعاً فكرة المصاب والصورة التي كونها عن نفسه وعلاقته بالآخرين، عن آلامه وصدمته وآماله، وعن نخله وكبرياته... إلخ.

والجدير بالذكر أن شدة الانفعالات الناتجة عن الإصابة لا تتناسب مع شدة الإصابة تلك. هناك من يصور الحادث أكبر من اللازم فيصاب بالذعر لإصابة بسيطة. وهناك من يصور الحادث أقل من الطبيعي فلا يهتم إلا قليلاً بما أصابه، وهو يواجه الموقف بصبر وشجاعة.

ولهذا يجب أن تكون نظرة المعالج مشبعة بالتفهم أكثر من مجرد العطف. وهو حين يُواجه واحداً من المعاقين أو مُحدثي الإعاقة إنما يكون في الواقع إزاء مهمتين أساسيتين:

أولاهما: أنه يجب أن يكيف المعاق نفسه حسب عاهته القديمة أو المحدثه.

ثانيهما: أن عليه أن يعدل في نفسه صورته الذهنية، ويدخل في علاقة مع من يتعامل معهم من زوجة وأهل وأولاد وأصدقاء وزملاء العمل. إن الإصابة ترد المصاب إلى نفسه، وإذن فإن عليه أن يتحرر بالتدريج من نفسه.

وفي أثناء عملية تعديل الصورة الذهنية، تُثار في ذهن المصاب حوادث وذكريات ومواقف متعددة ومآسٍ كبتت في اللاشعور أزماناً طويلة، وتكون النتيجة الطبيعية في كثير من الحالات أن يتصف سلوك الشخص بما يطلق عليه علماء النفس ((بالنكوص))، أي إنه يقوم ببعض التصرفات المشابهة لتصرفات الطفولة وكأنه بذلك يرجع إلى الوراء، وهكذا يُوصى المختصون بأن يتقبلوا من المصاب بعض أنواع السلوك الطفلي بشيء من العطف والتفهم وذلك ريثما يصل إلى الاستقرار، وإلى أن يتمكن شيئاً بعد شيء من مساعدة نفسه بنفسه، ويتقبل مساعدة الآخرين.

الشعور بالنقص

ولا يعمل الفرد أو يسبب لنفسه الشعور بالنقص وهو وحيد فقط، بل يساهم الآخرون في المجتمع بتأكيد هذا الشعور في معظم الحالات، وتلك هي المصيبة، إنهم يفترضون أن المصاب (أو الذي أصيب) مجدداً شخص أقل قيمة منهم، لا من الناحية التي فقدتها فقط بل من باقي النواحي من حياته، فتتناول النظرة شخصاً بأكمله. ولا يتورع بعضهم من إظهار هذا الشعور بقوة وإشعار المصاب بأنه شخص ناقص أو دون، وأنه يجب عليه أن يخجل من حالته وينزوي عن الناس. فيعاملونه معاملة شاذة، إنهم لا يشجعونه مثلاً على ركوب المواصلات العامة لئلا يتأذى الناس بمنظره. ولا يحق له زيارة المتنزّهات العامة أو التردد على بعض التجمعات كالحفلات والمسارح.. إلخ. إنهم يعاملونه كما يعامل الأمريكي الأبيض الزنوج أو النغرو، حيث يلزمونهم الإحساس بالإهانة، والشعور بأنهم أقل* من البيض وأدنى فلا يقربون من الحفلات والاجتماعات ولا ينزلون في بعض (الفنادق) الفخمة. المشكل هو أن المسكين صاحب العاهة له بطبيعة الحال حاجاته النفسية، وأبرزها وأهمها حاجته إلى تقدير الناس له رغم الظروف التي خرجت عن إرادته وتسببت عنها الإصابة، ومن مصلحته أن يتم تقديرهم لما عنده من قدرات (غير إصابته) تلك التي لم تُمس بسوء ويمكن تنميتها ورصدها وتوجيهها، فأين نجد هؤلاء الناس، وأين نجد من يحسن النظر؟ ((تلك هي القضية This is the problem)).

* أدرك الإسلام هذه الناحية فأقر أن لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

تغيير نظرة المصاب إلى نفسه

إن معالجة المعاقين يجب أن تعتمد على طريقة اللعب بعاطفة اعتبار الذات عند المعاق، أي التأثير في هذه العاطفة وإثارتها.

ويتبين ذلك إذا وفق المعاق إلى إنسان يساعده على تغيير النظرة المهينة عن نفسه، وعلى المختص أن يشرح للمعاق أن كثيراً من المعوقات موجودة لدى جميع الناس، فليس كل الناس موسيقيين، وليسوا جميعاً من السباحين المهرة، ومعظم الناس يعجزون عن تأليف قصيدة من الشعر أو حتى بيت واحد، فهل يُلام هؤلاء إذا أحسوا بعجزهم فأدركوا قصورهم عن الأداء الموسيقي أو السباحة لمسافات طويلة أو عن قرض الشعر؟

الاعتماد على الآخرين

وهنا يتوجب علينا أن نواجه نقطة هامة مفادها أن تثوثق العلاقة بين المختص والمعاق، فإذا تثوثقت وتوطدت استطاع المعاق أن يرتاح إلى مايفعله ويقوله المختص، وشعر أنه الملجأ وأنه المنجد وعنده حسن المأوى.

وفي كثير من الأحيان يتعذر توطد العلاقة المذكورة، وذلك حين يستعصي المعاق فلايقبل بمساعدة أحد. إنها صعوبة بلاشك، والمختصون يشعرون بهذه الصعوبة فيستخدمون كل طريقة لكي

يظهروا بمظهر المعين والأخ الناصح، وإذا تم ذلك وكسبوا الاستماع إلى مايقوله المعاق وتمكنوا من المحاورة والحديث معه؛ فإن توقعات تعديل الأمور تبدأ بالظهور.

إذن يتوجب على المختص أن يصغي إلى جميع شكايات المعاق والقيام بخدمته ومساعدته ليتحقق من توطيد العلاقة معه... وتقوم هنا محاولات طويلة، وأخذ وردّ ومحاولّة تكرّر بالتمنع عن تقبل المساعدة ويحس المختصون بأنها عقبات حمة تظهر، إلى أن يبدأ المعاق يتقبل عاهته ويسعى لرأب الصدع، ولدى تقبله العاهة يتنفس الصعداء ويحس بارتياح كبير لتخليصه من ذلك الكابوس فيمضي إلى التعويض ثم الانتصار!!

التعويض - الانتصار

لا يصل المعاق إلى النجاح في مشكلة ويتمكن من التعويض حتى يدرك نفسه ويعرفها حق المعرفة. إن عبارة ((اعرف نفسك)) رغم قدمها فإنها ماتزال تحتفظ بالأهمية، وهي رأس كل حكمة، أو كل برنامج حكيم يهدف إلى معالجة الإعاقة على اختلاف أنواعها.

إن برنامجاً كهذا يجب أن يتم في وقت مبكر ما أمكن، وأن يشرف عليه مختصون يؤمنون بعملهم ويدركون مدى الفوائد التي

ستتحقق حين ينشلون معاقاً من إعاقته، ويعيدون بناء شخصيته فالأمر يتطلب الصبر الكثير والتشبث من أجل إحراز النجاح.

تقبل العجز

إن معرفة المعاق حالته يجب أن توصله إلى أن يتقبل حالته ويرضى رضى تاماً بالذي قسم له. وكثيراً ما يكون تقبل الرضى مطبوعاً بطواع متنوعة؛ منها التهيّب من المجهول والحذر من الناس والخوف من أن يكون مرفوضاً لديهم، أو أن يُعد ناقصاً بالقياس إليهم. وإن حذره هذا يجعله حساساً متأبياً يرفض أن يعامل معاملة خاصة، وكثيراً ما يحس بغضاضة إذا قدمت له معونة خاصة علناً كأن يفتح أحدهم الباب للكفيف، أو يُظهر آخر حرصاً شديداً لمعرفة إصابته وادعاء مساعدته.

الخلاصة: إن المعاق إجمالاً متوقع ولا أحد يستطيع أن ينفعه قبل أن يخرج من قوقعته وشعوره بالنقص والتفرد، ولا يتأتى ذلك إلا بعد تعديل الآخرين نظرتهم إليه، وظهور المختصين بالإعاقة في الوقت المناسب من أجل بسط الثقة، ثم دمج المعاق في نشاط جماعي مع أمثاله تارة ومع الأسوياء تارة أخرى. وذلك إلى أن تسود الألفة بين المعاق وبين هؤلاء جميعاً. فلنعلم ولنذكر جيداً

((أن الآخرين هم الذين يصنعون الذات)).

هذه عبارة صحيحة عند الأسوياء والمعاقين إن تمكن المعاق من الاندماج في أوساط الآخرين، يساعده مساعدة قيمة في سبيل أن

يعرف نفسه ويصل إلى تقبُّل ذاته وتقبُّل إعاقته، وعلى الآخرين أن يساعده كي يطرد الشعور بالنقص وسوء الحظ والإهانة ويتحرر نهائياً من حسده للأسوياء ومقارنة ذاته بهم.

محاولات في التستر*

يضطر المعاق أحياناً إلى إخفاء شيء أو أكثر من نواحي عجزه كي يبدو في أعين الناس سليماً كغيره. وهو من أجل ذلك يبذل جهوداً فائقة كي يظهر إنساناً عادياً، وقد يغالي في التخفي ليبدو أحسن أو أفضل من السليم وأوفر نشاطاً وحيوية. وقد يلجأ إلى النسيان المؤقت أو إلى النسيان الدائم للعاهة، أما النسيان المؤقت فليس عديم الفائدة، لأن فيه راحة لإنسان فقد الراحة. وأما النسيان الدائم فهو أمر شاق (رغم أن المعاق يرغب به). قال معاق: ((إن أفضل شيء أعمله هو أن أنسى حالتي تماماً، ولكن كيف يتأتى لي ذلك وكل من يقابلني يذكرني بها أو يسأل عنها)).

* من الطبيعي أن نقول: إن إخفاء المعاق عاهته يؤدي به إلى الكبت والإضرار بنفسه وذلك بسبب تعوده على السلبية والإخفاء، فلنذكر هنا قانون رافيسون في موضوع العادة حيث يقول: ((إن العادة تزيد سلبية الإنسان في كل ما هو سلبى، وتزيد إيجابية في كل ما هو إيجابى)). والمعاق يعتاد أحياناً الظهور بمظاهر الإيجابية الكاذبة في حين أنه يحافظ على السلبية المكبوتة ويتشبه بها.

المواجهة الإيجابية

إن إحداث التغيير في نفسية المعاق يقتضي مساعدته كي يعيش في عالمه الواقعي وأن يفكر ضمن عالمه تفكيراً إيجابياً مثمراً. وأن يواجه مشكلة ساعياً إلى تحسين أحواله بكافة الطرق. فإذا توفرت أجهزة صناعية أو أطراف صناعية للمُععد، أو توفرت سماعات وأدوات تقوية للسمع، فعليه أن يتقبل استعمالها دون أدنى تردد.

حساسية المفرطة

أولاً- الذي يحدث عادة هو أن المعاق يعطي أهمية كبيرة للعضو الذي فقده فتصبح الحياة كلها لاتساوي شيئاً في نظره. فكل عمل يعمله يتعبه ولايحتمله سواء كان لهذا العمل ارتباط بالعضو المصاب أم لم يكن، ولحسن الحظ فإن هذه الحالة - كما يلاحظ علماء النفس - لاتطول كثيراً ويفلح معظم المعاقين في التغلب عليها.

ثانياً- إن ضعف الطفل المعاق واختلافه عن غيره يجعل الأم تمنح صوب التدليل وبذل العطف الزائد، والتدليل يقوم على منح الحماية للصغير أكثر مما يتطلبه النمو الطبيعي السليم، وقد أثبتت الدراسة النفسية أن منح الحماية المفرطة يؤدي إلى نتائج سيئة، تماثل منع الحماية وإبدالها بالشدّة والقسوة المفرطة.

فالتدليل تضليل وهو يفسد الطفل ويجعله متواكلاً عسيراً شديد التطلب يصعب تفاهمه مع الناس، ويجعل عواطفه وميوله متركزة

حول ذاته ويظل يتمنى أن يظل في المستقبل مركز الاهتمام مثلما كان مع أمه وفي بيته.

ثالثاً- وينتج عن التدليل سلوك التعلق من جانب الطفل نحو أمه فيغدو مع الأيام مثل حيوان صغير متعب ومنغص.

وتصبح الأم في هذه الأوضاع سيئة لاتطاق إذا أصيب طفلها.

- فمن جهة هي تتألم لإصابة طفلها.

- ومن جهة أخرى قد تشعر بالذنب؛ لأنها سبب مجيئه إلى

الحياة وسبب شقائه.

- وتتعاظم حساسيتها المفرطة مع الأيام فيحتد سلوكها وكثيراً

ماتنتهي حياتها الزوجية بالفراق والطلاق*.

- وحين يبدي الآخرون الشفقة نحو الطفل المعاق تتضاعف

آلام الأم فتصاب مع أسرتها (بالإعاقة الاجتماعية).

الانتصار

أما كيف يمكن التغلب الحاسم على الحالة الصعبة فإن علم النفس حتى يومنا هذا عاجز عن تحديده لكافة المعاقين، وربما كان الذي يحدث هو أن المعاق يبدأ يدرك بنوع من الإشراق النفسي

* تشير الإحصاءات في فرنسا إلى أن نسب الطلاق ترتفع من (٦٪ إلى ٢٠٪) في الأسر التي فيها أطفال معاقون، وذلك لأنهم غير مؤمنين بالله ولا يعرفون الصبر الجميل وتسليم الأمر إلى الله والتعاون على مواجهة ما أمر الله به.

أن الحياة واسعة وثرية وأن فيها أموراً أخرى غير الألم والعذاب، فبعد أن يصاب باليأس التام ويعتمد على الانسحاب يشرع برسم خطة ما، ومن خلال هذه الخطة يدرك المعاق عظمة الحياة التي خلقها الله والتي يمكن أن يفارقها من غير أي فائدة إذا ظل يتنكر لنفسه، وإذا بالأمل المشرق (وهو دوماً من طبيعة دينية) يتفتح بقوة، زاهياً مزدهراً يضيء جنبات نفسه ومن الأعماق.

أرأيت الليل كيف ينجلي بظهور تباشير الصباح؟ هكذا يتفتح شعور المعاق فيمتلئ بالرضى، ويتقبل كل الصعوبات، فكأنه بعد أن شقي وعانى صاعداً نحو قمة الألم يتوقف عند القمة، فيستريح هناك وفي حالته هذه يشرع بالعناية من جديد بإمكان استرجاع كل شيء ويبدأ يذكر - بنوع من الإشراق الصوفي - إنعام الله عليه، ويتعجب من نفسه كيف كان لا يرى ذلك؟ قال كفيف: ((إن جسمه فيما عدا الإعاقة سليم كله، ويتمتع بيدين قويتين وقدمين سليمتين، وحين اطلع على مصائب الآخرين هانت عليه مصيبته وأخذ يقتنع أن الراحة والطمأنينة والسكون إلى المخلصين من الأقرباء والأصدقاء والمعالجين هذه الطمأنينة تجعل الأمور مقبولة في دنيا تظل ناقصة...)).

لقد تبين أن الحياة حافلة وثرية وأنها تستحق أن تُحيا رغم كل

شيء.

ويضيف الكفيف:

((لقد تغيرت الأمور في نظري، فما كنت أعده فظيماً لا يُحتمل ظهرت لي تفاهته، وما كنت أظنه معيماً غير موجود تبين لي أنه عظيم وافر الأهمية، وأضحك من نفسي كيف كنت لأفكر بنفسي ولا أفكر إطلاقاً بسعة الحياة)).

((لقد أصبحت أدرك أن الكثيرين ممن يسمون أسوياء يقيمون حياة مسكينة فهم يُعنون أشد العناية بالطعام والشراب والمتع، ويدمرون صحتهم وعافيتهم من أجل رزق قد لا ينتفعون منه، إنهم يقيمون كالبهائم أو بمستوى أدنى، وإنني الآن أشعر أن لاقيمة للحياة إن لم أعمل، وإلا فما فائدة عودتي إلى الإحساس بنعم الله وعودة الأمل إليّ، ولا بد لي بعد الآن من أن أتمتع بما خلقه الخالق ولا بد لي من العمل والنزهة والتأمل والصلاة والسرور والضحك بكل ما يسعني)).

وهكذا نرى أن لاشيء يكون ذا قيمة بغير الأمل بالله.

مع أسرة المعاق

إن حديثنا عن تأهيل المعاق لمهنة ما وعن الحياة الرشيدة له، يجب أن يُسبق بحديث هادئ مع أسرة المعاق، وذلك لأسباب كثيرة منها: أن أقوى المؤثرات التي تحرك الأطفال وتحرضهم وتطبعهم بطابع حاسم إنما تنشأ في البيت، ويصدق هذا الكلام على الأطفال المعاقين صدقه على السليمين.

إن أهمية البيت بما فيه الأم والأب والأخوة والحياة الأسرية ترجع إلى أن ذكريات الطفولة تظل هي الأكثر ألفة وعمقاً في نفسيات الصغار، ويذكرنا هذا بالأسى الذي يتكون عند أحد المربين حين يكتشف أن أسرة الطفل الفلاني قد أفسدته أو ألفت به في أتون الانحراف. وأن الجهود التي تبذل من أجل إصلاحه كان يمكن أن تقل أو تُختصر لو لم تكن الأسرة قد دفعته فأجأته إلى السلوك غير السوي.

هذا شيء وشيء آخر أن كلامنا مع الأسرة ضروري كل الضرورة حين تنعدم أو لا توجد المؤسسات الاجتماعية المكلفة بدراسة المعاقين وتوجيههم، أو حين تكون الأسرة فقيرة أو معدمة بحيث تعجز عن إدخال ولدها المعاق في معهد متخصص يفيده وينجو به من متاعب الإعاقة وأوزارها، عندها سيكون من الطبيعي جداً أن تقوم الأسرة وحدها بالعناية بطفلها المعاق

فتخفف الكثير من مساوئ حياته، وقد تنجح في تقديم خدمات نفسية وتأهيلية لإعادة تربيته ودخمه بالحياة الناجحة.

أيها الأب وأيتها الأم أود أن أتحدث معكم حديث العقل والمعرفة لاحديث الميل والعاطفة، إنني متأكد من عواطفكم نحو طفلكم المعاق. فهذه العواطف تشتق من صميم الفطرة والغريزة، وهي ليست من صنعكم ولا يد لكم فيها، لكن الشيء الهام الذي أود ذكره هنا هو أن عواطفكم بذاتها، يمكن أن تكون من بعض عوامل الأذية والتراجع للطفل المعاق... نعم ويجب ألا يجزئكم قولنا هذا.

طبعاً أنتم لا تريدون الأذى لولدكم، فأنتم تعلمون أنه نال في حياته من الأذى فوق ما يجب، وأنتم يستحيل عليكم أن تفكروا أو تسعوا لأذيته، ولكن البحث العلمي (الذي قد لا يرحم أحياناً) يؤكد أنكم من غير شعور ودونما إرادة أو تصميم تسمحون للأذى أن يجري على أيديكم فكيف يتم ذلك؟..

يتم بطريقة تسمى في علم النفس (بالإسقاط) فمثلاً قد يتضايق والد موسيقي لامع لطفل أصم من أن ولده لا يستمع ولا يستمتع بالموسيقا فهو يظن أن ولده شقي لأنه محروم من السماع، إنه يُسقط على ولده مشاعره الخاصة وهو لا يدري أن الولد يستمتع بالرسم والألوان أكثر مما يستمتع أبوه بالموسيقى.

ولاشك أن الطفل العاجز الموجه توجيهاً صحيحاً يمكنه أن يحصل على الإشباع عن طريق التعويض لما قد يلوح للأسوياء أنه تافه.

وهناك نوع آخر من إيذاء النفس يفرضه معظم آباء المعاقين على أنفسهم وهو سؤال يطرحونه على أنفسهم ((ماذا فعلت في دنياي وماذا جنيت حتى يصبح طفلي كذلك؟)).

وعندما تكون العاهة قد حصلت نتيجة حادث أو مرض، يميل تفكير الوالدة إلى اتجاهات منها ((هل أهملت لدرجة جعلته عرضة للإصابة؟)). ومنها ((لو كنت لم أسمح له بالخروج منفرداً؟)) و((ليتني لم أذهب لرؤية والدتي في ذلك اليوم)). .. ونقول في الإجابة عن هذه الأسئلة: ((هل ترون أنه واجب على الأسرة أن تحجز أطفالها داخل حجرات موصدة ذات نوافذ حديدية؟))... ولنفرض أنه تحقق ذلك فقد ينزلق الطفل داخل بيته فتتكسر ساقه فهل من الصواب أن يلوم الأب (أو الأم) نفسه في هذه الحالة؟

وعندما تكون العاهة خلقية تعيق الوالدين لمسألة الوراثة، قد يقولون: ((كان من الأفضل عدم إنجابنا أطفالاً منحرفين)) وهكذا، وقد يلوم أحد الوالدين شريكه الآخر على سوء حظهما، لكن العادة أن يكون كل منهما قاسياً على نفسه إذا كان مهذباً.

وفيما يتعلق بأمر الوراثة، فإن لكل منا ملايين من الخلايا تسهم بالوراثة، ولو كنا على معرفة بكل ما يتعلق بالوراثة (وهذا

مستحيل لحسن الحظ) فإن القليل منا سوف يجرؤ على إنجاب أي طفل.

ثم إن الأم الحصيفة تعلم أن الأمور ليست كلها تحت يدها حتى تتجنب لوم نفسها، ويكفيها أن تضع نفسها تحت رعاية طبيب تؤمن بكفاءته وتدع الأمور بعد ذلك إلى الله. على أن الطبيب نفسه لا يكون مسؤولاً عن ولادة طفل بعاهة.

حتى المهارة الفائقة والحذر والحيلة الشديدتان في أرقى المراكز الطبية لا تمنع من ولادة أطفال ناقصين جسدياً أو عقلياً، وإذن فلا مجال إلى لوم الذات ولا لوم الطبيب.

وعلينا أن نعلم أن كل طفل يتخذ والده قدوة له، فإذا اعتبر الوالد عجز ولده كارثة مدلهمة بحيث تصبح الحياة لاقيمة لها، فإن ولده سيتبنى وجهة نظر أبيه، وإذا اعتبر الوالد عجز ولده بؤرة للاهتمام في حياته وحياة أبيه فإن الولد سيستغل حالته ليصبح وسيلة لاستدرار العطف والاستبداد به حالياً، وبغيره في المستقبل.

وبالمقابل إذا وضع الوالد عجز ولده في وضعه الصحيح وعده كشيء من القدر، فإن ولده سيفعل مثله، وستراه يتقبل وضعه بهدوء.

وبالاختصار الشديد فإن راحة كل طفل وصحته تتعلق براحة أبيه وصحته النفسية.

هذا ويحتاج الطفل لكي يصنع أمانه النفسي إلى تعاون الوالدين معاً، فكل طفل يحتاج لأن يكون له أب وأم وأن يحس بشعور الاتحاد بين الإنسانين اللذين يجبهما أكثر من غيرهما.

ويحتاج الطفل المصاب إلى ذلك أكثر مما يحتاج إليه الطفل السوي، وعندما تكون الأم وحدها هي المسؤولة عن صحة طفل مصاب، فإن الموقف يبدو كئيباً، وعندها سيفقد الطفل دور الرجال الذي يعد هاماً في حياة الطفل العادي، فما بالك بأهمية الرجال في حياة الطفل المصاب، ذلك أن الأم تضجر وتشعر بالإرهاك من طول صحبتها لولدٍ أعمى أو أصم وصرف الاهتمام له وحده. وهذا يجعلها مع الأيام تقصّر في خدمات البيت وتحرم زوجها من كثير من الضروريات وعندها سيظهر الشجار بين الوالدين. وقد ينتهي بهما الأمر إلى الفراق والطلاق، وتلك هي الطامة الكبرى لإنسانة تفقد وهي في أشد الحاجة إلى معين، تفقد مع سوء سلامة ولدها سلامة حياتها الزوجية.

إذا شارك الرجل في حمل المسؤولية متعاوناً مع الأم؛ فإن من شأن هذا أن يوطد العلاقة الزوجية بدلاً من إضعافها وتصبح الحالة الوطيدة بين الأبوين مدعاة لراحة الطفل المصاب وطمأنته.

ثم إن هؤلاء الآباء الذين يشاركون في المسؤولية يفيدون أنفسهم كما يفيدون ولدهم وزوجاتهم عن طريق المساهمة في

الأعمال العادية اليومية مثل إلباس الأطفال وإطعامهم وتدريبهم
والعابهم.

وهكذا ينمو الآباء حين يشاركون الأمهات بطريقة لا يمكن أن
تتيسر في حال ابتعادهم، إنها الطريقة الإيجابية المجدية للجميع،
وبذلك يتعرف الآباء الحدود الطبيعية لأولادهم فتتم مجابهة الموقف
بأسلوب إيجابي دون قلق أو آمال كاذبة لا يمكن تحقيقها مما يساعد
الجميع على تقبل الواقع.

وحين يتعاون الأبوان مع أمثالهما من آباء الأطفال المصابين فإن
الجميع سوف يكتسبون بصيرة خاصة حين يجد كل أبوين ما يفعله
الآخرون، وسيتعاونون على مجابهة المواقف المتماثلة، فحين ترفض
المدارس العامة قبول الأطفال المصابين سيجد آباء كل أسرة الطرق
إلى حل الإشكالات، مثل فتح صفوف خاصة أو تكوين أندية
تتولى بالتعاون مع الأسرة شؤون المعالجة والمواجهة، أو تكوين
مجلات خاصة للآباء والأمهات، وحين تنجح الأمور وتؤدي اللقاءات
أكلها سوف يتكون في الخارج رأي عام مشجع وتسري في البلد
روح إيجابية فعالة، سرعان ما تنتقل آثارها، فيتحقق من ذلك النشاط
مبدأ (يد الله مع الجماعة).

أيها الأبوان: كثيراً ما يتمنى كلٌّ منكما أن يكون هو وليس
طفله المعاق ضعيف السمع أو فاقد البصر أو مقعداً... ويشعر كل

منكما أن ما يصيب طفلكما يؤلمكما لدرجة كبيرة قد يصعب التحدث عنها. إن أي أم من الأمهات يهتز كيانه وترتعش إذا بكى طفلها السليم بكاء ألم أصابه ذات لحظة، فما بال الأم التي ولدت طفلاً مصاباً بسمعه أو بصره إصابة مستمرة؟.. إننا نحب أن يكون أطفالنا مثل سائر الأطفال، وأن يتميزوا عليهم في بعض الأمور، ولهذا يملؤنا الحزن وتستولي علينا الحسرة إذا اكتشفنا أن ولدنا مصاب في قلبه أو عينيه.. إلخ. إن هذا النقص يجعله فريداً بل أدنى من جميع الأطفال، ويجعلنا نخشى بوجهٍ خاص على مستقبله.

هذا ويُلاحظ أن الأم تتحمل أكثر من الأب مجيء طفل معاق، فهي تصبر بمرونة أكبر ورجاء أوسع. ومعروف أن صبر الأب الخلق المؤمن بالله وقدره يتضاعف بمرات كثيرة صبر الأب الملحد المتحرج*.

وهكذا فإن أسرة المعاق تحتاج إلى معونة من أجل تحريرها من الأزمات العاطفية التي تنتابها، وذلك قبل تنفيذ أي برنامج في تأهيل المعاق، وتقوم هذه المعونة على توجيه نظر الأم كي تتقبل الوضع. وهي تتقبل الوضع حين (ترضى بقدر الله) و(تتعرف إلى ما يحتاجه ولدها) والرضى بالقدر أمر لا بد منه وإلا أصيبت الأم

* راجع كتاب Notre enfant at nous (طفلنا ونحن) بالفرنسية للمؤلف Odège المقدمة.

بالإحباط وتضاعف ألمها دون أن تقدر على شيء، ولم يكن منها إلا الشكوى والأنين. أما ما يحتاجه طفلها فهو ما يحتاجه كل طفل.

وقد درس علماء النفس حاجات الأطفال فلخصوها بما يأتي:

حاجات الطفل

أهمها: الحاجة إلى التقدير، وإلى الانتماء، والنجاح، والأمن، والتعويض بالنسبة إلى المعاقين.

١- الحاجة إلى التقدير تُشبع عندما يتثبت الصغير أن له مكانة واعتباراً وأنه معزز مكرم كلما أتى عملاً من الأعمال.

٢- أما الحاجة إلى الانتماء فتُشبع إذا أحس الطفل أنه يعيش في وسط اجتماعي محترم كالأسرة.

٣- الحاجة إلى النجاح وتُشبع حين يفلح الصغير بأداء عمل معين يحقق له الرضى ولدويه التقدير. إن طفلاً متخلفاً في عقله يعجز عن إحراز تقدم مثل الآخرين لكنه يسعد ويتهيج إذا نال رضى أمه حين قام بتجفيف الصحون أو سقي النباتات في الحديقة.

٤- الحاجة إلى الأمن وتُشبع حين يقتنع الطفل بأن ظلماً لا يُوقع عليه. والأمن نتاج التقدير والانتماء والنجاح في آن واحد مع الأمان.

٥- الحاجة إلى التعويض ويُشبع حين يُوفق المعاق إلى القيام بعمل أو أعمال ذات فائدة له، مثال: إن طفلاً أعرج لا يستطيع طبعاً أن ينال درجةً في السباق لكنه يستطيع أن ينافس زملاءه في الرسم أو الغناء... إلخ.

وقد تحدثنا سابقاً عن التعويض وأشرنا إليه من أجل إحراز الانتصار.

ونقول الآن: إن النجاح في الحياة ليس مجرد كسب، وإنما هو في تحويل الخسارة إلى كسب. والطفل المعاق إذا قوبل بمقابلةٍ إيجابية وأتيحت له الفرص الملائمة ليتجاوز محنته، فإنه يتحرر من القلق على وضعه فينشط ويوجه اهتمامه نحو ما هو إيجابي.

لقد كان (بيرون) أعرج وآله ولاشك وعيه بأنه أعرج، ولعله قد خشي الناس ذات يوم وابتعد عنهم، ولكن الصدفة السعيدة أتاحت له أن يستمع إلى شعر عذب فيتذوقه بعمق فيزيد من مطالعة الشعر ويؤخذ ويشده بانتظام الكلمات وجمال القوافي... فإذا به يقول الشعر ثم لا يكتفي بذلك بل يقدم أشعاراً لانظير لها، فيلفت الأنظار إليه وكأنه يود أن يقول للناس: أنا أعرج هذا حق؟ ولكن ألا ترون أنكم كسيحون ومقعدون أمام أشعاري.

وقد يسأل أحدهم فيقول: لماذا لا يصوغ الشعر العظيم كل أعرج؟ فنجيب هذا السائل بقولنا: ليس العرج هذا الذي يصنع

الشعر العظيم وإنما استجابة الأعرج لعرجه، وتنبّه حساسيته الراقدة وتفتح إمكانياته، فهذه كلها يثيرها ويجرضها العرج فتستيقظ قدراته الشعرية الكامنة واستعداداته الدفينة، فتؤتي أكلها يانعة. وبهذا المثال ندرك معنى القول.

ليس النجاح مجرد ربح وإنما النجاح بتحويل الخسارة إلى ربح.

توهم تعاسة المعاقين

هنا أب أعظم متعته، اللعب بكرة القدم، إلا أن ولده المقعد لا يستطيع اللعب بالكرة فيترأى للأب ويظن أن ابنه في تعاسة بالغة؛ لأنه يعجز عن الجري في الملاعب ودحرجة الكرة كما يفعل هو، والحق أن لكل إنسان هواياته الخاصة وبالتالي أفراحه الخاصة، فإذا كنت أيها الأب تحب كرة القدم وتكره حرمانك منها، فإن لابنك أسلوباً خاصاً فيما يحب ويكره وأنت لاتدري فربما كان ابنك المقعد سعيداً أكثر منك بموسيقاه وأقلامه الملونة، وبأقاصيص جدته... إلخ.

المهم أن الصغار لايتلبسون أفراحنا وأحزاننا وإنما لهم منطقهم الخاص وأسلوبهم المستقل في الفرح والترح.

أيها الأب إذا قنعت بما نقول ووجدت الطمأنينة في نفسك، فإن من شأن هذه الطمأنينة أن تنتقل إلى ولدك المعاق، فيحس بها.

عودة الأبوين إلى الاستمتاع

إذا سمعنا أمّاً تقول: ((ياإلهي ماذا صنعت حتى ابتليت بابنة كهذه)) أو أباً أفعم قلبه بالأسى فراح يقول: ((ليتة يموت فالموت أرحم له ولي)).

نقول لهذين الأبوين وأمثالهما: ((إنكما مُتعبان ومهمومان ومتوتران. أما تعلمان أن أفضل شيء لإزالة التوتر أو تخفيفه هو أن تستعيدا النشاط والفعالية اللذين خسرتماهما بسبب ولدكما)).

أيها الأبوان، عودا إلى حياتكما السابقة، عودا إلى المطالعة ومشاهدة الناس وزيارة المعارض وحضور المباريات والمحاضرات والنزهات... إلخ.

أيها الأب، نعيد عليك مذكراه سابقاً فنقول من جديد:

- إذا اعتبرت عجز ولدك كارثة كبيرة فإن ولدك يمتص اعتبارك هذا فتكبر عليه مصيبتة.

- وإذا رحمت تقارنه بالآخرين، فإنك تضاعف من حزنك ولن يفيدك الحزن إذا تضاعف وسينتقل إلى طفلك مضاعفاً.

- حاول أن تعناد توجيه البسمات له والتزفق به ومعاملته بالتي هي أحسن.

أما إذا وضعتَ حالته في المكان الصحيح، وهو أنه معاق لاعاجز، ثم قبلتَ وضعه دون أن تضطرب قيمك أو يتزعزع

إيمانك بقدر الله، فسوف تكون لك المثوبة على الصبر: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥/٧٠]، وسترى أن صبرك يدني ولدك من الهدوء فيصنع أفراحه الخاصة، وسينعكس هذا على عمليات الإنقاذ والتأهيل.

كلمة أخيرة مع الأبوين

يعلّمنا الدين القويم وتعلّمنا الأخلاق الرضية أن أفضل طريقة نساعد بها أنفسنا هي أن نساعد غيرنا. فإذا شرع الأبوان ونجحوا في تقديم خدمات للآخرين الذين يماثلون وضع ولدهم، ونجحوا في إقامة نادٍ للترفيه عن المعاقين وخدمتهم، فإنهما لا يحرزان التقدم في مجال حياتهما الخاصة وحسب وإنما في كسب رضاء الله وخدمة الناس.

علاقة المعاق بإخوانه وأخواته

حين يكون المعاق الولد الأكبر (البكر) في الأسرة فإن الألم الناشئ يكون عميقاً ومخيباً لآمال أسرة فتخشى أن يأتي سائر مواليدها معاقين، ولهذا السبب ينقطع الآباء عن الإنجاب لئلا تتفاقم الأذية فيظل الطفل المعاق وحيد أسرته ويعيش بلا إخوة ولا أخوات.

وحين يكون الطفل المعاق أصغر إخوته فإن الأسرة تجنح إلى جعله الولد المدلل المفسود.

وأما حين يكون المعاق ثاني إخوته، فإن موقف الأسرة يظل متماسكاً بشكل أفضل، لقد أنجبت الأسرة ولداً سليماً ثم أتى المعاق فلاضير على الأبوين لو سمحوا بمجيء طفل ثالث يُرجح أنه سليم، وهكذا يبذل هؤلاء الآباء عنايتهم بالطفل المعاق وحده بنصيب يكافئ نصيب إخوته السليمين. ويظل موقفهم أكثر ثباتاً وأميل إلى الاتزان.

والموقف المعقول والبناء يقوم على بذل أقصى الجهد من أجل تأكيد النمو الاجتماعي والعقلي لجميع الإخوة في جوٍ من العاطفة الإيجابية العادلة، إن العدالة بين الجميع جديرة بأن تدعم مشاعر الإخوة كي يميل الأسوياء منهم إلى حماية أخيهم المعاق في المستقبل وكلما لزم الأمر.

المبدأ في تربية الطفل المعاق

لقد ذكرنا سابقاً أن العناية المفرطة بالمعاق تعادل في مساوئها إهماله، فكلا الموقفين يؤدي شخصيته.

ولنذكر الآن أن المعاق يعيش في وسط شبكة من العلاقات المعقدة والمتضاربة، فهو يحس أنه موضوع محبة وكره في آن واحد، إنهم يحبونه ولكنهم يتضايقون منه، وهكذا يلجأ إلى أحد موقفين أو كليهما، موقف الذي يتوارى وينسحب، وموقف من يفرض نفسه، ولتلا تقع الأسرة في حالات صعبة كهذه لا بد من إشراك المعاق بالجهود التي يقتضيها وضعه.

لابد أن يُدمج الطفل المعاق، بالجهود الرامية إلى تأهيله وإعادة تربيته، فالطفل المعتوه يجب أن تتركز طاقة الأسرة نحو دمجهِ بشروط طيبة في أمور النوم والنظافة والتغذية وذلك من أجل الوصول إلى قدر أكبر من استقلال شخصيته، وحالما يحين وقت إعادة تربيته ينبغي أن نتعاون وإياه في الجهود التي يطلب منه أن يحققها وسيرى المربون أن أكبر صعوبة تواجه الأسرة تتمثل في إيقاظ انتباهه وتركيزه، وفي توجيه اهتماماته وتنميتها.

ومن المفيد أن نعلم أن المعاق الصغير لا يشعر بإعاقته قبل السنة الثامنة أو العاشرة من عمره، ففي حدود هاتين السنتين تحدث الصدمة الحقيقية في نفسه، ولهذا يُوصى الأبوان أن يظلا يقظين خلال هاتين السنتين.

دور المدرسة

إن الأطفال الذين يعانون من ضعف عقلي بسيط، أو من ضعف سمعي محدود يستطيعون أن يداوموا في إحدى المدارس العامة. وفي المدرسة يجب الحذر من أمور هامة حيث إن رفاق الطفل المعاق يكونون أميل إلى الأذى والغلظة معه والسخرية والهزاء. وهكذا فإن كل تصرف محسوس غير سليم يمكن أن يفضي إلى عزلة المعاق وابتعاده.

و حين تقوم المعلمة بتخفيف المواد التي تعطى إلى المعاق أو تعديلها كي تناسبه فإنها تتمكن من أن يساعد نفسه وينمو في الصف، وفي كل الأحوال فإن من واجب الأسرة أن تظل يقظة وفي منتهى الحذر فتتنبه لنفسية ولدها وخاصة في الأيام الأولى، وعليها أن تلاحظ أولى الانفعالات التي يتعرض لها وتحذر من انجذابه صوب الألم والاستسلام والشعور بالاضطهاد. وعلى الأسرة أن تقوم بتفسير مواقف الأطفال تبعاً لرؤيته هو ومقاييسه.

وفي التعبير عن المشكلات العاطفية في الإبداع ينبغي أن تتضافر جهود الأسرة والمدرسة، فهذا أمر جوهري لامناس منه. وهناك مدارس تُبعد الأسرة عنها في المعالجة، فهذا موقف سيئ حيث يتصرف كل طرف تصرفاً خاصاً قد يضر المعاق ولا ينفعه.

وخلافاً لهذا يجب أن تستفيد المدرسة من ملاحظات الأبوين وتظل على صلة بهما. وهكذا فلنعلم أن الأعمال اليدوية أقرب إلى نفع المعاق من التوجيهات الكلامية، فالغناء والموسيقا والرسم كل هذا يساعد الطفل على التعبير عن إبداعه أفضل من الكلام، وعلى المدرسة في كل الأحوال أن تتجنب تكليف المعاق بما لا يطيقه.

التأهيل المهني للمعاقين

برامج التأهيل

إذا لوحظ أن المعاقين الجسديين يملكون ذكاءً طيباً وهمّة، فمن الجائز أن ينجحوا بيسر وسهولة في اتخاذ مهنة مناسبة قد تدر عليهم بعض الرزق وقد تفعل أكثر من ذلك.

ولا بد من أن يُحسب حساب التسويق لأعمال المعاقين ومنتوجاتهم.

المراحل

١- يقوم الطبيب العضوي متعاوناً مع الخبير النفسي بالكشف عن القدرات والإمكانات الجسدية والنفسية السليمة والمستعدة للعمل.

٢- تُعرض على المعاق الأعمال التي يتوسم بها المربون ويلاحظون مدى تعلق المعاق بكل عمل على حدة، ويشرعون باختيار عمل للمعاق وأخذ موافقته.

٣- تُعرض على الأسرة نتائج الدراسة الطبية والنفسية مقترنة باقتراحات الخبير المهني وترجيحاته، ويؤخذ رأي الأسرة في اصطفاء ما يُرجح له.

٤- ولا بد من ملاحظة أن تكون الترجيحات إيجابية ومتوافقة مع شخصية المعاق وفرديته وميوله.

ومن الضروري أن توضع المقترحات المهنية وتُحدد بعبارات دقيقة، ونقصد بالعبارات الدقيقة أن يكون كل شيء مقدرًا بالقياس.

مدة - وشدة - وتعداداً

فلو كان المقصود رفع الأثقال فلا يجوز أن يقال كلام عام غير محدد ومبهم مثل (قادر على رفع الأثقال بصورة مقبولة) بل الأصح أن يُقال: (إنه قادر على رفع كيلو غراماً واحداً لمدة خمس عشرة دقيقة ويحتاج لفترات راحة بين كل تدريب وآخر بقدر ثلاث دقائق مثلاً).

أما المهنة المقترحة فيجب أن تُجرب ويدرس وضع المعاق أثناء تأديتها من النواحي الآتية: (رضاه وموافقته للعمل) (موافقته وتكيفه مع نفسه) (ومع الآخرين) من الزملاء والمشرفين والأسرة، ويُقررُ بعد هذا العمل الأنسب حسب القاعدة ((كلُّ يوجه حسب قدراته لا حسب إعاقته)).

أندية للمعاقين

واضح أن تواصل المعاق بأمثاله من المعاقين أمر ضروري فهنا يتعاون ويتشارك كل فرد مع غيره فتزول مساوئ العزلة التي

فُرضت على المعاق ويُستبدل بها أفراحٌ وممارسةٌ للأنشطة الملائمة السارة، ويقوم برنامج خاص بالعلاج الجماعي على أساس ((إن من رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته)).

وطبعاً فإن أندية المعاقين يجب أن تُدار من قبل هيئات علمية ونفسية وأخلاقية ومؤمنة تتصل بأسر المعاقين وذويهم، كما يجب أن تقوم أنشطة النوادي برحلات ومشاهدات تلفزيونية وفيديوهات مناسبة وتتعدى كل هذا إلى القيام بحفلات ومسرحيات ومناسبات لتكريم المتفوقين والترفيه عنهم.

التوجيهات الجنسية للمراهقين

تعاني مثل هذه التوجيهات صعوبات منتظرة. إن الآباء الذين يرون أولادهم المعاقين قد كبروا وغدوا في سن البلوغ يحسبون الحسابات، وعلى هذه الحسابات أن تراعي النضج النفسي ومقدار اهتمام المعاق بأمور الجنس، ومن المفيد أن تستعين الأسرة بالطبيب والخبير المهني لتقرير إمكانية زواج ولدها.

وفيما يتعلق بهذا الزواج يجب التمييز بين معاق إعاقته بسيطة عن آخر إعاقته بالغة، وهنا ينبغي التثبت من عدم ارتباط الإعاقة بالوراثة، تحسباً من إنجاب أطفال معاقين، كما ينبغي أن يقدر الخبير المهني مقدار نجاحه في العمل. وطبيعي أن نقول: إن المعاق بدرجة بالغة لا يُنصح بزواجه ومضاعفة همومه بهموم تأتيه من

زوجة قد تسيء إليه ولا تحسن فهمه، وقد لا تتجاوب مع ضرورات وضعه الخاص وحياته المستقبلية.

طفلكم يهديكم السبيل

إياكم أن تظنوا أن من الواجب التقييد بحرفية ماذكرناه أو أشرنا إليه، فما أوردناه هنا ليس أكثر من إيجاءات وهو عبارة عن برنامج نموذجي يمكن الاقتباس منه زيادة أو نقصاً أو تعديلاً، وطاقاة الصغير هي التي ستهديكم إلى اتباع الطريق في انتقاء ما يجب أن تقدموه إليه بناء على ملاحظاتكم لما يستطيعه ولما لا يستطيع.

وإذا لاحظتم أن تقدم الصغير يسير ببطء فلا تستعجلوه، بل اجعلوا هدفكم أن تغتنموا الفرص المناسبة للطفل المتخلف كي يتعلم كل ما يستطيع تعلمه، ويجب أن تتوقعوا وجود اختلاف بين الأطفال في قدرتهم على التعلم والتقدم ووجود اختلاف في قدرة الطفل ذاته على أمور تقع في مادة ما أو مادة أخرى غيرها... وعلى أية حال إذا اكتشفتكم في الطفل مهارة ما أو استعداداً طيباً من الاستعدادات فعليكم أن تدخلوا من هذا الباب الذي يُفتح أمامكم وأن تستغلوا ذلك أفضل استغلال في سبيل تقدم الطفل، فإنه حتماً سيوصلكم إلى خير كثير ولعله يؤدي إلى إنقاذ طفل من الفشل المحتم. وما يُدريكم...

وكم من فتاة متخلفة يئس أهلها منها أولعت بأشغال الإبرة أو التطريز وصنعت أشياء ثمينة فائقة القيمة، وكم من فتى متخلف

غدا بستانياً أو نجاراً ماهراً أو حداداً ينفع نفسه ويفيد غيره، وكسهم سعداء أولئك الذين أحسن توجيههم وأهلوا للحياة الناجحة بواسطة العلم الحديث.

ورأينا أن تظلوا متفائلين غير مضطربين عندما تضطلعون بتربية طفل متخلف، فإنكم لابد أن تحققوا ظفراً ما، وحتى لو ظل الطفل بعيداً عن تعلم شيء يستحق العناء، فإنه على الأقل سيحيا مشغولاً بشغل نافع وسيظل سعيداً لأنه لم يعد كمية مهملة، وسترون أن جهودكم لا يمكن أن تضيع كلها.

وحينما يكبر المتخلفون

فإن أذواقهم وحاجاتهم العاطفية ستكون مماثلة لأذواق الأسوياء الكبار وحاجاتهم رغم أن عقليتهم تظل محدودة شبيهة بعقلية الأطفال.

وعليكم أن تفتشوا عما يهم الكبار المتخلفين، فالفتاة تُعنى بتسريحتها وملابسها وبالأفلام والأسطوانات وبأمور المنزل إلى حدٍ ما. استغلوا هذه الاهتمامات واطلبوا من الفتاة أن تحافظ على مظهرها وأن تساعدكم في تسريحها بنفسها وفي كي ثيابها والعناية بهيئتها وهندامها ومساعدة أمها في البيت وفي أشغال الإبرة. ومثل هذه الفتاة قادرة على أن تزور بعد الظهر إحدى قريباتها أو جاراتها فتساعدنها في العناية بالصغار، ويمكن لهذا

النشاط أن يفيد الفتاة كما يفيد صديقاتها، ويشبع فيها غريزة الحنان والأمومة عندها، حين تبذل عنايتها من أجل الصغار وتهبهم من ذات نفسها وتحذب عليهم وتبهم.

أما الفتى فإنه يجب أن يصنع أشياء بيديه، فيتعلم مهنة من المهن مثلاً وينمي مهاراته، ومن واجب الأسرة أن تفسح له الفرصة لينمو ويتقدم، فقد يكتسب صناعة الدُمي الخشبية بيديه أو يزرع شتولاً في الحديقة، أو يؤلف باقات من الورد، ويمكنه أن يصبح بستانياً أو جنّاناً أو بائع دهان... إلخ. وبوسعه أن يقدم خدمات زراعية في الحقل، أو أن يمرن جسمه على أنواع معينة تلائم من الرياضة، فيحرز بطولات في الكرة أو المصارعة أو العدو وما إلى ذلك...

وأنتم ستنالون جزاءكم مضاعفاً حينما ترونه في المستقبل وقد انخرط في مهنة أخذ يعمل فيها، وأنقذ نفسه فملاً حياته بالعمل وأسعد نفسه، وإذ ذاك تعودون إلى أنفسكم والبهجة تملأ أعطافكم فتنسون جهودكم الطويلة ومشاقكم في سبيل جعله إنساناً منتجاً سعيداً. وإليكم قائمة بالأعمال التي يمكن أن يقدمها فتى متخلف: شراء حاجات المنزل وإحضارها، المعاونة في غسل آنية المطبخ وتنشيفها، غسل الثياب وتنظيف البيت، نقل الماء والحطب، تنظيف النوافذ، صف حاجات المنزل وترتيبها، مساعدة

البستاني في الحديقة، تربية حيوان أهلي: (قطط، أرانب، بطات.. إلخ) ترتيب غرفة النوم، تنقية الحبوب والخضار.. إلخ.

الألعاب

دعوا الطفل المتخلف يلعب مع أطفال أسوياء ما أمكنكم واحرصوا على أن يكتسب منهم الألعاب والأناشيد والتمارين الرياضية، وفي أثناء ذلك يشرف على الصغير أخته الكبرى أو أخوه الأكبر، ولكن حاذروا أن تكلفوا هذا الأخ أو تلك الأخت تخصيص جميع أوقاتها من أجل رعاية الأخ المتخلف، ففي هذا التكليف مطلبٌ عسير وهو أمر لا يستقيم ولا يجوز بالنسبة إلى سائر الأطراف.

وفي البيت وخلال ساعات الشغل المدرسي، يمكنكم أن تقدموا للطفل ألعاباً بسيطة مصحوبة بالغناء والأناشيد، وتجدون الكثير من هذه الألعاب والأناشيد في محلات الطفولة وفي الكتب المخصصة للأطفال وبوسعكم أن تستفيدوا من المكتبة القريبة من منزلكم من أجل الحصول على لعبة جديدة تتعلمونها، أو قصة جديدة أو أنشودة طريفة حلوة.

العمل مع الجماعة:

من المؤكد أن أكبر عبء في تنشئة الطفل المتخلف يقع على الأم، فهي التي يعتمد عليها في تدريسه وفي فهمه وتوجيهه وإنقاذه

من التخلف، وذلك على الرغم من أن الأسرة كلها في العادة تضطرب لوجود مثل هذا الطفل، ونحن نرى أن بوسع الأسرة كلها أن تتقاسم هذه المسؤولية فلا تلقى على الأم وحدها، والمتوقع أن وجود الطفل المتخلف لا يصيب الأسرة بالقلق فقط بل يأتي على جانب كبير من دخلها، ولهذا فإنه يستحسن قبل صرف المبالغ الطائلة أن يُعرض الطفل على طبيب الأسرة فلعله يوصي بأخذ الصغير المتخلف إلى أحد مراكز الصحة العقلية، ولعله ينصح بإدخاله إلى معهد خاص، فهو في مثل هذا المعهد جدير بأن يلقي عناية الأطباء والمعلمات والمرضات وهي عناية مدروسة ومنظمة وعلمية، ويتيح له وسطاً نقياً موجَّهاً يساعد كفاياته الكامنة على أن تظهر وأن تنمو وتُؤتي أكلها فيعتاد العادات الحسنة، ويسلك السبيل القويم، ويتبع برنامجاً دراسياً منظماً يماثل البرامج المدرسية.

هذا وإننا نرى أنه لا يجوز أن تدور حياة الأسرة كلها حول الطفل المتخلف ويترك جانباً بل العكس نحن نرى أن يدمج الطفل المتخلف في نشاط الأسرة كلها في رحلاتها ونزهاتها، في التخييم وفي السير على الأقدام في البراري والجبال، وهكذا يحس الطفل المتخلف أنه ليس كمية مهملة أو أنه عبء على غيره، ويكسب جسمه الصحة وتتألق عافيته.

وبالمقابل فإننا نوصي هنا بالحذر فلا يُدمج الطفل المتخلف دمجاً كلياً ومستمراً في الجماعات المختلفة وذلك خشية أن يرى الطفل المتخلف نفسه محاطاً بأناس يجهلهم ولا يكاد يفهم فينكمش منهم.

إقامة نادٍ للأطفال:

ونحبذ إقامة نادٍ أو صف خاص لأمهات الأطفال المتخلفين وهو أمر يتيسر في المدن أكثر مما يتيسر في القرى، إن أحداً لا يستطيع أن يفهم أم طفل متخلف ويساعدها مثل أم أخرى ذات طفل متخلف أيضاً وسيتيح مثل هذا الطفل للأمهات المذكورات (اللواتي يصعب عليهن مفارقة المنزل) أن يخرجن ويجتمعن معاً لمناقشة أمور أولادهن، ولإمانع من تخصيص قاعة كبيرة يجتمع فيها الأطفال المتخلفون وأمهاتهم..

وفي هذا النادي تخصص للأمهات برامج محاضرات وأفلام وتدريبات ودراسات لحل المشكلات الخاصة بالتخلف والمتخلفين، كما يخصص فيه للصغار مجالات لتعليم القراءة والكتابة واللعب والمباراة والرحلات وما إلى ذلك.. وفيه أيضاً يأتي كل طفل بما صنعه أو أنتجه في بيته فيعرضه على الآخرين. ويمكن لهذا النادي أن يستعين بأحد الخبراء النفسيين أو الاجتماعيين المختصين في خدمة الفرد أو خدمة الجماعة. وفي هذا النادي تستطيع الأم (التي تحجل من ابنها وتتوارى عادة عن الأنظار) أن تجتمع مع زميلات وقعن في نفس الأزمة دون أي حجل، فتأخذ المشكلة مأخذاً واقعياً وتفتش عما عساها تصنع من أجل مساعدة ولدها بدلاً من الانطواء على نفسها والانكماش على مشكلتها. فتمضي مع زميلاتها إلى النزوات المشتركة ويصطحب الجميع أطفالهن فتفصح

كل أم عن مشكلتها وتستمع إلى تجارب الزميلات وتستفيد من خبراتهن ومواقفهن، وسيتيح كل هذا فهماً أفضل للقضية كما يتيح للأمهات حسن تصرف وسلوى وصبراً على المكروه وسعادة...

ولن يفوتنا هنا أن نوصيك أيتها الأم بالراحة فمن حقك ذلك، ورأينا أنه يمكنك أن تستعيني بإحدى قريباتك أو بإحدى الجارات لمراقبة الطفل المتخلف خلال ساعات في الأسبوع، وبذلك تتمكن الأم من النزهة والراحة أثناء ذلك. وحقاً فإن أسرة من الأسر لا تستطيع أن تجد سعادة أو طمأنينة مادام أحد أعضائها مثقلاً بالواجبات والهموم، ولا يعرف الراحة أو الهدوء.

دور المجتمع:

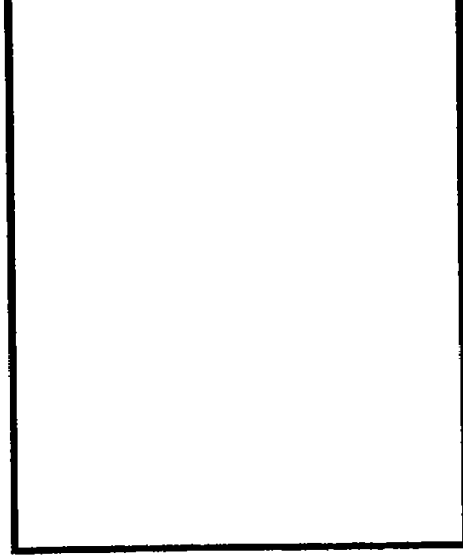
إن الأسرة التي تتعهد طفلاً متخلفاً فترعاه وتربيته وتنشئه، تستحق شكر المجتمع وتقديره وذلك لأنها تحول دون زيادة أناس منحرفين أو شواذ، أو خارجين على الجماعة، ومن هذه الزاوية نرى أن المجتمع يمكنه، بل يجب عليه أن يساهم في تحمل مسؤولية المتخلفين، وفي مكافحة التخلف وتقويم المتخلفين.

فلاغربة إذا وضعنا بعض المسؤولية على المجتمع وطلبنا منه أن يعمل على إيجاد متخصصين فنيين ومدربين وفتح مدارس خاصة بالمتخلفين، وتأسيس نواحيهم وإقامة بحوث ودراسات في موضوع التخلف.

و حين يكبر المتخلفون يظلون في حاجة إلى رعاية المجتمع، وذلك لأنهم يتطلبون أعمالاً خاصة تحول دون أن يكونوا عالة على غيرهم أو عبئاً على الجماعة أو يؤلفوا خطراً عليها، بل يسهمون في الإنتاج ويألفون أن يعتمدوا على أنفسهم. وبالطبع فإن أعمال المتخلفين يجب أن تختلف في طبيعتها وكمها عن أعمال بقية المواطنين، فهي لاتقبل السرعة ولا التعقيد، بل هي على العموم أعمال تبهج المتخلفين وتفسح لهم فرص المسرة والنمو، ولما كان المتخلفون عاجزين عن الربط العقلي والتجريد الذهني، ولما كانوا في الغالب بطيئين في فهمهم وحركاتهم ونصف يقظين فإنه لايجوز أبداً تشغيلهم في مهام صعبة أو أماكن خطيرة.

ولاشك أن من المتخلفين من يمكن أن يوثق بهم أو يعتمد عليهم، ومع هذا فلايجوز أن يعهد إليهم بأعمال تهدف إلى حماية الآخرين، أو تقوم على مسؤوليات مالية كمحاسبين أو باعة لبضائع ثمينة.

وهكذا إذا أحسنا انتقاء المهنة المناسبة للمتخلف ودرناه عليها، وأحطناه بما يلزمه من الرعاية وحسن الإدارة، فإنه يغدو إنساناً يعتمد عليه، فالبنيت تصلح لمساعدة أمها في البيت وتصلح لعمل كثير من أشغال الإبرة، والصبي يستطيع أن يعمل في الحدائق والبساتين ويحسن الحراسة والعمل في مراتب السيارات، وفي المطابع وبعض المعامل وفي محلات البيع، وأن يكون مساعداً في كثير من المهام.



www.ksars.org

الطفل السليم يفجؤه المرض

الطفل السليم يفجؤه المرض

المصاعب النفسية

إننا حيث سرنا وأنى توجهنا وجدنا من حولنا أطفالاً
يمرضون، ولاتكاد تخلو أسرة من الأسر في أي فصل من فصول
السنة من مرض يصيب طفلاً أو أكثر من أطفالنا.. حتى إنه ليدو
للمرء وكأن المرض حليف الطفولة في بلادنا وفي معظم بلاد العالم
النامية، أو كأن السقام جزءاً لا يتجزأ من مرحلة النمو لدى الأطفال.

كم من طفل يصاب بالصداع وأنواع الرشوحات والحصبة
والتهاب اللوزات شتاءً... وبأمراض الجهاز الهضمي والتهاب
الأمعاء بوجه خاص في الصيف.

وحين يفجأ المرض أحد الأطفال يمتص حيويته بسرعة
ويستلب منه نشاطه الجميل.. فيذبل كما تذبل الوردة النضرة
وتميل برأسها إذ تلمحها ربح باردة، وفجأة يسكن بيت الطفل
كما يسكن الروض الضاحك حطمته الريح فأتت عليه، وهدأ كل
مافيه.. الصنخب والضجيج والأفراح... كل هذا ينقلب إلى
صمت صامت ووجوم واجم... وتشيع في المنزل روح جديدة
قوامها الترقب والوجل والابتهاال إلى الله في السر والجهر ((أن
يحرص الصغير ويرعاه))....

حقاً إن مرض الصغار يقلق الكبار ويشقيهم ولكنه بالنسبة إلى الصغار تجربة عنيفة تهز كيانهم وقد تمتد آثارها السيئة إلى فترات تطول أو تقصر من حياتهم، ويستطيع الآباء والأمهات أن يلعبوا دوراً إيجابياً نافعاً في مواجهة مرض الأطفال وفي تهيئة الجو النفسي الملائم لتخفيف وقع المرض على الصغار، كما يمكنهم أن يقوموا بدور سلمي سئٍ فيعقدوا الأمور ويوقعوا المرضى الصغار في متاعب نفسية هم جميعاً في غنى عنها.

وينصحنا المختصون النفسيون حين يمرض أحد أطفالنا أن:

١- نجتمع طويلاً بالطبيب الذي يتولى علاجه.

٢- وأن نفضي إليه بكل شكوكنا ومخاوفنا.

٣- وأن نطلب منه مصارحتنا بكل مايجري للصغير، وإذا لم نفعل ذلك ولم نملك الجرأة على الصراحة فكتمنا مخاوفنا وشكوكنا، فمن المحتمل عندئذٍ أن يزداد قلقنا في غير سبب أو تتفاقم أوهامنا وتصوراتنا الخاطئة، فلا يلبث الصغير أن يمتص ذلك القلق، فيكبره ويضخمه.

ولذا فإن أولى النصائح التي ننصح بها الوالدين أن يفهما كل مايجري لابنهما الصغير فهماً واضحاً موضوعياً لا لبس فيه، وأن يتناقشا مع طبيب الأطفال ويطرحا أمامه تصوراتهما وشكوكهما وملاحظتهما عن حالة الطفل.

فإذا عرف الآباء السبب الحقيقي لآلام الطفل، وأحاطوه بطرق معالجتها، فإنهم يتخذون موقفاً أفضل وأكثر سلامة وأبعد عن التعقيد. ولعل أهم من معرفة أسباب المرض والألم أن يحسب الأبوان حساباً لقلق الطفل على نفسه مما يجري له، فإن الصغير حين يمرض لا يفهم لماذا هو مريض، ولا يعرف ماذا ينتظره، إنه يقلق من ألمه كما يقلق من ضروب العناية المتزايدة التي تحيط به، والتي ماألفها من قبل، وسيكبر خوفه من المجهول كلما أحس باضطراب أبويه وقلقهما عليه.

أحاسيس الخوف ومشاعر الذنب:

لايستطيع الطفل الصغير (بسبب قلة حيلته وضآلة تجربته) أن يفهم علة مرضه، فهو يفسر المرض تبعاً للمعرفة المحدودة التي كونها لنفسه عن الحياة، وقد أشارت بعض البحوث التي أجريت على الأطفال أن الكثيرين من الصغار يعتبرون المرض بمثابة ((عقاب)) مهم، فهم يربطون بين المرض وعصيان الوالدين أو سوء السلوك وفي الغالب يعزى ذلك إلى الكبار الذين يقولون للصغير: ((البس حذاءك وإلا أصابك الوجع في بطنك)) أو يقولون له: ((لاتركض فإنك ستقع على الأرض وتسبب لنفسك الألم)).

فهذه الأقوال رغم ما تحتويه من صحة، إلا أنها تجرد لدى الطفل تفسيرات شخصية تناسب مع عقليته، فليس عجباً أن نرى الطفل

يؤول أقوال الكبار، فيحس بإحساسات الذنب أو الخطيئة إذا مرض أو ألمَّ به حادث مؤلم، فإذا أضافت الأم إلى ماسبق قولها: ((لقد حذرتك يا بني وقلت لك أكثر من مرة)).. فإنها تساعد على تثبيت ذلك التأويل المنحرف فيتضخم إحساس الصغير بالذنب، ويجنح نحو السوداوية والقلق المتزايد متجهاً نحو تعذيب الذات، وإليكم تفسير ذلك:

إن الطفل بعد أن اقتنع أنه مرض بسبب خبثه وعصيانه، يسأل نفسه في السر عما ينتظره من عقاب أدهى وأمرّ، وإذا استلزم الأمر أخذ الصغير إلى المستشفى فقد يظن أن في هذا عقاباً جديداً يهدف إلى إبعاده عن البيت. وفي المستشفى يحس الطفل أن المعالجة المؤلمة، بالإضافة إلى العزلة المريرة التي فرضت عليه، والابتعاد عن أمان البيت ومشاهدة إخوته وأبويه وألعابه، ليس إلا قصاصاً عادلاً وعقوبة متكافئة مع ما اقترفه من ذنوب!..

إن الخوف من المجهول والإحساس بالخطيئة والذنب والشك بمحبة الأبوين... كل هذه الانفعالات إذا أضيفت إلى الوهن والضعف الجسمي، كونت حقلاً خصيباً لإنبات الاضطراب العاطفي ونموه، الأمر الذي يؤدي إلى تعمق وتأخر احتمالات الشفاء.

بعض التفسيرات:

إن في وسع الأب والأم أن يتخذوا للأمور الحيطنة اللازمة، وأن يخففا من ردود الأفعال السيئة عند الأطفال، وهما قادران على

إعطاء المريض تفسيرات بسيطة وصادقة وسهلة الفهم، ويخطئ الأبوان إذا قدما للصغير تفسيرات كاذبة أو مخادعة حتى لو كانت نواياهما طيبة..

وعلى الأبوين أن يتحاشيا كل قول يلوح منه أن الصغير مسؤول عن مرضه، وعليهما ألا يتحدثا أبداً مع الآخرين أمام الصغير أو يتناولا خطورة المرض وتطوراته بين الماضي والحاضر، وبوجه خاص يجب على الآباء والأمهات أن يتبعدوا عن اتخاذ أي أسلوب درامي أو تهويلي في وصف المرض وكيفية وقوع الصغير فيه. وإذا تطلب الأمر من الصغير أن يذهب إلى المستشفى فيجب أن يعلم الطفل بذلك مسبقاً، وعندما يرى الطفل أن الأمور في المستشفى تجري تماماً كما قال (بابا) و(ماما)، فإنه سيصبح آمناً سلس الانقياد ومتكيفاً مع الآخرين (من أطباء وممرضات) هناك.

وعلى الأبوين أن يزورا طفلهما في المستشفى مرات كثيرة قدر الإمكان وإذا كانت الأنظمة تمنع الزيارات الكثيرة للأبوين، فعندها يجب إعلام الطفل المريض بالأنظمة ويجب أن يدرك الصغير بوضوح أن ابتعاده عن أبويه ليس راجعاً إليهما، وأن الطبيب أقدر من الأب وأن الممرضات أعرف من الأم في أصول التمريض، وأن البيت لا يصلح لمعالجة الناس صلاح المستشفيات، وأن هذه الأخيرة قد بنيت وأعدت إعداداً ملائماً لخدمة الأطفال والناس.

معضلات سلوكية

إن الأطفال الذين أبأسهم المرض يحتمل أن يقوموا بتحويل قلقهم إلى صور عدوانية تجاه الذات أو الآخرين، فقد يرفضون قبول أي عناية توجه إليهم، وقد يقاومون المعالجة الطبية أصلاً ويضيقون ذرعاً بالسرير، وقد يعتبرون أن جميع الآخرين في العائلة مسؤولون عن مرضهم!..

وتلك هي أساليب الأطفال في التعبير عن القلق الذي يساورهم خلال المرض، وعلى الرغم من كون هذه المواقف مثيرة للأبوين، فإنها مواقف طبيعية في نظر علم النفس فإذا صدف ورأينا طفلاً يمرض من غير مظاهر انفعالية كالتى ألمعنا إليها، فهذا يعني أن الأبوين قد أعدّا للأمر عدته وأنهما وُفقا في إعطاء الصغير صورة موضوعية وواضحة عن مرضه..

هذا ويجب ألا نتخذنا المظاهر، فقد نعثر على أطفال ساكتين وعليهم ظواهر الهدوء، وإذا تعمقنا قليلاً في دراستهم وجدناهم يكتبون مخاوفهم في الأعماق، وطبعاً فإن هذا أسوأ موقف انفعالي يمكن أن يتخذه الصغار، وهو جدير بأن يفضي إلى مضاعفات سيئة جداً وفي غاية الخطورة بالنسبة إلى نفسيات الصغار. وفي مثل هذه الحالات يجب على الوالدين أن يشجعا ولدهما على التحدث عن مشاعره وعما يحس به أو يورثه ويقلقه، وسيلمسان بنفسيهما

أنهما قادران عن طريق الكلام والنقاش مع الصغير، أن يصححا الكثير من أفكاره الخاطئة، وأن يساعدا المريض على أن يجتاز أزمته بسرعة وأن يتجه نحو الشفاء بثقة وطمأنينة.

وفي بداية المرض:

نرى أن لكل طفلٍ سلوكه الخاص المتميز الذي يُعلن قدوم المرض إليه، والوالدان يعرفان هذا السلوك خلال الأيام المتتالية، ويفهمان الإشارات التي تعبر عن انحراف صحة الولد...

- بعض الأطفال يكون من غير سبب.

- بعض الأطفال يظهرون كمن أسقط في يده، أو أضع وعيه واستسلم.

- وبعضهم لا يكتفي بأن ينقطع عن اللعب بل يظل يبدي نفوراً من كل نشاط أو من طعام.

- وبعضهم لا تظهر عليه أية بوادر واضحة.

والأبوان الذكيان يدركان من المظاهر السلوكية لأطفالهم أحوالهم الصحية وقربهم أو بعدهم عن الوقوع في الأمراض.

سلوك مزاجع نكوصي:

وفي معظم الأحوال نرى المرضى الصغار يعودون إلى سلوك أكثر طفولة، فهم ينسون ما اكتسبوه من تقدم ويتميزون بأسلوب

انفعالي حاد في التعبير عن حاجاتهم وانزعاجهم، ويتخذون من تصرفاتهم الاضطرابية أسلوباً خاصاً يهدف إلى تصريف قلقهم المتزايد والناجم عن المرض والألم، وطبعاً فهناك عوامل أخرى تقوي هذا السلوك المتراجع، فالأبوان يحرصان أشد الحرص على الولد المريض، ويبدلان كل جهد كيلا يتحرك فينزعج، وكي يبقى في السرير فيرتاح (كما كان يفعل في طفولته الأولى) وهكذا تجدهما يحضران إليه حاجاته من الطعام والشراب والدواء، ويحيطانه بضروب من العناية والاهتمام، وبمزيد من الألعاب والحلوى والهدايا، فلاعجب أن يتشبث بعض الأطفال بهذا السلوك الطفولي الذي منحهم الكثير من العطف، وهون عليهم الكثير من المشاق أو المسؤوليات المتعلقة بالمدرسة وواجباتها.

وهكذا نجد الصغير في إثر مرض طويل وخطير، يقلل اهتمامه بالذين من حوله ويبدأ ينطوي شيئاً فشيئاً على نفسه وعلى أحواله المرضية، فلا يبالي بالآخرين وبعلاقاته معهم اللهم إلا بما كان يساعده على لفت أنظار الآخرين، ومن ناحية أخرى تراه شديد الحساسية تجاه غيره، وعسراً غاية العسر، فيما يتعلق بشأن الغذاء ولجوجاً كثير المطالب. وعلى وجه العموم فبمقدار ما كان الطفل يكبر وينمو في حال صحته، فإن المرض يرده بسرعة إلى الخلف فيتراجع ويتأخر نموه...

- فتراه يمص أصبعه من جديد...

- أو يبلى سريره...

- أو يفأفئ في كلامه وكأنه عاد صغيراً يتعلم الكلام من جديد، وفي النقاهة وبعد الشفاء... تتوارى مظاهر السلوك المتراجعة هذه ببطء، ومع ذلك فإننا لانعدم أن نرى بعض الأطفال من يحنّ إلى العناية التي أخذ يفقدها منذ شفائه، ويحنّ إلى العناية بالألعاب والحلوى المتنوعة التي فاضت عليه خلال مرضه، أو يحنّ إلى الحرية التي اكتسبها في أثناء المرض حيث أفلت من المسؤولية وأعفي من كثير من الواجبات، ومنح الكثير الكثير من التسامح والاستعطاف، وعلى العموم فإن التشبث بالسلوك المتراجع يتجلى بوضوح عند الأطفال الذين عاشوا طفولتهم بعيدين عن الطمأنينة... والشعور بالأمن كالأيتام والمهملين وغيرهم، وقد نجد السلوك نفسه لدى أطفال مستقرين هائنين في طفولتهم...

والطفل بعد شفائه قد يظل حريصاً على تذكر المرض، فيبدي أنواعاً من الشكوى ويدعي الألم والوجع، فتتأخر عودته إلى الانتظام بالمدرسة وإلى القيام بالواجبات المدرسية أو المنزلية وليس ذلك عجيباً... فنحن نتوقع أن يكون الطفل مدفوعاً إلى هذا السلوك بالتجربة العنيفة التي مرت به فأبعده عن أبيه وجعلته في المستشفى بعيداً عن أمان البيت وبساطة الحياة فيه، خائفاً يترقب الأطباء وأدواتهم وحضورهم وغيابهم، والحق أن تجربة الابتعاد

عن الأبوين بعيدة الأثر عميقة الجذور ولايجوز أن يستهين بها الآباء والأمهات.

أعمال ومشاغل نافعة:

وكلما طالت مدة المرض، وتأخرت عودة الطفل إلى الحياة الطبيعية صعبت الأمور وأخذت تتعقد، وعلى الأبوين أن يسهّلا على الصغير مهمة الانتقال من السرير إلى الحياة العادية السليمة، وذلك بأن يدفعوا طفلهما، منذ أن تظهر عليه بوادر الصحة، وبصورة تدريجية كي يستعيد فعاليته النشيطة فيطلب منه أن يأكل بنفسه وأن يستيقظ ويغادر السرير ووحده، وأن يرتدي ثيابه بنفسه، ويجب أن تتم هذه العودة خطوة بعد خطوة إلى أن يستعيد الطفل جميع عاداته وأفعاله، وعلى الأبوين أن يتذرعاً بكثير من الصبر؛ لأنه يلذ للطفل في مرحلة النقاهة أن يظل معتمداً على ذويه متراحياً عن الحركة....

خذوا قضية الطعام مثلاً تجدوا أن قابلية الصغير لأكل الطعام لاتعود بسهولة ويسر، فهنا يترتب على الأسرة أن تشعر الطفل أنها تراقب ما يأكله ولكن دون أي انفعال أو إلحاح أو صحب... بل يجب أن تجري الأمور بكل هدوء ومع شيء من الحزم، وبذلك تساعد الأسرة طفلها على أن يستعيد خطوة بعد خطوة حياته اليومية السابقة للمرض.

الزائرون:

ومنذ أن يسمح الطبيب يجب أن ندع الطفل يستقبل رفقاءه،
وعمقاً مايشغل الطفل بحضور رفقائه فإنه ينسى ألمه، كما تتوارى
رغبته بالتراجع نحو السلوك الطفولي، وفي المستشفيات الخاصة
بالأطفال في الدول المتقدمة تزداد العناية بالأعمال الجماعية التي
يقوم بها الصغار الناقهون، وطبعاً فإن الآباء لايملكون أن يجدوا في
بيوتهم نشاطاً جماعياً لولدهم الناقه، أو رجالاً اختصاصيين كالذين
يتوافرون في المستشفيات العامة، ولكنهم بوسعهم أن يفعلوا أموراً
أخرى قد تنوب مناب ذلك، فالألعاب، وخاصة تلك التي تحققها
جماعات الأصدقاء أو فرق الصغار في الصف من رفقاء الولد
المريض أو أقربائه.. كل هذا يمكن أن يمنح النقاهاة صوراً جميلة
أثيرة، وفي الوقت نفسه تستطيع الزيارات المنتظمة التي تقوم بها
المعلمة للطفل، أن تقوي معنوياته في النقاهاة وأن تشد من عزمه،
وبالتالي أن تعطيه بعض الواجبات الخفيفة التي تتدرج في الصعوبة
وتملاً فراغ الصغير، وتهيئه كي يعود رويداً رويداً إلى الحياة
العامة...

وبعد أن يشفى الطفل نهائياً يقوم الصغار بلعبة الطبيب
والممرضة والمستشفى، فهذه الألعاب تحرر الطفل من بعض
ماترسب من المخاوف المكبوتة التي خلفها المرض، ولكن الصغير
يتعب سريعاً من هذه الألعاب ولايستطيع أن يستمر فيها طويلاً،

وإذا لوحظ أن أحد الأطفال قد ظل بعد شفائه شديد الخوف هيباً ومتزهداً في استرجاع فعاليته الطبيعية، فإنه يبدي حالة خاصة جداً، ولا بد هنا من استشارة الطبيب النفسي وطلب معونته.

نصائح نافعة إلى الآباء والأمهات:

- إياكم وتهديد الأطفال بالوقوع في المرض كلما عندوا أو لجؤوا إلى العصيان.

- قاوموا في الطفل كل الأفكار الكاذبة والسطحية عن المرض.

- لا تتكلموا عن الطبيب أو المرض أو المستشفى كصورٍ من صور العقاب.

- فرقوا بشكل واضح بين العقوبة والمرض، وإذا كان مرض الأطفال خطيراً فإن عليكم أن تعمدوا إلى المعالجة الدقيقة من غير إظهار أي قلق أمام الطفل المريض.

- عليكم أن توحوا للطفل بالثقة تجاه الطبيب، ويحسن توطيد الصلات بين طبيب الأسرة والأطفال أثناء تمتعهم بالصحة التامة واستعداداً لكل الطوارئ، ويكون ذلك عادة بأن يقوم الطبيب بزيارات عادية للأسرة يجتمع فيها إلى الصغار ويتعجب إليهم، ويداعبهم فيأنس بهم ويأنسوا به.

حالات شاذة وصعبة

قد يخلف المرض في الطفل آثاراً دائمة أو عاهة مستمرة، وذلك كمرض القلب أو شلل الأطفال، وهنا يتطلب الأمر ((إعادة التكيف)) لكل من الطفل والأبوين على السواء، ومادام الأمر قد وقع فإن ماهو جدير بالاهتمام هو التفكير بما يجب أن نفعل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، والمبدأ هنا هو تعويد الصغير أن يعيش مع عاهته بصداقة، فيظل مع نفسه ولايفقدها أو يدفعها إلى الهلاك بل يصل إلى تقبل نفسه ومصيبته. وإن الكثيرين تغلبهم في مثل هذا الموقف عواطف عمياء تدفعهم إلى إراحة الطفل ذي العاهة من كل مسؤولية، وإلى القيام بدلاً منه بكل المهام، تلك المهام الكفيلة بأن تحل العقد وتيسر للصغير أن يصوغ مستقبلاً مشرقاً حافلاً بجلائل الأمور..

وينصح علماء النفس الآباء والأمهات الابتعاد عن اتخاذ مثل هذا الموقف السلبي الضار. ويشجعونهم على مساعدة ذي العاهة كي يحقق شخصيته ويساعد نفسه بما تبقى لديه من قوى وإمكانيات وقدرات تعويضية لاحد لها، أودعها الخالق - جلّ وعلا - في قرارة كل إنسان. وإن الكشف عن هذه القدرات التعويضية، وتحريضها على العمل في صالح الشخصية هو أسمى ماقدم علم النفس وعلم الصحة النفسية للإنسان.

وفي هذا الميدان آلاف من صور البطولة البشرية قد حققها أناس ذوو عاهات فارتقوا وسموا، وألزموا العالم أن ينحني أمام جهودهم باحترام وإكبار...

يحدثنا هاري أمرسون في كتابه (كيف تكون رجلاً حقاً) في الصفحات الأولى من مؤلفه النفيس فيتكلم عن (جلين كنجهام) الذي أصيب في حادثة سنه من جراء نارٍ شبتت في المدرسة.... ومع ذلك صار من أعظم أبطال السباق في العدو والركض، لقد قال الأطباء بعد أن فحصوه بدقة: إنه لن يستطيع السير على قدميه بعد الآن إلا بمعجزة فقد فاته الحظ... فهل استسلم هذا الطالب أو جلس يندب حظه؟ لقد بدأ يجرب ويحاول عساه يفعل شيئاً من أجل نفسه، فأخذ يتجشم الصعاب في غير ملل ليرى ماذا يستطيع أن يفعل بقدميه حتى استطاع أن يقف عليهما بعد صعوبات وآلام إلى أن خطا الخطوة الأولى ثم تلتها خطوات ثانية كلفته الكثير من العناء، ثم راح يمشي مستعيناً بمحراثٍ وجده قرب المستشفى، واستمر على ذلك إلى أن ضرب كل رقم قياسي في سباق الجري لمسافة ميل واحد!!...

أما (هيلين كيلر) فليس حديثها عنا ببعيد فهي من اللواتي عاشت في عصرنا وأثبتت عظمة الإنسان حين يعزم ويسير في إرادة وحزم....

أصيبت (هيلين) وهي في منتصف السنة الثانية من عمرها بمرض شديد تناول مُخَّها بحمى شديدة، تركت فيها صماً وبكماً وعمى، فغدت البنت الصغيرة صماء لاتسمع، بكماء لاتنطق، وعمياء لاتبصر، ثم أخذت تعيش وكأنها حيوان شرس معطل من الحواس، وراحت يداها تعبت فيما حولها، فتحطم الأواني، وتحشر طعامها بكلتا يديها في فمها، وتشعل النار في المنزل.. لقد كادت أن تحرق نفسها مرتين حين أشعلت النار في ثيابها، وقد قال بعضهم آنذاك: ليتها ماتت فالموت أرحم لها...

ثم حدثت المعجزة.. ظهرت في أفق البنت المريية الآنسة (آن سوليفان) ظهرت كما يظهر النور والأمل والضياء.. فأخذت تعنى بها وتدريبها وتروضها... إلى أن استطاعت البنت أن تتلفظ... وكان أول ماتفوّهت به: ((إنني لم أعد خرساء)) ثم أخذت البنت تتقدم وتنمو حتى غدت من الشهيرات العظيمات في تاريخ الإنسانية قاطبة... وراحت تطالع وتقرأ بطرقها الخاصة، ثم أخذت تؤلف الكتب وتساfer وتلقي المحاضرات وتعلم المبصرين كيف يبصرون وهي العمياء... وقد كتبت في كتابها الفذ (قصة حياتي) تقول: ((لقد رأيت أن الحياة قيمة وجديرة وهي حافلة بالعظائم من الأمور... مما يجعل الإنسان يتشبث بها وتتعلق بها روحه، ويقدرها حق قدرها)).

تهيئة الطفل لدخول المستشفى

لعل الإقامة في المستشفى تترك في حساسية الطفل أثراً قوياً يرافقه فترة طويلة رغم خروجه من المستشفى وعودة الصحة إليه، فلاعجب إذا رأى الأبوان ولدهما في المستقبل يخشى الرجل الذي يرتدي الثوب الأبيض، والذي سيقص له شعره، أو سيضمد له جرحاً أصابه!!.

سيلقيان مثل هذا التصرف من ابنيهما، ويحسان بالذعر والانكماش يحتويان ذاك الصغير، ويشهدان قلبه يعلو ويهبط في صدره، وأطرافه تتوتر فيسارع إلى التمسك بأمه والتشبث بها.. وإذا أقبل الليل فسيكون الصغير فريسة لأحلام مرعبة وأوهام وخيالات..

أجل... هناك أطفال يخرجون من المستشفى وهم خالون من هذه الآثار الواضحة، ومع ذلك فإن خطر وجود مضاعفات نفسية سيئة سيظل كامناً في الأعماق لفترة قد تطول ويكفي مثلاً أن يتصور الطفل احتمال عودته إلى المستشفى ذات يوم. فإن هذا التصور كفيلاً بأن يقلق شعوره وينغص عليه إحساسه بالأمن....

ونود هنا أن نشير إلى أن المساوئ التي تصيب شخصية الطفل ((بسبب دخوله المستشفى)) ليست ناجمة عن كونه قد مرَّ بآلام

أخذ يعانيتها وهو في مكان غريب عنه، وإنما تنجم عن كونه في اللحظة التي شعر أنه أشد ما يكون حاجةً إلى أبويه، رآهما يتخيلان عنه ويخدعانه (ويكذبان عليه) ويدفعانه بعيداً عن البيت الذي ألفه ويسلمانه إلى مكان مجهول وأناس غرباء...

وهنا نقول للآباء والأمهات: أطلعوا طفلكم على الأمر... وشرحوا له بكل هدوء وبصورة مسبقة، لماذا يجب أن يذهب إلى المستشفى، إلا تفعلوا ذلك فإنه سيعتقد أنكم لعبتم معه دوراً دينياً، فأدخلتموه من غير ذنب اقترفه مكاناً رهيباً... أيها الآباء... اذكروا أن الخوف من الأمور المجهولة أشد وقعاً على النفس من الخوف إزاء الأمور المألوفة، وعلى ذلك فاتبعوا طريقة الإيضاح والشرح، اشرحوا للطفل كل شيء... وبقدر ماتستطيعون، وطبعاً فإن التفاصيل التي تقدم للصغير يجب أن تتناسب مع سنه وقدرته على الفهم، فابن ثماني سنوات يحتاج إلى من يفسر له لماذا يضع الأطباء الأقنعة على وجوههم قبل الشروع في العمليات الجراحية وفي أثنائها، اشرحوا له ذلك وبينوا له أنه حالما تنتهي العملية سيستيقظ ويفيق مباشرة، وموجز القول: إن شرحكم يجب ألا يقتصر على ما يجري في غرفة العمليات، بل يتناول أجزاء المستشفى ووظائفه وأناسه. وإجابة عن سؤال: ((متى نعلم الصغير ونشرح له؟)). يجيب المختصون: إن ذلك قبل مغادرة البيت إلى المستشفى بضع ساعات، ولئلا يطول قلق الطفل أو يمتد إذا شرح

له الأمر في وقت مبكر قبل أيام أو أسابيع.. والأمر المشكل هو أن الأبوين في فترة ما قبل العملية الجراحية لا يكونان قادرين على ضبط نفسيهما والاحتفاظ بهدوئهما كالمعتاد، فهما لا يجدان الوقت المناسب لتهدئة الصغير كما إنهما يعجزان غالباً عن إشاعة روح الهدوء والطمأنينة في نفسيته، بعد أن افتقدا هذه الروح وأسلما مشاعرهما للمخاوف والقلق... وأما بالنسبة إلى طفل أكبر فإنه ينبغي إعطاؤه مزيداً من الشرح والتفسير وتكرار ذلك حتى يمتلئ بالثقة جنانه. ويبدو أن التمهيد للطفل من طرح أسئلته والتعود على الفكرة... أمر طيب، وإذا حصلت حالة مستعجلة أمكنكم أن تبينوا له أنه ألم به مرض مفاجئ، وهنا يجب عليكم أن تثبتوه وتشدوا على شجاعته، وتؤكدوا له أنه حالما يدخل المستشفى ويخرج منه، فإنه سيمثل نحو الشفاء.

ونوصيكم بالصدق.. فالصدق أسلم.. بينوا الحقيقة للطفل ودعوه يعرف طول الفترة التي يحتمل أن يقضيها في المستشفى ويعرف مواعيد زيارتكم له، ولا تخفوا عنه أنه يحتمل أن يحس بأنه ضعيف واهن بعد إجراء العملية، قولوا ذلك، ولكن بينوا له أنه في إمكانه أن يتحمل الآلام وأنه يقرب سريعاً إذا لم يقلق من الشفاء.. وإذا عرفتم صغيركم بمواعيد الزيارات فإنكم تتحاشون إعطاءه مواعيد يستحيل عليكم تنفيذها، والآباء الذين لا يعيرون هذه الناحية اهتمامهم يضعون أطفالهم في موقع صعب فيدفعونهم

إلى الظن بأن أهلهم غرروا بهم وخدعوههم، فليسوا أهلاً لأن يوثق بهم، ولاتسل بعد ذلك عن الساعات الطويلة من الانتظار الممل التي يقبع فيها الصغار ينتظرون مجيء أقربائهم، عيونهم معلقة عند الباب، وآذانهم مرهفة لكل إنسان يقترب من الغرفة، وقلوبهم فارغة وعواطفهم واجفة.. مشوشة... وكلما كبر الطفل ونما إدراكه تضاءلت المساوي التي يمكنها أن تؤثر على شخصيته، والملاحظ أن أشد ما يلحق الطفل من مساوي يقع قبيل السنة الثالثة من العمر، وأن معظم الأطفال في السنة الخامسة يقدرّون على تحمل تجربة الدخول إلى المستشفى والإقامة فيه...

هذا وعلى الرغم من أن المرض يوهم الإنسان فيقطع عليه سبل الاختيار، فإنه قد يفيد الطفل أن يؤخر إجراء عملية له بعض الوقت، بموافقة الطبيب طبعاً، وذلك بسبب أن كل طفل معرض لفترات نفسية صعبة يتعسر فيها إجراء عملية جراحية له، مثال ذلك وقوع الطفل في أزمة أرق ومخاوف ليلية من الظلام وتشبثه بأمه تشبثاً مفرطاً من غير سبب، أو كون الطفل قد خرج تَوّاً من المستشفى أو منذ برهة قليلة، وهناك حالات أخرى كالطفل الذي يخامره الخوف من ولادة أخ له في غيابه يزاحمه ويحتل مكانه، فمثل هذا الطفل لا يستطيع بأية حال أن يغادر البيت أو يتركه..

يحمل القول: إن الوقت الذي يمضي فيه الصغار إلى المستشفى وقت دقيق، وإذا لم يحسن الآباء اختيار التوقيت فإن كثيراً من

الصعوبات يمكن أن تقوم في وجوههم بسبب سوء الاختيار فتتعدد الأمور، وتتولد متاعب يكون الصغار في غنى عنها هم وآباؤهم.

طفلكم في أشد الحاجة إليكم:

اصطحبوا طفلكم إلى المستشفى، وإذا أمكنكم فابقوا إلى جانبه قبل إجراء العملية الجراحية وبعدها زماناً، وثقوا أن زيارتكم للصغير إذا نظمت بتعقل فهي قادرة على أن تحمل له العزاء وقوة التحمل...

وتوقعوا في كل مرة تزورون فيها طفلكم عاصفات من الانفعال والبكاء تحزُّ في نفوسكم بل تقطع نياط قلوبكم، وفي مثل هذا الموقف تثار غرائز الأبوة والأمومة عند كل إنسان، فيرى نفسه مدفوعاً إلى أن يحمل طفله ويمضي به إلى البيت فإياكم أن تستسلموا إلى الضعف أو التراجع ودعوه بيكي، وسيستكت لوحده، وستمر الأزمة وتنقضي عما قليل.. وفي مثل هذه الأزمات استعينوا باللعب والهدايا فإنها جديرة بأن تعينكم، وإذا وجدتكم الصغير بيكي في كل مرة تحاولون الخروج من المستشفى فلا يعني سلوكه هذا أنه يظل بائساً طيلة فترة غيابكم، وحين تخرجون حاولوا أن تخففوا من حدة الموقف قائلين: أشر لنا بيدك للوداع... أو تقولون: عندي مفاجأة لك، فأنا سأذهب الآن وأنت تنام في رعاية الله وامضوا سريعاً إلى ما وراء الباب...

الألعاب:

استفهموا مسبقاً عن الوسائل المسلية والخدمات الترفيهية التي يملكها المستشفى ويقدمها إلى الصغار، هل توجد فيه ألعاب؟ وإذا وجدت فما أنواعها وأشكالها؟ وهل يخصص المستشفى للأطفال الذين تطول إقامتهم مدرسة أو صفّاً للحضانة؟ إن معرفتكم بكل هذا تساعدكم على تقديم الألعاب الضرورية التي لا تتوفر في المستشفى والتي تمنح الصغير تسلية ومرحاً خلال إقامته الطويلة، وتذكروا أن الطفل في السنوات الأولى من التعليم الابتدائي يجب الطباشير والأعلام الملونة، وأن أبناء الثامنة يسرون بوجود (ألبوم) يلصقون فيه الصور المقصوصة والألعاب و(الخرزير) وبعض القصص والكلمات المتقاطعة ويستعملونه بمثابة مجلة يومية للمستشفى، أما الذين يكبرونه بقليل فيسرون بالكتب التي يطلب تلوينها أو قراءة ماجاء فيها، والطفل الأصغر يحب المفاجآت أيضاً ولكنه يميل إلى الألعاب الناعمة الهادئة التي يداعبها ويضعها في السرير كالعروس (بالنسبة إلى البنت) والدب (بالنسبة إلى الولد) وهكذا فإن بوسعكم أن تحضروا للطفل ألعاباً ذات مقاومة وتستطيع أن تسليه من عدة وجوه، كالصلصال الذي تصنع منه النماذج، والأوراق والأقلام الملونة، والغريب أن البالونات التي تُنفخ وتعلق بجوانب السرير، تبدو أفضل بكثير من الألعاب الميكانيكية المعقدة الغالية التي قد تتعب الصغير أو تجرده.

احذروا المواقف التالية:

حين تعدون طفلكم وتهيئونه لدخول المستشفى:

- إياكم أن تقدموا له الألعاب كشرط لدخول المستشفى أو كرشوة، إنكم إذا فعلتم هذا فستزول جوابه على الصورة الآتية: ((إن هديتكم لاتساوي العناء أو الآلام)) ((إنني أرفض هديتكم بالكلية ولست مستعداً أن أتحمّل العملية الجراحية)).. وهذا لسان حاله..
- احذروا الكذب واللف والدوران، فحين يمضي الصغير إلى المستشفى يجب أن يعرف إلى أين هو ذاهب فإن المستشفى يختلف كل الاختلاف عن مدينة الملامي أو حديقة الحيوان فلا مجال للكذب على الصغار.
- إياكم أن تقولوا للصغير: إنك لن تجد أي ألم في المستشفى.. فإن تجربته عما قريب ستجعلكم تظهرون في أبواب الخداع فيصنفكم في جملة من لا يثق بهم...
- إياكم أن تظهروا القلق أو الخوف على طفلكم فالطفل يمتص الأحاسيس المضطربة ويتشبث بها.
- لاتتكلّموا عن العملية التي ستجرى للصغير في حضوره وأثناء وجوده.

• لاتحدثوا عن خطورة الأمر أو أهميته أو مايشبه هذا الكلام..

• لاتطلبوا من المستشفى أن يغير قواعده أو يبدل تعليماته بمجرد أنكم تحرصون على طفلكم وتبالغون بالعطف عليه.

وكونوا واثقين:

أن الصغار يتكيفون مع المحيط الجديد بسهولة وأنهم يتمتعون بمقاومة كبيرة للألم، وأنهم ينسون بسرعة شريطة أن يشعروا أن كل ماحوطهم يوفر لهم الأمن والطمأنينة..

ولاريب أن الأبوين اللذين أحسنا تنشئة ولدهما وحريصا منذ ولادته على أن تكون لابنهما شخصية مستقلة، فيها اعتداد بالذات وثقة بنفسها وبصدق الآخرين..

إن مثل هذين الأبوين جديران بأن يقطفا ثمار ذلك فيجدان في الاعتداد والثقة عوناً لهما ولطفلهما على تحمل الظروف الصعبة مثل دخول المستشفى ثم الخروج منه بأقل التأثيرات وأبسط المضاعفات النفسية.

ظهور العاهة

حين يشتدُّ المرض (اكتشاف العاهة)

لقد اشتد المرض على الطفل وطالت فترته، غدا مُلازماً للفراش يتناول الحبوب ويتحمل آلام الحقن ووخزاتها ومشاهدة الممرضات والأطباء، وبدلاً من أن يجري في البساتين ويغوص في السواقي ويقفز في الجبال والأحراج مثل بقية الأطفال، يضطر إلى البقاء، لا يتحرك إلا أقل الحركة وبيطء شديد، فيمسُّ شغاف القلوب ويشيع في نفوس ذويه (والديه وإخوته) الانكماش والأسى. وينعكس هذا الأسى على الطفل نفسه، وأشد ما في هذا الأسى أن الأب وكذا الأم لا يستطيعان أن يقنعا نفسيهما بعدم الاهتمام؛ لأن المسألة ليست بسيطة أو من صنع الخيال، وإنما هي مسألة حقيقة واقعة بنيت على أساس ماقاساه الطفل وعلى ضوء تحذيرات الأطباء، فلربما كان الطفل معرضاً للوفاة أو ربما يكون قد هدّه المرض فتركه هشاً ضعيفاً بدون مقاومة أو تحمل، أو يكون معرضاً للنكوص بعد شفائه، أو لهذه العوامل مجتمعة.

وفضلاً عن هذا فإن هنالك ما يشغل بال الأبوين أكثر من حالته الجسمية ذلك أن انقضاء عام أو عامين أو بضعة شهور هي في الواقع فترة لا يستهان بها بالنسبة إلى حياة الطفل التي عاشها،

وهكذا فإن الطفل مضطر لملازمة الفراش كما أنه مرغم على أن يخسر من نشاط مرحلة الطفولة المرحية ما كان ينبغي أن يستمتع به فيفضيه في سعادة، إن الطفل المقعد (أو الشبيه بالمقعد يمس القلوب ويحزّ في نفسية والديه، ومن هنا ينبع الكثير من الصعوبات).

أيها الأبوان إذا تركتما نفسيكما غارقين في بحر من الأسى، فإنكما تعرضان طفلكما لتأثير عاطفي قد يطول ويشتد أكثر من التأثير الجسدي ولاشك في أن شعور الطفل بالمرض سيتلوّن بلون شعور ذويه تجاه المرض، فإذا كان اتجاه ذويه وتصرفهم سليماً يصبح سليم العاطفة بالرغم من ضعف جسمه، وإلا فإنه يضطر إلى المعاناة العاطفية إضافةً إلى معاناته الجسدية.

لقد رأينا أن الطفل (حين يمرض ويؤخذ إلى المستشفى) لا يدرك ما يدور حوله ويفسر الأمور التي يتعرض لها بأشكال متعددة وبأساليب خيالية مزعجة، فإذا ترك ليسرح بأفكاره المضطربة المشوشة فإن مخاوفه التي بدأت مع المرض ثم مع اشتداده، قد تظهر بعد شفائه في صور عصبية أو أحلام أو أرق.

وقد يتمكن الطبيب المعالج من إرشاد الأبوين فيما يتعلق بالمشكلات العاطفية الناجمة عن المرض أو قد يقتضي الأمر توجيه الطبيب النفسي أو الاختصاصي الاجتماعي، فلنعلم أن لكل طفل خصائصه الفردية تجعله يختلف في التعامل مع المرض عن كل

طفل آخر ومع ذلك فإن هناك مبادئ عامة للصحة النفسية ويمكن معرفتها وتطبيقها، فمثلاً ينصحنا المختصون في الصحة:

١- أن نتحدث مع الطفل ونكلمه عن مخاوفه، فإن هذا أدنى إلى أن يتخفف منها ويفرغها.

٢- أن نشجع الطفل على أن يتحدث عن نفسه في أي أمر يضايقه.

٣- وأن نستمع إلى كل ما يديه، ثم نتولى الإجابة بهدوء عن أسئلته حول المستشفى وسبب مجيئه إليه وحول الطبيب والمرضات والأدوية...

٤- وأن نذكر له الحقيقة كما نعلمها بغير كذب، فالمعلومات الصحيحة الواقعية التي نعطيها له (دون أن تحتوي على رثاء أو تشاؤم) يمكن أن تقلل أو تزيل المخاوف والقلق.

النقاهاة والجو الأسرل

نفسية النقاهاة

من المؤكد أن اتجاه الوالدين وما يفعلانه في أثناء فترة النقاهاة أكثر أهمية مما يفعلانه في أثناء حدة المرض، والسبب طول فترة النقاهاة من جهة، وسيطرة الأبوين على طريقة الحياة في البيت.

يعتقد الكثير من الآباء أن طور النقاهاة ما هو إلا فترة يستعيد فيها المريض صحته البدنية فقط، فيغفلون حاجاته العاطفية مع أن الخطير في مرحلة النقاهاة هو أن كثرة العناية بالناحية البدنية تهدد الصحة النفسية، فكثيراً ما يعتاد الطفل ((الدلال)) في أثناء مرضه ويصبح ((لجوجاً)) و((ملحاً)) في طلباته، وخطأ الوالدين هنا يظهر في إحدى صورتين:

الصورة الأولى: هي نفاذ الصبر والضيق من الأوضاع.

الصورة الثانية: هي الرثاء الشفوق لحالة الطفل ومسايرتهم هواه والتطوع لخدمته أكثر مما ينبغي.

وهنا نقول للآباء: إذا صدف وغضبتم ذات يوم من طفلكم وخاصتموه، فلا تظنوا أنكم غير طبيعيين، فسلككم طبيعي وهو رد فعل عادي تجاه التوتر والإجهاد، ومع ذلك فإن عليكم أن

تلتزموا جانب السيطرة على النفس وتكونوا هادئين قدر الاستطاعة وإذا أنستم في أنفسكم ميلاً إلى المبالغة في حماية الطفل، فاسعوا جهدكم للحد من هذا الميل. طبعاً أتمم لا تستطيعون أن تمتنعوا عن خدمته ولا ننصحكم بأن تفعلوا ذلك فجأة فتكفوا عن خدمته ولكن بوسعكم أن تقللوا من تقديم الخدمات الصغيرة بمقدار ما يجرز الصغير من تقدم، وذلك حماية لنشاط الطفل من التراجع أو وقوعه في حالة الاعتماد عليكم.

وهنا أيضاً يجب أن تتذكروا أن النقاها ليست حالة ثابتة وإنما هي متغيرة عقلياً وجسماً، فما كان يعد صالحاً في إحدى فترات النقاها قد لا يكون كذلك في فترات أخرى.

وأياً كانت الحال فالقاعدة التجريبية الذهبية هي:

((إن المبالغة في العناية تترك آثاراً أسوأ)).

و((إن العناية المعتدلة هي أفضل وأمثل)).

فمن البديهي أن ينال الطفل (حين يمرض) قدرًا من العناية لا يبذل له فيما لو كان سليماً معافى.

ومن البديهي أيضاً أن نشجع طفلنا على أن يعود ولو بالتدريج إلى أن يعتمد على نفسه ونشاطه الذاتي وألا يستمرى العناية المفرطة.

أيتها الأم عليك أن توفري الهدوء للطفل والهدوء النفسي لذاتك ولطفلك أكثر من المعتاد، وأن تتبعي تعليمات الطبيب فتنفذها بدقة، وعليك أن تميزي بين أمرين:

١- تنفيذ التعليمات بدقة دون مبالغة.

٢- الوسوسة وأخذ الأمور بحدة وتوتر.

فالأمر الأول مطلوب، أما الوسوسة والحدة فليستا مرغوبتين من الوجهة النفسية.

هذا ويجب أن نعلم أن الطفل إذا استمرراً حالة المرض ومايصاحبها من عناية؛ فإنه قد يصبح راعباً باستمراره كمريض. وقد يستغرب أناس هذا الكلام ولكنه صحيح، وتعليل ذلك بسيط وهو أن كل إنسان يخضع في آن واحد إلى رغبتين متعارضتين:

- رغبة في الاستقلال والاعتماد على الذات.

- ورغبة في الاعتماد على الآخرين.

وحين نبالغ في الرعاية فإن الطفل قد يفقد الرغبة بالتحسن والاستقلال في حين أن هذه الرغبة بالتحسن شرط من شروط الإقلال من المرض.

وأكثر من هذا ليس غريباً أن يكون تأثير النفس على الجسم بالغاً جداً عجبياً (بعد أن وهنت قوى الطفل وتضاءلت مقاومته) بحيث تظهر أعراض جديدة خلال النقاهة مثل ظهور آلام محددة أو نوع من اضطراب الحرارة كما يذكر الأطباء.

والخلاصة

إن الرغبة في ابتزاز العطف والبقاء في حالة الاعتماد على الآخرين تقوى حين يحس الصغير أن والديه يرغبان في اعتماده عليهما، وهو في الواقع لا يفكر في الأمر بهذه الصورة ولكنه إذ يُحس أن أمه وأباه أكثر حُباً له وملاطفة لوضعه حين يمرض، فليس عجباً أن يميل إلى التشبث بالمرض.

النكوص

إن كثيراً من الأطفال المرضى بالرغم من تقدمهم من النواحي الصحية ينكصون إلى أفعالهم الطفلية السابقة بعد أن امتص المرض الكثير من قواهم فيعودون إلى أساليب طفولية في اللباس والطعام والنوم والنظافة. وذلك كما كانوا يفعلون كل ذلك في أعوام سابقة. فهناك لذة في أن يصبح الطفل الصغير أصغر فأصغر مرة بعد أخرى.

فلننتبه إلى هذه النقطة ولنُعْرِها ماتستحقه من اهتمام.

وهناك بالإضافة إلى ما ذكرناه ناحية أخرى، لها خطورتها، تنتج عن الإفراط في العناية، وذلك أنها تُشعر الطفل الناقه أنه لا بد في الأمر شيء حتى يتشدد الأهل ويظلوا يراقبونه على الدوام. فمن أجل تلافي المساوئ فإن بوسع الآباء أن يتبعوا الطريقتين الآتيتين:

١- الامتناع عن وضع قيود جديدة أكثر مما يتطلبه الأمر.

٢- إعطاء الطفل تفسيرات وإيضاحات لما يُتبع من قواعد.

إن الطفل - أي طفل - مستعد كي يبقى في حدود المعقول من القواعد دون تدمير إذا فهم الأسباب فذلك أفضل من خضوعه للإلزامات الآمرة.

ظاهرة غريبة في النقاهاة

يحدث أحياناً أن تجد طفلك بالرغم من اتخاذ جميع الاحتياطات غير عابئ بالقواعد التي وضعتها بالاتفاق معه من أجل المحافظة على سلامته، فقد يسبب الطفل لك الذعر حين تراه يسابق في الجري، أو يأكل طعاماً محرماً عليه، أو يتعمد الوقوف تحت المرذاذ (رشاش الماء أو الدوش)، ولو أنك فهمت الدافع الذي يدفع إلى مثل هذا السلوك لهان الأمر عليك فما جزعت. فالطفل في مثل هذه الحالات يكون غير واثق من قدرته ويخشى ألا يصبح ثانيةً مثل غيره من الأطفال، وهو إذ يفعل ذلك لا يتحداك بل هو يجرب نفسه من أجل طمأنة نفسه.

الآخرون

عليك بقدر الإمكان أن تبعد عن طفلك كل الذين يبدون قلقاً ظاهراً على أمور الصحة أو يظهرون اهتماماً مبالغاً فيه، أو يكثرون الحديث عن متاعبهم والعلاجات التي يسيرون عليها والأدوية التي يتعاطونها، فإن طفلك قد يتأثر بطريقتهم في التفكير وفي القلق على صحتهم. وأياً كان الأمر فإن نظرة الأب المتزنة والمشوبة بالتفاؤل والمرح يمكن أن تخفف من الآثار السيئة أو تبطل الآثار الضارة وتحتثها.

نواح تربوية وتعليمية.

من بين الأمور التي تزعج صغار التلاميذ الذين يمرون بالنقاهاة الطويلة وتقلق والديهم، هي نسيان الكثير من المعلومات التي حصلوها سابقاً، فإذا تماثل الطفل للشفاء التام أمكنك معاودة الاهتمام بدروسه.

وهناك بعض المشافي رغم أنها قليلة فهي تقوم بتدريس الأطفال الذين يقضون فترات طويلة فيها. كما توفر بعض أنظمة التعليم العام في كثير من المجتمعات: المدرسين والصفوف من أجل تعليم الأطفال المقعدين. وعلى كل حال فإن الأمر ليس جد خطير إذا تعطل الطفل عن الدراسة خلال عام أو عامين، فالناس يعلمون أن تأخر الطفل ليس ناجماً عن غيابه أو كسله بل هو راجع إلى حاجته إلى الراحة بسبب المرض. ومهمة الأبوبين هنا لا تقوم على متابعة الضغط على الطفل كي يلحق بزملائه ولكن للعودة به إلى حالته الصحية والإبقاء على رغبته بمتابعة الحياة، وعلى الأبوبين أن يجندا كل مهارتهما في توفير الهوايات والأعمال والألعاب والكتب والفرص التي تناسب حالة الطفل من التأخر والتراجع النفسي، وعليهما أن يدعوا أصدقاء الطفل وأقرباءه لزيارته وذلك في سبيل توفير جو اجتماعي سليم وذلك في الحدود التي تسمح بها تعليمات الطبيب.

وبالإضافة إلى كل ماتقدم يجب مساعدة الطفل في أن يظل مستقل الفكر مرحاً ومتزناً من الوجهة العاطفية، وستساعده

روحه المرححة ورغبته في التحسن من أجل تعويض ما فات ثم
الانطلاق قدماً نحو الأمام.

النقاهاة والجوّ الأسريّ

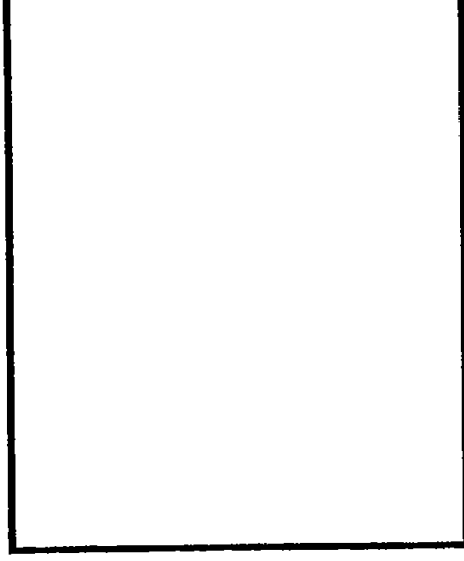
لقد أكّدت التجارب وخبرات الاختصاصيين العالميين أن الجو
العائلي الحميم هو الجو الأمثل الذي يكفل توفير حياة مشبّعة
تساعد المرضى والمعاقين على تأهيلهم للحياة الطبيعية السليمة. فالييت
إذا كان يحتوي على بيئة صحية تلي حاجات الأطفال الجسمية
والنفسية فإنه يوفر للصغار الراحة الكافية لهم.

وإذا كان فيه من يشرف باستمرار على تقديم الوجدات
الغذائية المنظمة؛ فإنه يعد أفضل مكان تتغذى فيه أجسام الصغار
وأرواحهم في آن واحد، وفي داخل البيت النظيف تنفذ التعليمات
الطبية في ميادين الوقاية والعلاج على السواء. وإذا كان البيت
سيئ التركيب (كان يكون رطباً سيئ التهوية والتدفئة أو كان
يفتقر إلى سرير خاص بالمعاق، أو حافلاً بالتشويش في الدخول
والخروج أو استعمال الراديو والتلفزيون، أو العمل واللعب لباقي
أعضاء الأسرة) أو تكون العلاقات الأسرية داخل البيت غير
مشسقة أو تحتوي على شيء من التمييز العام.. ففي هذه الحالات
وأمثالها لا بد من أن ترحب الأسرة بإرسال الطفل المريض إلى دار
النقاهاة شريطة ألا يُنظر إلى الموضوع بوصفه تخلصاً من الطفل أو
اعترافاً بالفشل أو ما إلى هذا.

وفي دار النقاهاة:

يتحقق الكثير من المنافع، ففي الجو الهادئ المنظم سيتوفر للصغير الوقت والمكان اللازمان للراحة، ومن ناحية أخرى فإن مسيرة الطفل نحو الشفاء تتم بإشراف المتخصصين، كما سينال قسطاً من التعليم حينما تسمح الحالة بذلك، وستتوفر له صداقة غيره من الأطفال، وطبعاً فإنه ينبغي إطلاع الصغير على ما يجري في غيابه داخل البيت من تعديل الغرف، وشراء بعض الأثاث، وسفر بعض أقربائه فكل هذا وغيره يؤدي إلى أن يستمر الصغير متصلاً بأسرته قوي الارتباط فيحرص على الشفاء ليساير حياته المشتركة مع ذويه. ولا يخفى أن الزيارة تعد وسيلة هامة من وسائل تقوية روابط الطفل المريض بأهله.

وهكذا فإن دار النقاهاة هي دار لإعادة الثقة بالحياة والإحساس بجمالها كما أنها دار هدفها توفير الجو الملائم لحماية القدرات وإعادة تنميتها.



www.ksars.org

نفسية الطفل الكفيف

نفسية الطفل الكفيف

تمهيد

قصص مليئة بالأعاجيب

تسمع من العامة وبعض الخاصة قصصاً غريبة عن المكفوفين تدور حول إحساسه اللمسي وإحساسه السمعي وقدراته الخارقة، يحسُّ بوجود الأشياء أمامه فيتجنبها ولو لم يرها، تقرأ ما كتبه (ديدرو وايركرومي) عن معرفة الكفيف المغيبات وقدرته على التنبؤ، تقرأ ذلك فيأخذك العجب، وتسمع أشياء وأشياء عن ذاكرة المكفوف ومدركاته العجيبة وحده الدقيق.

- فهنا كيفية كانت تدرك نفسية الذي يصفحها من مجرد لمس يده.

- وهناك كيفية صافحت جمعاً من الناس فأدركت الأختين منهما من مجرد المصافحة.

- قالوا عن كيفية: إنها كانت تضع الشيء في يدها على خدها فتعرف لونه.

- ويكلمونك عن الطبيب الجراح (هيو جيمس) الذي تعاطى وهو إنكليزي الجراحة إحدى عشر سنة وهو كفيف.

- وهناك (روبرت جاندرسن) الأمريكي الذي أبدع جهازاً للحرائق وآلة للتصوير عن بُعد وهو كفيف.

ويحدثونك عن ذاكرة المعري المكفوف حين سمع في طفولته رجلين فارسين يتحاسبان بالفارسية على مسمع الفتى الأعمى، وبعد فترة عادا يختلفان رغم اتفاقهما غير المسجل، قيل لهما: إن المعري يستطيع أن يعيد على مسامعكما ما كنتما اتفقتما على مسمعه، فلجأ إليه فأعاد بكلامه كل ما كانا اتفقنا عليه، وذلك دون أن يكون قد فهم من أقوالهما كلمة واحدة لأنه لا يعرف الفارسية!!..

تسمع كل هذا وأموراً أخرى شديدة الغرابة فيأخذك العجب العجاب لهذه الملكات التي يُقال: إنها تحتشد في نفسية المكفوفين. وتسمع من جهة أخرى كلام أناس آخرين لا يرون خلف العيون المطفأة والوجوه الجامدة إلا ملكاتٍ عادية وإمكانات محدودة ومألوفة.

وتسمع أن من المكفوفين مَنْ فقد اللمس أو خسر السمع من بعد فقد البصر. وأن منهم أناساً يتخبطون في طرقاتهم ويصطدمون بالعوائق.

طرفة: يروى أن كفيفاً كان يمشي في دمشق وسط زحام فاصطدم بأحدهم وكان بصيراً فبادره هذا بقوله: (شو ضاربك) العمى؟؟ أجاب الكفيف: العمى موجود بس أنت عم تشوف؟؟!.

- وهناك مكفوفون يتخبطون في طرقاتهم ويصطدمون بالعوائق، ومن ضعفت حواسهم الأخرى لدرجة أنها لاتساعدهم على استقبال الإحساسات.

- وهناك مكفوفون يلتمسون مساعدة المارة.

- وآخرون يمشون وحدهم مستعينين بعصا بيضاء ولايقبلون مساعدة أحد.

إعجاز أم عجز

تعود إلى نفسك فتشعر أن الناس ليسوا موضوعيين حين ينظرون إلى المكفوفين، فهم لاينظرون إليهم في ذاتهم، بل يرونهم من خلال تخيلات وانفعالات وعواطف يغلب فيها الإكبار والوجل والتحسب والاستغراب والإهمال مع الهوان، فهذه الأمور تدفع ببعض الناس، فيمدحون المكفوفين، ويُسقطون عليهم صفات ((الإعجاز)) وتدفع الآخرين، فيسبغون عليهم صفات ((العجز)) و((الضعف)) و((قلة الجدوى)).

وبين الإعجاز والعجز ترى أن من الضروري أن يُدرَس المكفوفون في ذاتهم، في واقعهم الذاتي، بعيداً عن المدح والقدح.

يتحدث العلماء المختصون فيقولون: المكفوفون هم كغيرهم من أبناء آدم وحواء، منهم الذكي العبقري اللامع ومنهم العادي

في الذكاء، منهم أناس يتميزون بذاكرة قوية، ومنهم من لا يتميزون إلا بالنقص مائلاً في فقدهم البصر، فهم ضعفاء في شخصياتهم.

نوعان من الخطأ

على أن الخطأ الذي وقع فيه معظم الدارسين خطأ مزدوج؛
أنهم:

أولاً- يتحدثون عن ((فئة المكفوفين))، كما لو كانوا جميعاً متماثلين ومتطابقين. ويشبه هذا الخطأ ما فعله حين نظن أن جميع أبناء الصين متشابهون ومتماثلون. والحق أن كل كفيف يختلف عن أي كفيف آخر في الميول والقدرات والذكاء، كما يختلف عنه في المواقف التي يتخذها، وتنطبق عليهم فكرة الفروق الفردية التي عُرِفَت بين الأفراد العاديين، ودُرست في علم النفس الفرقي.

ثانياً- وهناك خطأ آخر يتعلق بالخطأ السابق، وهو أن معظم الناس يستعملون منهج التعميم الفاسد. فإذا رأوا كفيفاً قوي الذاكرة عمموا رؤيتهم هذه فقالوا: ((لابد أن جميع من يماثل الذي رأيناه يتساوى ويتساوق معه)). وإذا شاهدوا كفيفاً يسبح في أماكن خطيرة في البحر قالوا: ((إن المكفوفين يتميزون بقدره فائقة على المخاطرة والسباحة المخيفة!!)).

وبدلاً من هذا المنهج الأعوج، ينبغي أن نتوجه صوب نفسية الأفراد ونحللها لنصل إلى ماهو مشترك وعام، وينطبق بصورة موضوعية على أكثرية المكفوفين، ويكون مميزاً لهم من غير مدح أو ذم.

وبعبارة أخرى نرى أن تتبع المنهج العلمي بتحليل مواقف المكفوفين وندرس مواقفهم تجاه المثيرات، واستجاباتهم وتكيفهم. الحق أن الطفل الكفيف، هو طفل أولاً، وكفيف ثانياً.

وأن كونه طفلاً يعني أنه يحتاج إلى ما يحتاجه جميع الأطفال. فلديه حاجات إلى التقدير والمحبة، وإلى الأمن والانتماء، والاستقلال والنجاح.

وأما كونه كفيفاً فيعني أنه حين يدرك وضعه وحالته يتنبه شعوره بذاته، ويستيقظ، فيحشد سائر إمكاناته ليتخذ الموقف المناسب الذي يعوضه، ويعيد إليه المكانة التي فقدتها.

وهذه هي النقطة الهامة في دراسة نفسية الكفيف أو المقعد.. وكل معاق.

ليس المهم أن يكون المرء كفيفاً أو غير ذلك، بل المهم هو كيف يواجه الكفيف ذهاب البصر الذي فيه. فهذه المواجهة أو الاستجابة هي التي ينبغي أن ندرسها، ونعنى بتحليلها وتبين خصائصها من أجل الإلمام بها.

نبدأ بـ (تعريف كف البصر).

اتفق الباحثون على ما يأتي:

((لا يشترط أن يكون المرء محروماً من البصر بالكلية حتى يسمى كفيفاً، بل هو يعد كفيفاً إذا ثبت أنه عاجز عن الرؤية من مسافة عشرين قدماً ما يراه السليمون على بعد مئتي قدم)).

لقد مضى العهد الذي كان فيه العمى يرتبط بالعصا والعكاز التي تطرق الأرض تتقدمه ويتبعها، لقد أصبح الكفيف يقف باعتدال ويسير سير الواصل، ويعمل ويتعلم ويرتزق ويمشي وحيداً مشي المطمئن.. إلخ...

ثم لم يعد الكفيف عالة على أسرته ومجتمعه كما كان من قبل، لقد أثبت الواقع أن في وسع الكفيف (إذا حسنت الظروف المحيطة به) أن يجيا حياة هانئة هادئة كالمبصرين، وفي إمكانه أن يتزوج وينمي مواهبه وقدراته المبدعة، وفي إمكانه أن يجيا حياة مدرسية ممتعة، وأن يتصرف في كثير من الأمور كتصرف المبصرين، وأن يحقق كل ما يصبو إلى تحقيقه من تطلعات. والذين يشاهدون المكفوفين في أوضاعهم المعاصرة المحدثه ومدارسهم في البلاد الراقية

* راجع كتاب الطفل العاجز، كاستنديك ص ١١١.

وأنشطتهم، وما ينتجونه من أعمال وبدائع يدركون جيداً أن بعضهم قد بلغ من الشأو ما لم يبلغه كثير من المبصرين*.

أقسام المكفوفين

صنف بعض العلماء المكفوفين في أصناف ثلاثة:

أولاً- المكفوفون بالولادة.

ثانياً- المكفوفون الذين فقدوا البصر إثر حادثة أو مرض دماغي.

ثالثاً- الذين كف بصرهم بتأثير الكبر والمرض السكري.

وإحصاء المكفوفين من الأطفال الصغار يواجهه بعض الصعوبات بعاملين اثنين: أولهما أن الآباء لا يريدون أن يعترفوا ويحاولون بتأثير عواطفهم أن يفشوا خبر كف البصر عن أولادهم وأملاً في ردهم إلى البصر، ورد البصر إليهم. والعامل الثاني يعود إلى أن العاهة التي يصابون بها تبدأ برمد شديد تطويل الأمد.

وهكذا فإن العمى التام يحتاج عند هذه الفئة إلى وقت قد يستمر مع الطفل حتى بلوغه الثانية عشرة من العمر.

* يقول تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:

الاستعداد للعاهة

أمر بالغ الأهمية ويحتاج من الأسرة والمدرسة والمجتمع أن يقف في وجهه لئلا يتطور إلى عمى كامل عند التلاميذ.

أما الطفل الضريير فيحتاج إلى رعاية خاصة إذ لا بد من تمكينه أن يشعر بشخصيته، ولا بد من تعريفه عملياً وباللمس أين يكون سريره وألعابه وملابسه، حتى يتمكن من التعامل مع المحسوسات.

ومن الناحية التعليمية فمن الواجب أن يُلقن ويُدرَّب على الحروف الأبجدية (لبرايل) فيكتسب بفضل ذلك القراءة ثم الكتابة في وقت مبكر.

وطريقة برايل طريقة سهلة ويسيرة وهي تعتمد على مجموعة من النقاط البارزة ذات رموز لفظية وهي لا تنحصر في تعلم الأبجدية فقط، بل تحتوي على تعلم العلاقات الرياضية والموسيقية وكثير من أعمال الاختزال.

وقد كنا نرغب بإيضاح طريقة (برايل) لكن القضية تتطلب مشاهدة لوحات (برايل) وكيف يتعامل معها المكفوفون بسرعة فائقة.

ومن الجدير بالذكر أن (برايل) مكتشف الطريقة الخاصة والمسماة باسمه قد أصيب بالعمى وهو في السنة الثالثة من عمره وعاش بين العامين (١٧٨٩-١٨٥٢م) وكانت إصابته في أثناء

لعبه بالمنجل، ثم أدخله أبواه أحد معاهد المكفوفين، وراح (بعد اطلاعه على ماقدمه معهده إليه) يثابر لمعرفة أنجع الوسائل لتعليم العمي، فاهتدى إلى طريقته الفذة بعد تجارب طويلة ومحاولات مضنية.

وقد اعتمد (برايل) في وضعه نظامه الأبجدي النافر على علوم عدة أهمها:

علم الصوت، وعلم الموسيقى، وعلم الفيزيولوجيا (اللمس بوجه خاص)، وقد ترجمت أبجديته إلى معظم لغات العالم، وهي مستعملة ومقتبسة اقتبسها مختصون إلى اللغة العربية، حيث يتعلم بها وبواسطتها المكفوفون في بلاد العرب، وإن ظن بعضهم أن تعليم وممارسة (برايل) صعبة وبطيئة، أما الصعوبة فهي تكون في أول الأمر ثم تنتهي بالسهولة، والشيء نفسه يكون في تعلم الأبجدية عند المبصرين، وأما البطء فإنه يكون أولاً في التمارين الأولى، ولكن الكفيف يألف هذه اللغة مع الأيام ويحبها ويشعر بتقدمه وارتقائه بفضلها.

كف البصر في المجال الحيوي

لوحظ أن الحيوانات التي تُصاب ببصرها تتابع حياتها كما كانت من قبل، فالكلاب تؤدي بغير البصر كل ماكانت تؤديه بالبصر، وكذلك يفعل سمك القرش، والحصان والدولفين، وإذا

كان الإنسان يختلف عن الحيوانات فذلك لأن عالمه أوسع ووظائفه أعقد، ويتم بطريق العقل والإدراك.

استجابات الكفيف في المجال العقلي

يرى بعض الباحثين أن الكفيف في هذا المجال يقف على قدم المساواة مع مثيله المبصر، وأن في مكنته أن يصل بطريق الثقافة العقلية إلى تعلم أقصى ما يستطيعه امرؤ مبصر له القدرات* نفسها.

فكيف يتأتى ذلك للكفيف وهو فاقد البصر؟.. للجواب يجب علينا أن نحلل الإحساس البصري عند المبصرين، فإذا فعلنا ذلك وجدنا أن جميع ما في البصر يمكن أن يُعرف بلمس الأشياء فيما عدا اللون.

مثال: لنفرض أن على الطاولة كتاباً يوضع قبالة الكفيف، معروف أن أول ما يثيره الكتاب في الإنسان إحساس باللون، وهذا شيء لا يبلغه الكفيف بحال من الأحوال، أما العناصر الأخرى للكتاب مثل الطول والعرض والسطح والسمك والحجم فكلها أمور يستطيع الكفيف معرفتها بواسطة اللمس. وحتى الأفكار الواردة في الكتاب يمكن تقديمها للكفيف مطبوعة بحروف (برايل) اللمسية. معنى هذا أن المبصر لا يفضل الكفيف إلا فيما يتعلق باللون.

* راجع مجلة علم النفس التكاملية عدد فبراير ١٩٤٦، مجلد ٤/٤٤٤.

نتيجة: يؤدي تحليل الإبصار إلى أن اللمس يستطيع أن يقوم مقام البصر في الأمور العقلية، وإذا لجأنا إلى الواقع وجدنا أمثلة كثيرة عن أشخاص استطاعوا بطريق اللمس أن يلموا بعقولات وأفكار جعلتهم كالمبصرين أو أفضل منهم في بعض الأحوال.

ونكتفي بإيراد مثالين اثنين عن (هيلين كيلر)، و(لورا بردغمان)، فالأولى أَلَمَّ بها داء وهي في حوالي الثانية من عمرها، ففقدت البصر والسمع، ولكنها استطاعت رغم كل شيء أن تغدو شخصية عقلية فائقة، تعلمت فأجادت عدة لغات وتابعت الدراسة الجامعية واجتازت بتفوق سائر الامتحانات وغدت تحاضر وتحدث فترشد المبصرين وتساعدهم كي يدركوا ما أدركته في المجالات العقلية. أما لورا فإنها لم تفقد حاستي السمع والبصر فقط، بل وأيضاً حاستي الشم والذوق واستطاعت رغم ذلك أن تبلغ شأواً عظيماً في مجال الثقافة العقلية*.

نتيجة: نستخلص من هذين المثالين أن حاسة اللمس تكفي وحدها كي تصل بصاحبها إلى قمم الثقافة العقلية الإنسانية. وإن كان هذا حال اللمس فما بالك بالكفيف الذي يجمع إلى اللمس حاسة السمع فيكون بذلك كالواقف خلف نافذتين واسعتين تمدانه بعدد طيب من الأفكار غير المحدودة. اللمس يمد الكفيف

* المصدر السابق ص ٤٤٥.

بفيض من الكلام المكتوب، والسمع يمدده بفيض من الكلمات والأفكار المقولة والمسموعة.

وإن أهمية اللمس (وهو تعامل يتم بفضل الأصابع) أنه يجعل الإنسان يتميز عن الحيوان بحق، وإذا افترضنا أن الحيوان يسمع ويرى إلا أنه لا يملك ما يملكه الإنسان من اللمس*

الإنسان لا يلمس الخشونة والنعومة فقط، بل يلمس أبعاد الشيء ونسبه ويدرك حجمه وتناسق أجزائه كما يدرك جماله، لقد أدركت (هيلين كيلر) قوافي الشعر وجمالها بالاستناد إلى اللمس عندها، فقد وضعت مربيته (آن سوليفان) أصابع هيلين على (الدانتيل) ذات النهايات المتناغمة والتعرجات المنظمة المتماثلة، وأفهمتها أن الكلام في الشعر له نهايات تشبه نهايات الدانتيل التي تلمسها بالأصابع في أطراف الثوب، الله كم كانت المريية سوليفان ذكية؟!...

وظائف الحس البديل

شاهدنا أن الكفيف يملك القدرات العقلية ذاتها التي يمتلكها المبصر، والآن نشاهد العوامل المساعدة على التعويض.

* لنلاحظ كفاء الإنسان الذي يتميز بالإبهام والذي يعين على اللمس ويعطينا خبرات عن البعد الثالث.

وأهم العوامل التعويضية هو الحدس. بمعنى التخمين وكشف ما وراء المحسوسات. وهذا الحدس أو المعرفة الملهمة هو أمر علمي ويخالف الأقوال التي تعزو للكفيف قدرات خارقة تقوم على أن يرى الكفيف بأصابعه (إن صح التعبير) أو قدرته على التنبؤ بما سيجري.

لقد أثبت علماء النفس أن حواس الكفيف تحتوي قدرًا كبيراً من الاستعداد للتنبيه وبالتالي للتقدم. وهكذا فإن الضرير النابه يسعى بإصرار على معرفة ما يعرفه المبصرون، وقد يسعى إلى تجاوزهم وهذا أمر صحي ومعقول.

الحس البديل

وقد قسمه علماء النفس والمختصون إلى ثلاثة أقسام:

أولاً- ما له علاقة بالصور المكانية، فالكفيف ينشئ صورة مكانية للأشياء في ذهنه بطريقة التركيب والتجميع، بمعنى أن الصورة المادية التي يكتسبها الكفيف باللمس تحتاج إلى وقت أطول.

وبينما نجد المبصرين يميزون في الأشياء الحجم والأشكال نجد الكفيف يميزها بطريق التجميع.

ثانياً- هناك ما يسمونه بالقدرة على التوجيه.. فهو يظل يتوجس حتى يعرف، وكما قلنا: فإن الكفيف يتمتع بظاهرة

الحدس فهو يتحرز دوماً من العقبات التي سوف تصادفه بخليط من الأحاسيس السمعية والعضلية واللفظية (حول ما يقال) وتتم عمليات الحدس مع التوجس بطريقة لاشعورية، تعين الكفيف على الدفاع عن نفسه وتجاوز عقباته في آن واحد.

ثالثاً التميرين على القراءة بطريقة اللمس، وفيها يستطيع الكفيف أن يبدع لمعرفة ما يعرفه الإنسان المبصر، فيتجاوز الكفيف البصر عن طريق تفتح البصيرة.

موازنة بين البصر والسمع

تدل التجارب أن فقدان البصر أهون من فقدان السمع، يقول أرسطو: إن حاسة البصر وإن كانت ألزم الحواس من حيث الحياة الحيوانية إلا أن حاسة السمع هي ألزم الحواس من حيث الحياة العقلية*.

ناحية: كنا شاهدنا أن الكفيف يملك القدرة على القيام بالأعمال العقلية كالمبصرين، ونزيد الآن فنبين أن الكفيف يفضلُ المبصر من ناحية أنه لا تشغله الشواغل التي تشغل المبصرين.

وظيفة الربط والتأويل عند الكفيف

تستيقظ عند الكفيف وظيفة الربط (الحسي العقلي) فتساعده على حسن الإدراك والتذكر، وهكذا يعرف الورود من رائحتها،

* ليس غريباً أن حاسة السمع في القرآن الكريم تسبق حاسة البصر كلما وردت الحاستان، وهذا يقع في باب إعجاز القرآن.

ويعرف الأشخاص من لهجتهم، ويشم رائحة ما فيدرك أن فلاناً قد حضر.

ويصافح أحد المكفوفين رجلاً يُقدم إليه فيدرك سريعاً مهنة الرجل من خشونة يده، ولهجة كلامه والرائحة التي تنبعث عنه!!.

الخلاصة

لا يتميز المكفوفون على المبصرين بقوى خارقة، ولا يتفوقون عليهم في أي نوع من أنواع التمييز الحسي بالمعنى الخارق، وإنما تنشط حواس المكفوفين كاللمس والسمع ويظل انتباههم يقظاً، فيأتوننا بالعجائب وتصبح توقعاتهم أدق وأدنى إلى الصواب، ويغدو تفكيرهم مطبوعاً بطابع فذ مليء بالإبداع والحدس.

الكفيف في أسرته

قد تظن أم حزينة آلمها فقد البصر عند ابنها أنه يستحيل أن تقوم حياة سعيدة لأي شخص فقد بصره، وهذا وهم وظن.

أيتها الأم: إذا كان ولدك كفيفاً فلتذكري مئات الرجال والنساء الذين كُف بصرهم، ولكنهم نجحوا في حياتهم أيما نجاح، فلمع بعضهم في مجال الفكر والتأمل والعمل، وأنا أذكرك بهذا لامن أجل أن تطمئني وحدك فقط، بل ومن أجل أن ينعكس اطمئنانك على الطفل نفسه.

أيها الأم منذ الآن ينبغي عليك أن تتغلبى على انفعالاتك، تغلبى عليها بالأمل والعمل، دعي نفسك تهدأ وتصفو كي تنسى حزنك وتتوارى همومك وسرعان ما ينتقل إلى الطفل المكفوف صفاء أمه وتفتح آمالها، فيغدو رائعاً صافي النفس مرحاً ومستعداً للتعويض.

وإذا أنتِ عاملت طفلك على قدم المساواة مع إخوته، وأظهرت للإخوة ضرورة المساواة ومعانيها، ثم أظهرت لولدك إنه إنسان ذو أهمية مثل غيره كان لك من هذا الكثير من العزاء، وقد تقولين في شيء من الثورة: ((ماذا فعلتُ يا إلهي حتى أصاب بهذا الولد؟..)) فهذا القول يؤكد أنك تحمّلين نفسك أكثر من طاقتك، لأنك لن تجدي أو تسمعي الجواب، ولأنه سؤال لا يُسأل أمام قدر الله ولا فائدة من سؤاله هذا إن لم يُعد قولك جزعاً أو اجترأً على حكم الله. وإذا وصلت بك الأمور إلى هذا فعليك أن تطلبي المساعدة وتأتيك المساعدة من الإيمان بالله (حيث يُثاب المؤمن لصبره ولو على شوكة تشوكة) وستكون الأمور بشكل ثواب يكتب في صفحتك وإذ ذاك فاطلبي المساعدة كي تصل من مجالات التعويض.

ويساعدك الطلب الأخير لمعرفة الطريقة التي تتمكنك من حسن توجيه حياتك وحياة ولدك في وقت واحد، فتنتقلين من القلق والثورة إلى المبادرة بسلوك طريق التعويض، وسيلزمك بعض

الوقت ريثما تتمكنين من تغيير اتجاهك، وذلك لأن التغلب على القلق والحيرة لا يتم ببساطة، ولأن التعويض لا يأتي عند الطلب قبل أن تفتتح قدرات ولدك وتستقر هادئة.

والمهم في كل الأحوال أن تعلمي أن طفلك ليس مصاباً بكارثة لا يمكن مواجهتها، وبالطبع فإن من الأجدى لك وله، أن تهتمي بهدوء لتأمين الوسائل الكفيلة بإنقاذ ما يجب إنقاذه، عن طريق إكسابه أموراً عملية ذات فائدة من جهة، وإكسابه معلومات وخبرات عن الحياة الراشدة.

هذا ويُفضل في فترة الحضانة والطفولة المبكرة بقاء الطفل في المنزل على إرساله إلى الروضة أو دور الحضانة. ففي هذه الفترة يتمكن الصغير من بناء ذاته ودعم الأساس الذي ستقوم عليه شخصيته. والأم الذكية تستطيع أن تمد صغيرها في هذه الفترة بكل ما يحتاجه من الحاجات الأساسية وعلى رأسها. حاجة الطفل إلى أن يحب ويُحب.

أيتها الأم أنت تعلمين أن الحب أقوى ما يدعم حياة البشر. فقط حاذري أن يتحول حبك إياه إلى التدليل والحماية المفرطة. إن كل شيء يستطيع الطفل أن يصنعه بيديه فليصنعه هو بيديه، وسيزيد هذا من تعلمه وخبراته الشخصية، ومن الخطأ أن يقوم الكبار بعمل يستطيع الطفل أن يقوم به، والواقع أننا حين نعمل

بدلاً من ولدنا نحرمة من لذة الاكتشاف ومن المعرفة العملية
المرافقة لهذه اللذة.

وهناك حاجة الطفل إلى الشعور بالأمن الذي إذا تكوّن ذات
مرة فقد يبقى معه طيلة حياته، وهكذا يترتب على الأم أن تساوي
بينه وبين إخوته دون أي تمييز. إن التمييز الذي نبديه نحو الكفيف
يجعله أقل سعادة وأكثر اعتماداً على الآخرين، وقد يثير غير
إخوته ويولد العداء بينهم.

بعض الوصايا إلى الأم

١- تحدثي مع طفلك في وقت مبكر حديث التحبب، فالحديث
أنسّ يأنس به وعلم يتعلمه، وهو أظرف وأسهل وسيلة تجعله على
صلة بالعالم الذي لا يراه.

٢- كوني بمثابة عين له عن طريق وصف أشياء تجعله يتوق
إليها كي يفهمها ويلمسها ويشمها ويستمع إلى صوتها.

٣- إياك أن تتضجري من أسئلته فالأسئلة دليل على الذكاء،
والذكي يسأل ليستفهم ويتعلم. أما الغبي؟!...

٤- يسّر له سبل الاستماع إلى المسجلات والراديو.. إلخ،
ولكن دون إفراط.

٥- اصطحبيه إلى جهات خلوية متنوعة (كالجبل والسهل
وشاطئ البحر والصحراء والغابة)

٦- اصطحبيه إلى السوق وسيرى في دكان الفاكهة مكاناً طيباً لأن يتعلم ويختار ويشترى.

٧- دعيه يساعدك في انتقاء البرتقال والدراق والكرز... إلخ.

٨- اصطحبيه في زيارة الأهل، قولي مثلاً: سوف تُسر عماتك من ثوبك الأحمر، سوف تلعب مع صديقك إياد وتستمتع بألعابه.

التكيف مع الرفاق

- ادعُ أيها الأب إلى منزلك أطفالاً آخرين يأتون إليه.
- لاحظ كيف يلعب ولدك مع رفاقه وكونه مكافئاً لهم.
- وإذا اختلف ولدك مع أحد رفاقه حاذر أن تميل إلى ولدك؛ فإن في هذا التميز ما يؤكد دونيته ويشعره بأنه خاص.
- إذا وجدت أن طفلك منكمش وخجول فلا تيأس فهذا هو السلوك الأولي.
- وإذا لاحظت أنه انطوى على نفسه فهذا يعني خسارته في اتخاذ مكانه في الحياة.

- أتح لولدك فرص التعبير والكلام وذلك كي يقرر و أمور الحياة بنفسه، دعه يتحدث عن ثيابه وطعامه ومش ونزهاته وأوضح مايفيده ولدك من كل هذا.

وقفه مع هيلين كيلر

نموذج التعويض والتسامي

ولدت هيلين سوية سليمة مثل كل الأطفال، ولكنها أصيبت وهي في الثانية من عمرها فأفقدتها السمع والبصر ونمو الكلام. وغدت فتاة شرسة عدوانية، فكانت تكسر الأواني والنوافذ، وتؤدي نفسها، وأشعلت النار في نفسها وفي ستائر البيت مرات، وقال ذووها وهم في أشد الغيظ منها ومن الحظ الذي أصابهم بها: ((ليتها ماتت)) لقد كانت مثل حيوان مؤذٍ ومخرب.

ظهرت في حياتها المربية الفاضلة (آن سوليفان) وكانت هذه المربية تقدم خدماتها الهامة النفسية والاجتماعية في معاهد أمريكا، اكتشفت (آن) في (هيلين) حين اجتمعت بها التوقد والألمعية رغم فقدانها ثلاث حواس فأكسبتها (برايل) ومضت تسعى لاقتحام عالمها المنقطع عن العالم صوتياً وضوئياً وتلفظاً، وبعد أن أفلحت في تعليمها طريقة (برايل) أخذت تستنطقها بطريق السمع فراحت تضع أصابعها على حنجرتها (هي المدربة) لتتلقى اهتزازات الكلام بأصابعها إذ تتكلم فيتم الاتصال بين الاثنتين، وراح هذا الاتصال يتطور وينمو حتى صارت (هيلين) تنطق بالكلمات رغم أنها لا تسمع كلام ذاتها!!!..

وبعد محاولات مضمّنية وصبر المربية تعرفت (هيلين) على عالم المعاني الكامن خلف الألفاظ... وأخيراً أفهمتها أن الكلام بين الناس إما أن يكون نثراً أو شعراً، وأن كلام النثر لا موسيقياً فيه ولا قوافي، وأما كلام الشعر فيتألف من النظم الموسيقي والقوافي... وبذكاء آن جعلتها تعرف القوافي عن طريق تمرير أصابعها فوق (الدانتيل) وإفهامها أن تموجات (الدانتيل) تكسب الثوب جمالاً مثلما تحدّثه الكلمات المقفاة.

وتوسع بعد ذلك عالم المعاني عندها فتوصلت إلى القيم المثلى، قيم الحق والخير والقداسة والجمال، وجعلتها تتعرف إلى عالم الجمال الفذ في الطبيعة الأخاذة، وفي قلب الإنسان وفكره.

حادثة: أوردت هيلين في كتابها (العالم الذي أحيا به) الحادثة الآتية: دُعيت ذات يوم إلى الاشتراك برحلة مع زميلات المعهد وكنتُ يومها مشغولة ببعض المهام، فاعتذرت عن تلبية الذهاب بالرحلة التي بدأت قبل الفجر وكانت تمر بالغابة، واستمرت النهار كله قرب البحر، ومضت تتنقل بين أشجار الغابة ومياه الشواطئ، وفي المساء عادت الزميلات من الرحلة، فسألت (هيلين) إحدى صديقاتها المبصرة قائلة: كيف تمت رحلتكم؟ فأجابتها الصديقة: ((كانت الرحلة عادية ولا شيء فيها يستحق الذكر)).

تعلق هيلين على هذا الجواب في مذكراتها الشخصية فتقول:

كيف يمكن لرحلةٍ بالباص المهادئ انطلق عبر الغابة في الظلام
ووصل إلى الشاطئ مع بزوغ الشمس حيث كان الظلام.

يتوارى شيئاً فشيئاً ليحل محله النور... وتم الرحلة في تلك
اللحظات الجميلة الرائعة بين الندى الذي يسبح الله قرب الطيور
التي تستيقظ وتفتح عيونها وتزقزق طرباً تستقبل الضياء...

الضياء الذي تتسرب فيه الأشعة الذهبية والفضية من خلال
الأغصان وأوراقها المهفافة ثم تستقر على الأشجار والكون.

ثم تتساءل:

كيف تنطلق الرحلة في وسط هذه المظاهر الكونية الرائعة
وتمضي السيارة بالبنات المغنيات المنشدات بأصواتهن الحلوة سائرة
صوب البحر...

ثم تقضي البنات سحابة نهارهن قرب الشاطئ شاطئ البحر
الكبير اللامتناهي بأواجه ولا يكون من ذلك إلا رحلة تستحق
الذكر؟...

أليس مؤسفاً ومؤسياً أن تكون للناس عيون فلا يرون بها!!

ولنقل فاتهم الصباح ولم ينل اهتمامات الرحلة أفلا يكون
للأصيل ولحظات الغروب ما يبعث على الاهتمام وجمع الأبصار
والبصائر؟

وتضيف:

لكم تمنيت أن تمتنع الرؤية على الناس في يوم واحد من العام أو ساعة واحدة ثم يعودون ليصروا بأعينهم من جديد... جمال الكون وألوان الطبيعة وثياب الأطفال...

آه لو تم ذلك لأدركوا قيمة العيون حق قدرها، وعرفوا عظمة الله في روائع صنعه في الغابات والبحار، والليل والنهار.. والزهور والطيور، والأطفال..

قالت كل ذلك الكفيفة هيلين كيلر.

وقالت في موضع آخر من كتابها (العالم الذي أحيا فيه):

قد لا يمكن أن تسطع شمس الضياء لي كما تسطع شمسكم.

ولا تنطبق الألوان التي تزين عالمي مع زرقة السماء والبحر

وخضرة الأغصان تمام الانطباق مع تلك التي تثير بهجتكم.

ولكنها ليست أقل تلويناً وبهجة بالنسبة إلي.

إنني أفهم أن الورد يخالق القرمزي، لأنني أعرف أن رائحة

البرتقال تختلف عن رائحة العنب.

إنني أدرك من ثم فروق الألوان وأن أتصور تلك الألوان تصوراً

وبالخيال.

ثم إن للرائحة والطعم أنواعاً متباينة لا تكاد تتميز لدي تماماً لكي تكون رئيسية فأسميها فروعاً.

إن من حولي الآن ستة أنواع من الورد لها كلها تلك الرائحة المميزة للورد، ومع ذلك فإن حاسة الشم لدي توحى لي بأنها ليست من نوع واحد.

ثم إن نضارة الزهرة التي أمسكها بيدي مشابهة لما أشعر به حين أتذوق تفاحة حديثة القطف. إنني أفيد من كل موازنة من هذا النوع كي أتمي معلوماتي عن الألوان والطعوم والروائح... وإذا ما نمت فإنني أسعد بالمشاهدة وعلى محاولة سد النقص بين الرؤية واللمس.

إنني أذهب على الأقل إلى حد التمتع بالبهجة التي يجسها أمثالي لجمال مايرون، وبتوافق الأصوات لما يسمعون، وهذه العلاقة التي تربطني بالإنسانية تساوي عناء الاحتفاظ بها، حتى لو كانت الأفكار والآراء التي أستند إليها خاطئة.

لقد قرأت كثيراً وعللت كثيراً من الألوان وربطتها بالمعاني كما يربط الناس (المبصرون) معاني معينة بألفاظ مجردة، مثل الأمل والخشوع والذكاء، مما لا يكون له صورة مرئية، ولكن الإنسان مع ذلك يفهمها بطريق الإدراك فوق المادي، فبدون هذا الإدراك تصبح الحياة بالنسبة إلي كمساحة واسعة من الظلمات.

حول مبادئ التعامل مع الطفل الكفيف

لسنا في حاجة إلى التوسع في الأمور الآتية:

- ١- تنمية الثقة بالنفس.
- ٢- زيادة فرص التجارب.
- ٣- استثارة النشاط الذاتي.
- ٤- تشجيع العلاقات مع الصغار والكبار.

دراسة الكفيف

على الأبوين أن يتصلا بمدرسة المكفوفين، بمجرد اكتشافهما أن ولدهما كفيف أو ضعيف النظر ضعفاً واضحاً وكبيراً.

وقد ألحنا إلى ضرورة بقاء الطفل في بيته ريثما يتم طفولته الأولى. ولا يمنع هذا من الإفادة من خبرات المدرسة وتوجيهاتها، وحالما يقترب الطفل من سن التعليم الابتدائي فعلى الأم أن تهيب نفسيته لمغادرة البيت والذهاب إلى المدرسة، وعليها أن تصوّر المدرسة له كمكان يقضي فيه الطفل أوقاتاً حلوة مع الرفاق حيث التعلم واللعب والتسلية.

ومن مصلحة المكفوفين أن يتعلموا لغة (برايل) قراءة وكتابة. وقوام هذه اللغة حروف نافرة مبسطة يقرؤها الكفيف بلمسها بأصابعه.

وقد عنيت الحضارة بكتابة آلاف الكتب المشهورة في الأدب العالمي والعلوم بلغة برايل، ومن شأن هذه الكتب أن تغني ثروة الطفل الكفيف وتدني به ثقافياً من ثقافة المبصرين، والأطفال يتعلمون (برايل) بسرعة ويقرؤون بها بسهولة.

الوقاية والعلاج

إن العناية الطبية المبكرة ضرورية وهامة بالنسبة إلى أية إصابة في العين، والعيب يكون صغيراً في الصغر ولكنه يصبح كبيراً ويستفحل أمره في الكبر، فإذا لوحظ حَوْلَ عند أحد الأطفال، فإنه يمكن علاجه بالجراحة أو التدريب على الرؤية السليمة ولهذا التدريب مختصون ومدارس.

وعندما يظهر مرض كالرمد أو الحصبة على البصر، فإن العناية الطبية المبكرة تعد وقاية دائمة تنجي الطفل من عجز دائم.

هذا وإذا كان ولدك مبصراً فإنه يجب عليك أيتها الأم أن تصحبي ولدك إلى طبيب العيون لفحصه من الرمد، إذ لا يوجد غيره إنسان يملك الخبرات السليمة لتشخيص وعلاج انحرافات العين من الرؤية الضعيفة إلى فقدان التبأور المسمى بالاستجماتزم (الذي يمكن معالجته والذي يرجع إلى عيب تكويني في العين نفسها). ولا يقوم أخصاصي النظارات مقام طبيب العيون، وذلك لأن خبرته تنحصر في التصدي لقوة البصر وصنع النظارات، أو

صنع العدسات ووضعها في الإطارات، لكنه ليس مؤهلاً لمعرفة أوضاع العيون. وطالما أن نظر الطفل يتحسن بالنظارة فعلى الأبوين أن يراقبا استعمالها الدائم، وذلك لأن المعروف أن الأطفال كثيراً ما ينجحون إلى كسر النظارات.

وهكذا يترتب على الأبوين أن يجملا ولدهما مسؤولية المحافظة على النظارة بنفسه والافتخار بها أمام الآخرين.

هذا ويختلف ضعيف البصر عن الكفيف، فالأول كثيراً ما يكون موضع سخرية، ويكون الثاني موضع شفقة، وهناك أطفال كثيرون مستعدون أن يهزؤوا من طفل يتحسس طريقه أو يلبس نظارة سميقة، أو مصاب بالحول وينتج عن كل ذلك أن طفلاً كهذا يميل إلى الشعور بأنه مختلف فيميل إلى الانكماش، وفي مواجهة هذا ينبغي على الأسرة أن تتبته إلى قضية الثقة بالنفس وأن تشجع وليدها على تكوين العلاقات الطيبة مع جميع الناس، وأن تسعى لتأكيد احترامه ومكانته لدى إخوته وزملائه، وبغير هذا فقد يمضي الطفل الضعيف البصر إلى التوجه صوب العدوان، فيتأذى الطفل نفسه ويتراجع في بصره ويدنو من العمى الجزئي أو العمى الكامل، وفي كل الأحوال فهناك احتمالات واردة في أن يتراجع بصر ضعيف البصر بتأثير نفسيته وعلاقته بغيره، ويمكن تلافي ذلك بتعويد الطفل أن يتقبل وضعه ويلجأ إلى الله في طلب العون، وأن يتدرب على القيام بأعمال غير بصرية مثل الموسيقى

والرياضة، وكل هذا يلقي على الأبوين مسؤولية حماية الولد فيجعلهما بحاجة ماسة إلى من يرشدهما فيتعلمان ويفتشان عن الوسائل العلمية الناجعة في الوقاية والعلاج، وعليهما فوق هذا أن يفهما طفلهما بالأمرهق عينيه وأن يتيح لهما فرص الراحة، وبالإضافة إلى هذا يتزب عليهما أن يُعنيًا بصحة ولدهما العامة، وذلك خشية أن تنعكس الصحة السيئة على بصر ولدهما.

ويتزب أيضاً على الأسرة أن تسأل عن صفوف خاصة بضعاف البصر، فهذه الصفوف تعنى بالأطفال الذين قلنا: إنهم لا يرون على بُعد عشرين قدماً ما يراه العاديون على بُعد مئتي قدم، ومن تعجز النظارات الطبية عن إصلاح نظره. والمختصون في هذه الصفوف يعمدون إلى تحديد درجة عجز الطفل كما يقترحون كيفية تعليمه والمدة التي سيظل الطفل رهين هذه الصفوف، ويعمد المعلمون في صفوف وقاية البصر إلى الاستفادة من وسائل خاصة مثل الطباعة ذات الخط الكبير، والأوراق غير اللامعة، والآلات الكاتبة الخاصة، والكتب المسجلة الناطقة والإذاعات، وتكون المكاتب فيها من النوع الذي يتحرك دوماً ليحجّل رؤية الأطفال في أحسن وضع بإزاء الضوء والمسافة الفاصلة بين العين والمرئيات.

وتتلقي المدرسات في هذه الصفوف تدريبات خاصة، ويوضع في هذه الصفوف عدد أقل من التلاميذ في الصفوف الاعتيادية،

وينشد الأطفال هنا أناشيد خاصة ويتبادلون مع بعضهم محفوظاتهم ومناقشاتهم ودعاباتهم وتمثيلاتهم الخاصة.

وقد لا تترتاح بعض الأسر إلى هذه الصفوف (التي هي معدومة في بلادنا بكل أسف) والمتوفرة هناك، لا تترتاح إلى كمية المعلومات التي يحصلها الصغار إذا قيست إلى الصفوف العادية، ونحن نرى أن لا موجب لهذا الموقف، لأن المطلوب في هذه الصفوف لا يُحصر بالتعليم بمقدار ما يقع في حماية البصر لدى ضعاف النظر.

ومن المفيد أن تتصل الأسر بهذه الصفوف وتطلع على الأساليب الخاصة فيها والوسائل التي تؤول إلى هناء الأطفال ونمو الثقة في نفوسهم، وبقدر ما تتمكن الأسر من توثيق صلتها بالصفوف المذكورة والتعاون معها فإنها تتيح السعادة لأولادها والصحة البدنية والنفسية والشعور بالأمن والأمان.

تجربة فذة لمضاعفة القدرة الإنتاجية للمكفوفين

لا تعجز الدولة في أية بقعة عن تقديم المعونات لفئة المكفوفين، لكن هذه المعونات يجب ألا تقدم في شكل هبات بل في مشروعات عملية تدعم كيان المكفوف وتحفظ ماء وجهه وتنشط فاعلياته وقدراته. وبيان ذلك مايلي:

١- ليست الهبة تعويضاً ولا وقاية أو علاجاً لضعف البصر أو

المكفوفين.

- ٢- والهبة لاتزيل الضرر وقد لاتجدي وحدها.
 - ٣- وقد يكون فيها شيء من الإذلال.
 - ٤- ولاتؤدي الهبة بالضرورة إلى إعادة بناء الشخصية والعلاقات الاجتماعية.
- كل هذا يجعل قضية تأهيل المكفوفين للعمل المهني أفضل وأقوم من الهبة.
- ١- فالتأهيل يعد نوعاً من التعويض للفرد المعاق.
 - ٢- وهو يسد الحاجة وقد يصنع مردوداً للكفيف، ويعيد للمعاق كرامته واعتباره.
 - ٣- وليس فيه مذلة ولاهوان.
 - ٤- بل فيه استثمار واستخدام للقوى العاملة في المجتمع.

مثال علمي وعملي

لنفرض أنه يوجد في بلد ما (٥) آلاف معاق (بين كفيف وأصم وغيرهما..). وأن الدولة تصرف على هؤلاء مقدار مئة ليرة يومياً لكل معاق.

فتكون المبالغ التي تصرف عليهم في يوم واحد ٥٠٠٠٠٠٠

وفي العام الواحد $360 \times 500000 = 180,000,000$ مليون ليرة بشكل هبات.

فإذا قام المختصون بتشغيل المعاقين وتأهيلهم مهنيًا فغدا الواحد يكسب (٥٠) ليرة في اليوم من عمله. عندها سيكون مجموع ما يكسبه الجميع في اليوم:

$$200000 = 50 \times \text{معاق}$$

وفي السنة يكسبون $360 \times 200000 = 90000000$ تسعين مليون ليرة، فإذا أضفنا هذا الكسب إلى المبالغ التي ستهدر بشكل هبات أصبح ما يكسبه المجتمع

$270000000 = 180000000 \times 90000000$ أي مئتان وسبعون مليون ليرة، فهذا هو الكسب الذي يتأتى من تشغيل خمسة آلاف معاق في سنة واحدة.

مزايَا تشغيل المعاقين

هناك مزايَا كثيرة أهمها:

- ١- الإيجابية في الاختيار والتوجه بدلاً من السلبية.
- ٢- تأكيد فكرة أن الإعاقة تختلف عن العجز (وهذا ما أشرنا إليه في أول الكتاب).

٣- والحق أنه لا يوجد أي إنسان يملك قدرات مطلقة وكل إنسان يشكو من ناحية ما، فكلنا معاق من ناحية ما.

٤- أثبتت الملاحظات والتجارب أن المعاق حين يعمل عملاً مناسباً فإن إنتاجه (إذا أحسن اختياره) يفوق في الكمية والنوعية إنتاج السليم وذلك لأسباب كثيرة أهمها:

أ- حين يكون العمل مناسباً تتضاءل نسبة حوادث العمل عند المعاقين بسبب شدة حرصه ودقته.

ب- فالكفيف يظل حذراً ولا يطلق يديه لتعمل كيفما اتفق.

ج- والكفيف لا يهدر الوقت، فالأصم لا مجال لأن يثرثر، والكفيف لا يشرد ولا يسهو.

٥- وهكذا نستطيع أن نقول: إن كل إعاقة تنطوي على ميزة من الميزات.

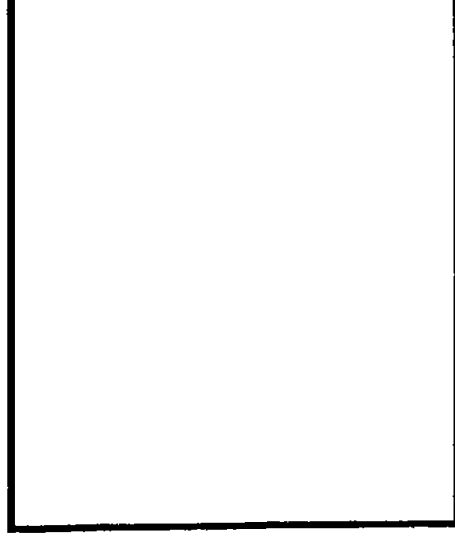
فالمقعد يجود في خطه ورسمه وموسيقاه، والكفيف يجود في غنائه وأحاديثه ونكاته وأشعاره.. وما أحلى الحياة على هذه الشاكلة!

لم يعد عالمة

لكي لا يشعر الكفيف أنه عالمة على أسرته ومجتمعها وجب عليه أن يعمل، ولكن أي الأعمال تكون مناسبة للمكفوفين؟

هناك أعمال كثيرة ومتعددة لأُتُحصى، ولكثرتها نقتطف منها ما يأتي:

صناعة الغزل والنسيج، وتجليد الكتب والحياسة، وفي بعض الحرف اليدوية مثل صناعة شبك الصيد والأحزمة والأكياس والنعال الصوفية (الخُف) والسياط، وصناعة الخيزران والسجاد والحصر وتغليف الكتب... وغير ذلك من الأعمال المشابهة، وهناك صناعة الأحذية والأثاث والصابون والحلوى والشمع وماشابه ذلك. كما أن الدوائر الحكومية في كثير من أنحاء العالم أخذت توظف المكفوفين في بعض الأعمال كالتدريس الجامعي والاختزال وأعمال الهاتف والضرب على الآلة الكاتبة والحاسوب. ونجد في الصورة المرافقة مكفوفين يتعاطون الرسم.



نفسية الطفل الأصم

نفسية الطفل الأصم

دلت الأبحاث على ((أن الطفل الأصم هو طفل عادي لاتنقصه إلا حاسة السمع ولولا هذه العاهة ماوجدنا بينه وبين السليم أي فارق عقلي أو نفسي)). لكن هذه الفكرة (التي تبدو الآن بديهية) لم يعرفها البشر إلا متأخرين، فقد كانت المجتمعات القديمة تنكر على الطفل الأصم إنسانيته، كانت تنظر إليه وكأن ((بلاء)) هبط من السماء وتلبسه فأفقدته عقله ونطقه، والذي يطالع ما كتبه (هيوقراط) و(أرسطو) و(يلين) عن الأصم الأبكم يتراءى له أنه غير إنسان، وأنه أقرب إلى الحيوان والأنعام وأحط قدراً من العبيد، إنه يبدو بين البشر وكأنه لعنة من اللعنات.

ولما كان الإنسان منذ القديم إنما يعد إنساناً بفضل نطقه حيث عرفوا الإنسان بأنه حيوان ناطق، وكان النطق يعني الكلام والعقل معاً، فقد تبدى للناس أن العقل لا يكون ولايتكون إلا بالكلام، فإذا رأينا الأصم الأبكم لاينطق ولايتكلم نتج عن هذا أنه لايعقل، وكونه لايعقل يعني أنه ليس إنساناً.

وقد ظلت هذه الفكرة سائدة حتى أوائل القرن الثامن عشر، ففي عام (١٧٧٩) ظهرت أول دراسة تهدف إلى تربية الصم البكم والعمل على انتشالهم والارتقاء بهم، وحقاً فقد كانت هذه

المحاولة جريئة، ولكنها لم تستطع أن تعطي أفضل النتائج بسبب أنها لم تؤسس على أسس موضوعية في العلم (أي علم النفس)، وهكذا أتت هذه الدراسة - على وجهه أهدافها - فجة غير ناضجة ولا مركزة.

إن تقدم الدراسات الإنسانية في مجالات عضوية الإنسان ونفسيته في القرنين التاسع عشر والعشرين قد ألقت الأضواء الكاشفة على حقائق كثيرة حول الصم بددت الكثير من الظلمات وساعدتنا على أن نفهم الكثير من الوقائع، ونحن مانزال نفتقر إلى الكثير من الأبحاث والدراسات النفسية حتى نتمكن من إحراز أفضل النتائج في خدمة هذه الفئة، ومانزال في أول الطريق.

لقد استطعنا أن نعلم أموراً كثيرة ماكانت تخطر على البال وأهم هذه الأمور:

١- أن الصمم (وهو العجز عن السمع) مفصول عن البكم (الذي هو عجز عن الكلام) وبإمكاننا أن نفرصهما تجريبياً عن بعضهما وأن نتعامل معهما كوظيفتين مستقلتين، والحق أن الإنسان الأبكم يعجز عن الكلام بسبب أنه لم يسمع الأصوات ولا الكلام الذي ينطق به الناس، ولم تُتاح له فرص التدريب على التكلم، وبسبب فقدانه الكلام فقد انقطع اتصاله الطبيعي مع الناس، وبالتالي لم يُسمح لعقله أن ينمو بسبب تعطُّله اللغوي. وإذا

أمكننا أن نعلّم الأصم لغة الكلام وندرّبه على أن ينطق فقد كسرنا جدار الصمت عنده، وأعدنا له الاعتبار العقلي.

هذا ما أكدته التجارب، تلك التجارب التي أكدت من جديد أن الصمم هو العلة وهو الذي كان يجعل من الأصم أبكماً.

وبإمكاننا بل من الواجب علينا أن نتيح للأبكم أن يتكلم، وأن يستعمل لغة الناس ويتابع نموه اللغوي بعد ذلك وتقدمه الاجتماعي، وذلك بالاعتماد على حواسه الأخرى كالبصر واللمس.

٢- إن الصمم على أنواع ودرجات:

أ- فهناك الصمم المحيطي والمركزي.

ب- وهناك الصمم اللين الذي تسهل تربيته، والقاسي الذي قلما يجدي تقويمه.

ج- هناك الصمم الوراثي والصمم الكسبي، والوراثي ينتقل من الأبوين بتأثير بعض الأمراض كالسفلس، أو بتأثير القرابة الدموية بين الزوجين، أو الإدمان على المسكرات.

أما الصمم الكسبي فيرجع كما تشير الإحصاءات إلى أسباب عرضية تصيب الدماغ مثل التهاب السحايا والتشنجات العصبية الخطيرة.

أسباب الصمم

هناك ما يسمى بالصمم العصبي أو صمم التمييز والإدراك الصوتي، وهو علامة على وجود عيب في أعصاب السمع أو أي أعضاء أخرى متعلقة بإدراك الأصوات وتمييزها. ويكون سبب ذلك هو المرض أو الحوادث أو النمو الخاطئ.

وفي بعض الحالات يشمل العيب أيضاً العضو الخاص بتوصيل الصوت وحينئذ يسمى بالصمم المختلط، ولم يكتشف حتى الآن علاج للصمم العصبي، كما أن استخدام وسائل المساعدة على السمع لا تغير الموقف بأي حال إذا كان هناك فقدان كبير بالسمع.

وحسب التقرير الصحي الذي وضعتَه وزارة الصحة في الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٣٦) اتضح من فحص طلبة مدارس الصمم أن (٦٢٪) منهم ولدوا كذلك أي بصمم خلقي على حين أن (٣٨٪) منهم أصيبوا به بعد الولادة، وهذا ما يسمى بالصمم العارض.

وأكثر أسباب الصمم الخلقي شيوعاً هي الأسباب الوراثية والإصابة بالزهري - كما ذكرنا - والتهاب أغشية الدماغ (بانولوجيا) داخل الرحم أو حين الولادة لأسباب جروح خطيرة عند الولادة أو نقص في أوكسجين الدم عند الولادة، وهناك

تعاطي الأم الأدوية الضارة خلال الحمل، وعامل آخر هو مرض الأم في أثناء الحمل بأمراض مثل الحصبة الألمانية، وهناك بعض أنواع الصمم الخلقي التي لم يكشف سببها حتى اليوم.

وأهم أسباب الصمم العارض هي الأمراض المعدية التي يكون فيها الأطفال أكثر تعرضاً لها، وقرر (بست) العالم الأمريكي أن الحمى القرمزية والتهاب أغشية الدماغ معاً يتسببان بربع الإصابات بالصمم.

وهناك خطأ شائع عند بحث الأسباب والتعبير عنها وهو يتعلق باستعمال الاصطلاحين (وراثي)، (خلقي) حيث إنهما لا يميلان المعنى نفسه، فالخلقي لا يشير إلى سبب الصمم بل إلى توقيت الإصابة بينما يشير الوراثي إلى سبب الصمم، ولا يشترط وجوده عند الولادة، فلربما ظهر بعد ذلك في إحدى مراحل الحياة وهو يتوارث حسب قوانين مندل.

وبعد اكتشاف دواء الأنتيبايوتك أمكن إنقاذ الكثيرين من الصمم، وكان الأطفال أكثر المستفيدين.

وفي محيط الصمم الخلقي أمكن القيام بأبحاث مجدية إذ إن بعض هذه الأبحاث اكتشفت بعض أسباب كانت مجهولة كما أمكن الوصول إلى بعض وسائل مقاومتها.

كشف الصمم

إن اكتشاف الصمم عند الأطفال يعد من الأمور المعقدة جداً، حيث إن الأطفال يكونون صغاراً لم يمارسوا الكلام ولا التفاهم مع الكبار، وبرغم ذلك يؤكد الباحثون ضرورة التبكير في اكتشافه وتقدير مداه، وذلك من أجل تقدير احتياجات الصغار التعليمية في وقت مبكر.

ففي حالة الصمم الولادي، السابقة على تعلّم الكلام والتفاهم يمكن اكتشاف أن لدى الأطفال مايعوق سمعهم كما يلي:

١- إذا أخفقوا في الكلام في السن والوقت العاديين.

٢- عدم تجاوبهم في فهم الكلام.

٣- عدم تمييزهم للأصوات.

ولكن لا يشترط بالضرورة أن تكون هذه العلاقات مشيرة إلى الصمم لأن ظروفاً أخرى غير متعلقة بفقد السمع ربما تكون من أسباب الظواهر السابقة، وهنا تبدأ أولى مراحل التشخيص المعقدة، فعند انعدام سجل زمني لعوامل الوراثة، ومضاعفات الحمى أو العلل التي أصيبت بها الأم في مراحل الحمل الأولى لا يمكن الجزم بوجود الصمم تبعاً للعلامات التي ذكرناها، والواقع - كما يقول الخبراء - أن الطفل الأصم يتجاوب مع بعض

الأصوات، وهذا يلقي الشك على الموقف، ولكن القضية معقدة وتحتاج إلى مزيد من البحث.

وهناك تعقيدات أخرى في عملية التشخيص فليس من السهل الجزم بوجود الصمم وخاصة إذا لم يتوفر سجل زمني للناحية الطبية.

وهكذا فإن أي خلل يشاهد في أجهزة إدراك الصوت يوصف على أساس تخميني إذ إن من هذه الأجهزة أجزاء داخلية لا يمكن رؤيتها، أضف إلى ذلك أن تجاوب الأطفال لمختلف المقاييس والاختبارات الخاصة بالصوت غير مؤكد ولا يقيني، فضلاً عن أن اختبارات التجاوب قد تتعلق بقابلية التجاوب.

ومن هذا كله يتبين أن تخمينات الخبر هي العامل المرجح، وبالطبع فإن صحة التخمينات تتوقف على خبرة الخبر وقدمه في ممارسة العمل.

ومن أجل الحصول على توجيهات مفيدة في هذا الموضوع يُستدعى أطباء النطق والكلام وعلماء النفس والأعصاب وغيرهم. ثم إن تغيرات صوت الطفل وتغيرات رد فعل الطفل على أصوات أو أوامر مفاجئة. وما قد يتفوه به الطفل من تعبيرات تقليداً لغيره وترثمه بلحنٍ ما مع أنه لم يتحدث أو يتفوه بأية كلمة، ولربما وفر لنا سلوك الطفل العام وقدراته العقلية علامات وإشارات على

التشخيص الصحيح فمثلاً ربما ظهر عند فحص العقل خللاً غير متوقع في أعصاب المخ وفي النهاية تجمع ملاحظات المختصين في الحالات المشكوك فيها وتُفحص وتُحص حتى يمكن الوصول إلى تشخيص صحيح.

ظروف مساعدة

وهناك ظروف أخرى تساعد على اكتشاف الصمم في الأطفال الصغار، وهي عبارة عن واحد أو أكثر من العوامل الآتية:

الضعف العقلي - الاضطرابات الانفعالية - الخلل في أعصاب المخ - الحُبْسَة أو الأفازيا (وهو مرض يؤدي إلى فقد القدرة على التعبير الحركي - الحسي). وليس عجيباً أن نجد أطفالاً مصابين بالأمراض السابقة في مدارس الصم، ونجد أطفالاً صماً قد وضعوا في مؤسسات ضعاف العقول. أما الأطفال الذين أصيبوا - لسبب من الأسباب - بالصمم بعد أن تعلموا الكلام؛ فإن تعقد الأمور يخف؛ لأن الطفل يستطيع أن يصف علته ويتعاون مع المختصين في إجراءات قياس سمعه.

إن الأصوات التي نسمعها هي عبارة عن ذبذبات، ويجدر بنا أن نعرف هذه الذبذبات.

الذبذبات وعيوب السمع

إن الأصوات التي نسمعها عبارة عن ذبذبات أو اهتزازات تلتقطها الأذن خلال القناة السمعية إلى الطبلة، ثم إلى سلسلة من العظام الصغيرة، فإلى الأذن الداخلية، ومن هناك تنتقل الاهتزازات عن طريق العصب السمعي إلى الدماغ فيتم الإحساس بها.

أما العيوب التي تصيب الإحساس السمعي (في كل أنواعه الولادية والكسبية) فمن الجائز أن تصيب واحداً أو أكثر من أجزاء الجهاز السمعي، فالعجز الولادي قد يتأتى نتيجة للخلل في أي جزء من عظيمات الجهاز الناقل للاهتزازات السمعية، ومن الممكن معالجة بعض حالات النقص في السمع بحيث نصل إلى نتائج أقل سوءاً، ونوقف تفاقم هذه الحالات لئلا تزداد مساوئها، وهكذا فإن استرجاع بعض السمع ممكن على الرغم من أن استرجاعه التام يكون نادراً إلا إذا كانت الإصابة نتيجة عدوى أو إصابة مؤقتة* .

ويكون ممكناً علاج الحالات المتسببة عن إصابة الأذن الوسطى عن طريق استخدام السماعات، وعندها يجب الإسراع في العلاج تخفيفاً لحالته ورده إلى الحياة السوية، وهذا الإسراع ضروري، وقد يتوقف بعض الناس عن استعمال السماعة بسبب الخجل والعار،

* راجع الطفل العاجز: أدبت ستيرن وإلز كاستنديك ص ١٤١.

والواقع أنه لا يوجد أي عار في ضعف السمع، وكلما كان كشف هذه الحقيقة ومعالجتها مبكراً كان ذلك أجدى للطفل وذويه، والطفل عادة يتبع اتجاه الأبوين، فإذا كان هذان الأبوان يريان العار وسوء الحظ فهذا ينتقل إلى الطفل. وإذا وجدنا إنساناً صعباً لا يرضى بالسماعة وفتشنا في حياة هذا الإنسان فسنلمس قطعاً الاتجاه الخاطئ الذي اتخذته أسرته حين كان طفلاً بين الأطفال.

وتُنصح الأمهات أن تشغل وليدها المضاب في مساعدتها بترتيب طاولة الطعام، وفي العناية بحيوان أليف كاهرة أو الأرانب أو الطيور وأسماك الزينة، ويُساعد على العناية بحديقته الصغيرة أو الورود، ويمكن تكليفه بترتيب الزينة حين تقوم الأسرة بمناسبات الأفراح، ويؤدي كل هذا إلى تفتح نفسيته وإشراق سعادته ولو كان لا يسمع، ولكنه يحس بشخصيته في أحوال كهذه، ويحس بأنه يقوم بعمل نافع في منزله وذلك يؤدي إلى دفع مشاعر السخط والحقد على ذاته وتحويلها إلى سوداوية، ومعروف أن من يغضب يمكن أن يرضى، أما من يحقد فإنه يصعب عليه أن يحب.

مع الأمهات

إن الحب أشبه الأشياء بشمس الربيع التي تجلب الدفء فيذوب الثلج، وهكذا فإن عليك أن تشغلي ولدك الأصم وتشعريه بالسعادة في ظل حنانك وبرغم أن ولدك لا يسمع ماتقولين لكنه

يدرك من السياق ومشاهدة الرضا والتصبي أنه موضع تقدير. ويتأكد حبه له حين تتحلل بالصبر على انفعالاته، تذكري أن ولدك يبذل جهوداً كبيرة من أجل أن يتكيف مع من حوله وتوقعي أن يشعر بالضيق أكثر من غيره، ومن حسن الحظ أن تكون سعة الصبر عندك طبيعية، وإذا لم يتوفر عندك ذلك فاجعلي من حبه لولدك المسكين داعياً إلى الصبر وعدم الجزع، وتذري بتشغيله والكلام معه، فإنه يسمع بعينه الرضا ويفهم من حركات شفطيك ماتقولين، ويهمنا أن نتبين هنا أنه لو وجد بعض الأشرار يدخلون منزلك ويلجؤون إلى السخرية بطفلك، فإنه عليك أن تفهمهم بحاجة ولدك إلى من يحسن التعامل معه، وإذا لم تصلح الأحوال في إمكانك أن تستغني عن أصدقاء على هذه الشاكلة، وتعمدي إلى صداقة آخرين قادرين على تفهم الأمور ومدركين للأوضاع.

وإذا أحصيت الأمور التي تبعث على الانسراح والتقدم لدى ولدك فستجدين مجالات كثيرة في ألعاب الكرة وفي العمل، وستلقين ولدك ينجح ويحرز الكثير من التقدم مما يبعث في نفسه الرضا والكثير من السعادة، ويكون نوعاً من الثقة بذاته والثقة بالآخرين، فهذه الثقة إذا وجدت كانت أفضل من الكلام والقول ((لا تخف)) بكثير من المرات.

برامج تعلم الكلام

يستطيع الطفل الأصم أن يتكلم برغم أنه قد لا يسمع كلامه، ومعروف أن الكلام يرتبط كثيراً بالفكر، بل هو الفكر معبراً عنه باللغة، وهكذا فاللغة ليست مجرد وسائل تستعمل للاتصال بالآخرين فقط، بل هي شرط ضروري لارتقاء الفكر.

وهكذا فحين نكسب وليدنا الأصم الكلام فإنه ينمو عقلياً واجتماعياً.

ولقد تقدمت في السنوات السابقة الأخيرة برامج تعلم الكلام وهي تعتمد في معظمها على العيون واللمس.

ففيما يتعلق بالعيون فإن الأصم يُدرب على أن يستفيد من مشاهدة الألفاظ، وفيما يتعلق باللمس يستطيع الأصم أن يضع يده على فم الذين يخاطبونه أو على حناجرهم، وكل هذا من أجل أن يتعرف على عالم الأصوات والذبذبات التي ترافق الكلمات، وبذلك تقوم العيون والأنامل مقام الأذنين في التقاط الكلمات. وحالما يتعلم الطفل كلمة مثل (ماما) ويفهم معناها يطلب إليه بالإشارات أن يتفوه بكلمة (ماما) ويُساعد على استعمال هذا اللفظ، وينتقل الطفل بعد ذلك إلى كلمات أخرى مثل بابا - دادا - كوكو فتتطور ألفاظ الأصم ويكتسب بفضل عيونه وأنامله الكلمات، وحين تكثر هذه الكلمات التي يكتسب

التفوه بها يغتني قاموسه اللغوي فينمو تفكيره ويفتح ذكاؤه. وكل جهد في هذا المجال لأبعد ضائعاً لأنه قد تصعب تجارب تعلم الكلام في البداية، ويقولون: إن الصبر يجب أن يتوفر في التجارب الأولى.

وسنرى إذا تم ذلك أن الطفل يكسب شخصيته وينفعل انفعالات الفرح والرضى مما يساعده على الاقتراب من السواء، ولو أن العودة إلى السواء الكامل لا تكتمل إلا في حالات نادرة مثل (هيلين كيلر) التي أصبحت تحاضر في الجماهير وتتحدث بصعوبة أول الأمر ثم بانطلاق. وهناك محاولات مماثلة لتعليمه سماع الموسيقى وذلك بوضع أنامله على أصابع البيانو.

وقد وجدت صفوف كثيرة تقوم بتدريبات من هذا القبيل وتكونت معاهد ومدارس في سن الحضانة وسن الكبار، ويترتب على الأم حين تسمع بوجود هذه المدارس أن تسعى ولا تتردد في إرسال ولدها إليها، حيث يتلقى الطفل لا العلم وحده بل الأُنس بالمزايا المتعددة للعيش مع الآخرين واشتراكهم سوية، وواضح أن أفضلية هذه المدارس تتجاوز التعليم والأُنس إلى منع العزلة بكل مساوئها، ويرى بعض المختصين أنه حيث تتوفر البرامج في المنازل فإنها تُفضل على المدارس لأسباب تتعلق بالأمن في الأسرة والحب العظيم اللامحدود إلى جانب ضرورة أن تتحدث الأم إلى وليدها، إذ إن مثل هذه الأحاديث لاغنى عنها ولا بديل ولا يوجد ما هو أبداع منها.

عالم الصمم

لنتخيل أن طفلاً ولد أصم في بيئة تتوفر فيها متطلبات الجسم والنفس، فكيف يكون موقف هذا الطفل وماهي خصائص عالمه؟.

سيكون عالمه خلواً من صوت أمه الحنون وهددهاتها وأنغامها التي تساعد على النوم عند الأطفال العاديين، وستغيب عنه أصدااء الضحك حين يضحكون، كما يغيب مواء القطط ونباح الكلاب وتغريد الطيور، وسيظل بعيداً عن أن يسمع أو يفهم معنى الاستحسان في التصفيق كل هذا فضلاً عن الموسيقى والألحان.

ستضيع فرحته حتى في سكونه كما ضاعت حرارة الحنان والعطف. سيكون عالمه بارداً غريباً قاحلاً ماحلاً من أي معنى لأي صوت يدفعه للشعور بواقع الحياة والتعامل مع الناس.

وحينما يكبر سيحملك فيما حوله متسائلاً عن بسمات الوجوه والوجوم، سيظل كل شيء حوله غامضاً لأنه حُرْم من إمكانية السؤال والاستفهام، وقد يعتريه شيء من الخوف والتذمر ولكن دون جدوى؛ لأن جدار السكون لايزال ويظل مطبقاً حوله.

وغالباً ماتكون البيئة العادية مبعث حيرة أكبر له بسبب اختلاف نواحي النشاط التي يقوم بها أفرادها من ذوي السمع.

وهناك أشكال متفاوتة لمشاعر الأبوين تجاه الطفل الأصم، هناك الشعور باليأس أو الذعر - الإحساس بالإجرام تجاهه - الخجل - الرفض والإعراض:

ولكن حين يتكيف الآباء مع الحالة فيقبلونها يكونون قد حققوا نصف النصر في هذه المعركة، ولكنهم في حالات عديدة لاحصر لها يصرون على تحويل الأصم إلى طفل سميع عن طريق لجوئهم إلى طبيب بعد طبيب، وحين يشعرون بالإخفاق يلجؤون إلى مدارس الصم سواء أكان الطفل مستعداً أم غير مستعد، وعلى هذا فهناك أطفال لا يحصلون على شيء من آرائهم الذين تركوهم للمدرسة تتولاهم وتتصرف بهم.

إن لغة التفاهم هي أهم عوائق الصمم، على حين يكون التعليم الصحيح هو المنقذ، لكن مؤسسات التعليم المختصة لا تتصرف ولا تستطيع النفاذ خلال جدران السكون والصمت بالسرعة الكافية، ولهذا يحصل تأخر كبير في تطور الطفل الأصم بسبب ببطء تعلم اللغة.

واقعة

وبالمناسبة فقد حاول الأب (Rutten) أن يخترق جدار اللغة عند أطفاله الصم، فأطعمهم خلال أيام من الفاصولياء وجعلهم يشعرون بالتوق لها ومحبتها، وأخذ بيديهم صور الفاصولياء في

لوحات ورسوم ويجعل الفاصولياء الخضراء بين أيديهم.. وهكذا إلى أن شعر بتآلفهم مع الفاصولياء وتوقهم إليها إذا غابت... ثم عدا إلى حديقة المؤسسة وقدم لكل طفل ثلاث حبات من الفاصولياء الجافة لغرسها في الأرض، ومضى يعتني وإياهم بالأرض المزروعة وسقايتها، ولما نبتت صار يشعروهم بالتوق الشديد إلى اكتمال نموها ويظهر لهم الفرح، فصار الجميع يعتنون بالمشاتل منتظرين أن تكبر ويقطفوا ثمارها، ولما كبرت وظهرت ثمارها بالقرون كما هو معروف وعدهم أنهم في الغد سوف يقطفون القرون ليتعشوا بها ويسعدوا، وهنا وقبل إجراء القطف كان قد أوصى أطفالاً آخرين عاديين أن يعمدوا إلى تحطيم النباتات كلها مع الثمار فحطموها بالفعل في غياب الصغار الصم، وتركوها كلها يباباً ممزقة ومحطمة، ويخرج الأب مع الأطفال إلى الحديقة في الصباح التالي ويشهد مع المجموعة المزروعات الممزقة المداسة ويُظهر لهم بحركات وجهه الحزن والأسى من أجل أن يأسى الجميع لما صار، ثم يكتب على اللوح كلمة (Desespear) أي اليأس مفهماً إياهم أن اليأس هو ما حصل للجميع وذلك بعد الأمل، لقد كان يسعى ليدرك صغاره معنى اليأس. وظهر الأسى على وجوه الجميع واعتقد الأب أن معنى اليأس وصل إلى الأطفال الصم، فراح بعد ذلك يتحدث في الصحف المحلية عن نجاحه بإحداث اليأس عند الصغار، أعجب قارئو الصحف بهذا

الأسلوب الصبور الذي تطلب مدة شهرين، وعلّق بعضهم مستحسناً ومقدراً صبر الأب، ولكنّ بعضهم ذكر فقال: مايدرينا أن الأطفال أدركوا معنى اليأس أم لم يدركوا؟ ولعلهم ظنوا أن كلمة اليأس التي كتبت على اللوح تعني الفاصولياء (المعوسة)!! سبجان الله إننا منذ طفولتنا إذا سمعنا بكلمة اليأس أو قرأناها في كتاب واستفهمنا عن الكلمة يُقال لنا في ثوان قليلة إنها انقطاع الأمل أو موت الرجاء فنذكر كل شيء في ثوان من دون هذه التجربة الطويلة العريضة التي استغرقت بضعة شهور.

نعود إلى تعليم الصم الكلمات الجديدة، حيث يرى المختصون أنه يستحيل تعلم الكلمات الجديدة إلا إذا اكتسبوا الكلمات القديمة. ولعل أهم ما في الموضوع تعليم محتويات الكلمات المعنوية، فتارة تكون مثلاً كلمة الحب تعني الحبيب أو المحبوب أو فعل الحب أو صفة الشيء المحبوب أو الإنسان المحبوب أو اللعبة المحبوبة وكل هذا جائز ويحتاج إلى تمييز... والتمييز هو الإشكال وهو الصعوبة.

هذا وحين يلجأ المعلم في مدارس الصم إلى طريقة تحريك شفثيه، فإن تحريك الشفاه يتطلب ترجمة العلاقة بين صورة الشفثين (حين تتحركان بالكلمات) بالمعاني التي تحملها.

وهنا يتوجب علينا أن ندرك العلاقة القوية بين التقدم اللغوي والتقدم العاطفي، ونعني بهذا أن اللامعين الأذكىء من الصم إذا

تقدموا لغوياً فسرعان ما يتحول تقدمهم اللغوي إلى تقدم انفعالي أو عاطفي.

ويظل أمام الأصم في تعلمه الألفاظ أن يفهم ويتذوق مغزى الحوادث اليومية، والظواهر الطبيعية والعلاقات والعادات الاجتماعية البسيطة، ولهذا يُرجح أن الأصم مهما تعلم من الكلمات، فإنه يظل بعيداً عن إدراك روح الدعابة أو النكتة، أو هكذا يُظن.

الخلاصة:

إن الإدراك الذهني عند الأصم ونموه الانفعالي وتطوره الاجتماعي كل هذا يظل مرتبطاً بعاهته خلال مدة طويلة ريثما يبلغ الأطفال بلوغ الرجال.

أبحاث في الأمور المزاجية للصم

- وجد ليون (lyon) أن النسبة المئوية للطلاب الصم الموصوفين بعدم الاتزان العاطفي تزيد بمقدار الضعف لدى الطلبة العاديين في نفس السن.

- وجدت أبحاث برنشفيك (Brunshicg) أن الصم أكثر انطواء من زملائهم العاديين بمقدار قليل كما أنهم أقل حياً للسيطرة.

- أما أبحاث روسلو (Roslow) فأبانت أن الأطفال الصم لديهم استعداد أكبر قليلاً للاتجاهات العصائية.

توصيات ونصائح إلى الأم

- ١- تقبلي بسرور كلام طفلك وشجعيه على النطق مهما كانت درجة إعاقته. تجنبي التصحيح المتكرر لكلامه الخاطيء.
- ٢- تحدثي في أذنه بهمسات حنونة أطول مدة ممكنة في اليوم، وسترين أنه يصحح أخطائه مع الأيام.
- ٣- كوني صابرة على تنوع لهجته وبطء كلماته وعلى ارتقاء أو انخفاض كلماته واعلمي أن استماعه إليك إذا كان متوازناً فإنه سيكتسب التوازن في كل النواحي.
- ٤- ستزين أن طفلك يرغب بالكلام ويعي كل مايقال له فتأبري على الصبر والانتظام كي يصل إلى ولدك كلام مفهوم أكثر فأكثر مع الأيام.
- ٥- اسعي لأن يفتح وعي طفلك كي يستمتع ويدرك مباحج الحياة التي أوجدها الله خالقنا العظيم الجميل، في الطبيعة الحلوة، في الورود والزهور، والفراشات والطيور في الحقول والنجوم، في الليل وفي الغابات والبحر. تحدثي حول كل هذا ودعيه يتحدث بدوره فتتم المحاورة بالطرق المثلى.
- ٦- قد يظن بعضهم أن ارتفاع الصوت ضروري في الكلام مع الصم البكم وهذا ظن خاطيء، ومعروف أن الصوت المرتفع نوع

من الضجيج والتلوث، ثابري على الكلام اللين المشبع بالحنان والتحبُّب.

٧- تحدثي معه وأنت تعبرين أنه يفهمك، ومن الخطأ أن تتحدثي بالغمغمة أو طمس الكلمات.

٨- حاولي دوماً أن تتحدثي بجمل قصيرة ومقتضبة، وبوسعك أن تنوعي كلماتك لتؤدي نفس المعنى، فإذا لم يفهم جملة (مُن هذا الكتاب نصف ليرة)، فإن بوسعك أن تقولي بطريقة أخرى: تستطيع شراء هذا الكتاب بنصف ليرة.

٩- دَعِكِ من استعمال الأيدي والإشارة فهذه أشياء كانت مستعملة طويلاً، والأفضل أن تجمعي كل اهتمامك بواسطة الكلمات.

١٠- لاتنسي أن تستفيدي من الأنغام والأصوات الشجية سواء بالآلات أم بالنشيد الملفوظ وإذا أحب طفلك مقطوعة فكرريها له مهما كان عدد طلباته لها.

هذا وحين يدنو طفلك من المراهقة فسيكون في مرحلة تفكير بمستقبله، وإذا كان الصمم قد منعه من أن يكون طبيباً أو موسيقياً أو ممثلاً فابذلي جهودك لتوجيه ميوله نحو وظيفة قريبة ومماثلة، فإذا عجز عن أن يكون صيدلياً فإن بوسعه أن يتعلم التحصيل بمختلف أشكاله.

وعليك أيتها الأم أن تنتبهي إلى قضية كلام الناس، فهو أولاً مايزال يستعيد التوتر أمام الغرباء وهو ثانياً قد أَلِفَ أسلوبك في

التحدث، ولذا فإنه يترتب عليك أن تفهمي الآخرين الذين يودون التحدث معه بطبيعة مهمتك والصعوبات التي مررت بها وكيف تغلبت عليها، وهو في الغالب يعجز عن الكلام بطلاقة مع أناس أغراب، وهو يعتقد أن معظم الموجودين معه يتحدثون عنه وقد يكون هذا صحيحاً في بعض الأحيان.

وشيء آخر هام فإن عودة الطفل إلى الريية بحالته وفرط الحساسية، هذه العودة تدعو الأم إلى أن تعود إلى مرونتها أمامه وسلوكها سبل الحنان والتسامح مع انفجاراته المعهودة..

ولست مضطرة إلى العمل المنفرد في كل ماذكرنا بل هناك هيئات مستعدة للمعونة ولدعم جهودك الشخصية، ومن المحتمل أن تشعري بشيء من الخيبة المفاجئة بعد التقدم الذي أحرزه فعلى أية حال إننا نشكركِ على جهودك، ويكفيك أنك تتمكنين من أن ترحزي الطفل عن تقوقعه، وتحويله كي يتجه صوب الحياة النافعة والتفكير السديد، وإذا أمكنك أن تصنعي إنساناً سعيداً من حطام شخص حزين، إذا أمكنك ذلك فسوف تشعرين بالإحساس العظيم بالفلاح والنجاح والتقرب من مستويات الواجب، أعني واجب الشكر لله على أن جعلك أداة للخير والإسعاد والتعويض، واحتسبي كل ذلك عند الله فستدخل أعمالك كلها في صورة العبادة.

العيوب اللفظية

ليس في الوجود أجمل ولا أحلى من مناغاة طفل يحاول الكلام، أما أبواه فيجدان لذة خاصة لدى سماعهما أخطاءه في الكلام ويستمتعان ويرددان الألفاظ المتأكلة من بعض أطرافها. ولهما العذر في ذلك فهما لا يكفان عن الإعجاب بكل ما يأتيه ولدهما، وتسحرهما بوجهٍ خاص كل محاولة في النمو والتقدم والتأخر يقوم بها طفلهما الغالي.

ولكننا إذا آثرنا مصلحة الطفل وغلبناها على المتع فسنبسطر إلى أن نطلب من الأبوين ألا يستمرتا هذه اللذة الآسرة لئلا تخرج عن حدودها المعقولة، فتعوق الطفل من إحراز التقدم في الكلام. يلحظ المختصون أن كل الأطفال بين السنتين والأربع سنوات يخطئون في ألفاظهم، فبعضهم يخطئ بتلفظ أصوات معينة أو كلمات خاصة، وبعضهم يخطئ في تأدية سائر الكلمات، فإذا انقضت السنة الرابعة واستمر الطفل بالخطأ، فعلى أبويه أن يعمدا إلى تصحيح عيب يمكن أن يستفحل ويغدو كبيراً كلما كبر الطفل على اعتبار أن أخطاء الصغير صغيرة وأخطاء الكبير كبيرة.

والأسباب العضوية لعيوب اللفظ وإن كانت موجودة إلا أنه يمكن حصرها فهي قليلة، وفي حالات محدودة جداً يمكن لعملية

جراحية بسيطة أن تكون مجدية وأكيدة، أما القول التقليدي القديم الذي يدّعي أن في لسان الطفل عقدة أو عقلة تمنع من جودة الكلام ويجب قطعها، فهذا القول لا يثبت للبحث التجريبي العلمي.

وهناك سبب آخر أكثر انتشاراً بين الأطفال وهو ((ضعف السمع)) أو اضطرابه، فمثل هذا الاضطراب إذا وجد فإنه يمنع من سماع بعض الأصوات، وهنا يترتب على الأبوين أن يسرعا الخطأ نحو الطبيب المختص مهما كان ذلك الضعف كبيراً أو صغيراً.

ويؤكد المختصون أن في كل أربعة من خمسة أطفال يسيئون اللفظ لا توجد لديهم آفات عضوية، وهذا يعني أن بالإمكان أن تُصحح ألفاظهم ونطقهم ويسلكوا مسلك الأسوياء الكبار...

على أن أكثر العيوب انتشاراً بين الصغار يقوم على استبدال مقاطع لفظية بمقاطع أخرى أو استبدال أصوات بأصوات ثانية.

فهناك أطفال يقولون: حِثان بدل حصان (ص = ث) عندهم

أو يقولون: أنا ثبعت بدل أنا شبعت (ش = ث) عندهم

أو يقولون: أكلت كيم بدل أنا أكلت كريم (ر = ي) عندهم

أو يقولون: تلب بدلاً من كلب (ك = ت) عندهم

وتجاه هؤلاء جميعاً يمكننا بل يجب علينا أن ندرّبهم على تصحيح ألفاظهم استناداً إلى تمييز كل حرف وعزله عن الكلمة وتعويد كل واحد أن يعطي لكل حرف لا يتقنه استحقاقه.

إياكم والتأخر

يرى العلماء أن التصحيح المناسب يجب أن يتم بين (٤-٧) سنوات وبعد هذه السن يكبر الطفل ويدرك خطأه بعقله، ولكنه يظل محروماً من تصحيحه، فيدفعه هذا إلى أن يتصرف تصرفاً منحرفاً لا يلائم شخصيته ولا يكون في صالح تقدمه ومستقبله. وأول ما يجب أن نصنعه هو أن نقدم للصغير النموذج السليم للألفاظ.

- كلموا طفلكم بألفاظ واضحة غير منقوصة.
- كلموه وكأنه شخص كبير ومدرك.
- إياكم أن تكرر عيوبه اللفظية أو تلتفظوا على طريقته لا بدافع التصحيح ولا بدافع الهزاء والسخرية أو التسلية.
- ونصحكم ألا تُلحوا على ابنكم أو تطلبوا منه بالقسر أن يخرج اللفظ الصحيح، فمن شأن القسر أن يكون التوتر، والتوتر ليس في صالح أحد.
- حاذروا أن تطيلوا النصح بتكرار التصحيح، فالكلام وُجد أو يوجد للتفاهم، وخطأ الكثيرين أنهم يجعلون الكلام للكلام.

الطريقة في العلاج

- نعود فنذكركم بالصبر، فهو أول وأهم ما يعتمد عليه في المعالجة.
- خصصوا فترات في النهار تكونون فيه وحدكم مع الولد.
- ضعوا قائمة تسجلونها بعيوب لسانه وأخطاء ألفاظه.
- ادرسوا حركات اللسان والشفيتين الضرورية للنطق الصحيح.
- استعينوا بالمرآة خلال جلسات قصيرة تحاولون فيها تحريك فمه بالحركات الصحيحة.
- لنفرض أنه لا يتقن حرف الراء فيستبدل بها (ي) ويقول: (إبيق) بدلاً من (إبريق)، قولوا له: انظر كيف نقول ر ر ر را را را ري ري ري... إلخ. واطلبوا منه أن يكرر معكم كل ذلك وبعد التمرينات المذكورة يمكن اللجوء إلى كلمات مثل أميرة - درب - دير الزور - وعندما يتقن الطفل حرف (ر) ويستعمله استعمالاً صحيحاً في الكلمات، اطلبوا منه أن يأتي بكلمات فيها (راء) ثم بجمل مثلاً (أمر أمير الأمراء بحفر بئر في الصحراء)، (رأيتُ حماراً في الطريق).
- وتستعمل الطريقة ذاتها بالنسبة لحروف أخرى مثل الكاف والجيم والشين واجعلوا هذه المعالجة بمثابة تسلية، وسترون بأنفسكم المتعة التي تخامركم مع الصغير إذ ينجح في أداء هذه الألعاب.

وبالطريقة نفسها عالجوا خطأ جعل (الشين) (سين) و(الجيم) (زيم) و(السين) (ثين)، واعلموا أن الاستماع وحده لا يكفي بل لابد من التمرينات كما أشرنا، لابد من النطق الصحيح.

احذروا من الانتكاس

قد يتدرب بعض الصغار الذين اعتادوا الخطأ في التلفظ ونجحوا في تصحيح أقوالهم وأتقنوا استعمال الكلام بشكل مقبول، ولكنهم عندما يكبرون قد يستعيدون أساليبهم السابقة بدافع المزاح (الذي يمكن أن ينقلب إلى جد) أو بدافع التطرف أو لأسباب أخرى مثل ولادة أخ جديد لهم، أو مجيء أطفال آخرين راحوا ينافسونهم ويدفعونهم خلال فترة طويلة، وهكذا نرى - وهذا رأي صحيح علمياً - أن الانتكاس محتمل حصوله عندما تستخدم الأمور ويضطر الذين كبروا إلى أن يستعيدوا سلوكهم الطفولي ظناً منهم أن ذلك يعيد إليهم الاهتمام بوجودهم مثلما كانوا صغاراً.

وهكذا فإذا قدم الأبوان لهؤلاء الأطفال مزيداً من الشواهد التي تؤكد استمرار محبتهم وأقنعا أنه ما يزال موضع تقدير وإعزاز وأن مكانته لم تتزعزع في لحظة من اللحظات، إذا فعلاً ذلك كسباً كسباً بلا حدود.

وهكذا فحين يحاول الطفل الكلام لينقل أفكاره ومشاعره
يخونه النطق أو يثقل عليه أو يتلجلج أو يتكلم بكلام غير مفهوم
ولربما عجز عن الكلام بالكلية.

وما يجزّ في قلبك وقلب كل صديق أن يرى هذا الطفل يحيا
منعزلاً ((في وحدته)) بسبب عجزه عن الاتصال الطبيعي
بالآخرين، بل وقد تصبح الصلة العاطفية مع أبويه متعذرة أو شبه
معدومة، وفي وضع كهذا لاتتاح للطفل أن يأخذ المعاني لأنه
عاجز عن العطاء اللفظي، وكثيراً ما يعوقه هذا عن تفهم الواقع
والطبيعة الإنسانية.

وعندما يتعذر على زملائه في المدرسة أو رفاق اللعب أن
يتجاوبوا معه أو يتحاشونه، تتعمق الثقة المفقودة ويزداد الأمر
سوءاً، وتستحكم معه الدائرة المفرغة.

ونتيجة لشعور الطفل بالانعزال قد يصبح ((غير متعاون))
وينعدم حماسه وتجاوبه، ويساوره شعور ((برثاء نفسه)) وقد
يتحول الأمر إلى أن يصبح ((فضلاً غليظاً)) ويسلك السلوك
العدواني. ويقتضي الأمر أن نعاون الطفل على تحسين عيوب
الكلام عنده ويستدعي هذا مساعدة المختصين واستشارة طبيب
الأسرة الذي قد يوصي بالتوجه إلى الجراح أو طبيب الأسنان أو
المختص بمعالجة عيوب الكلام.

ورغم أن هؤلاء المختصين هم الذين يتولون العلاج وتشخيص الحالة إلا أنه تقع على الأم وحدها مسؤولية وضعه العاطفي الذي إذا كان حسناً كلل جهود الجميع بالنجاح. وهكذا فإن ماتفعله الأم مع صغيرها إما أن يزيد من نجاح عملهم أو يفسده ويقضي عليه.

وفي كثير من الأحيان تتعدل الأمور ويغدو كلام الطفل طبيعياً وفي معظم الحالات يكون التحسن ملحوظاً وقوياً.

وأياً كانت طبيعة العيب الذي عنده، فإن طفلك أيتها الأم يحتاج - كغيره من الأطفال - إلى الشعور بالحب والثقة والطمأنينة. كما يحتاج إلى أن يفهم ويفهم هو على أن في عيبه ما يدعو إلى الخجل أو العار، ومن البديهي أنه يتعذر بل يستحيل منع الصغار من السخرية به أو معاكسته، وهذا يدعو الأم إلى التخفف من ملاقاته الصغار بطفلها لكن المهم ألا ترى الأم في الأمر ما يدعو إلى القلق والإحساس بالنقص أو أن لوماً يوقع عليه.

وإذا كان للطفل إخوة في البيت وأخوات فإنهم يحذون حذو أمهم، بحيث إن الأم التي لا تظهر الأسى أو الخجل من ولدها ستترك في نفسية الإخوة شعوراً مماثلاً أو توجهاً قريباً.

ولا يعني هذا - بطبيعة الحال - أن تظهر الأم تمام الرضى ثم تدع الأمور تتابع سيرها، بل عليها أن تظل تطالب طفلها وهي هادنة

ببذل جهده في حدوده الخاصة، إذ ليس لها أن تتوقع منه ما يستحيل عليه، والواقع أن الحد الفاصل بين حفز الطفل للوصول إلى مستويات معقولة من التحسن وبين إيقاعه تحت الضغط خط فاصل ضيق، والقائم بأمر العلاج هو الذي يمكنه من تحديد الحدود.

ولما كان من أهم الأمور للطفل الذي يعاني من هذا الضعف هو تشجيعه على الكلام وتلافي كل مامن شأنه أن يثبط همته، فإن من الواجب أن يكون للكلام ارتباطات سارة، وأن تمتنع الأم امتناعاً كلياً عن أي توبيخ أو عقاب طفل يعاني من هذا العجز بسبب النطق غير الصحيح.

ومن الأفضل في بعض الأحيان تحديد فترة معينة ثابتة كل يوم لتصحيح الكلام، على أن تترك للطفل في غير هذه الفترة المحددة أن يتكلم بحريته وعلى طريقته دون أن يقاطعه أحد بالنقد أو التصحيح؛ لأن محاولة الطفل التعبير عن نفسه تساعده على بناء الثقة التي غالباً ما تهتز من احتكاكه بغيره من الصغار.

ومن المفيد أن تزيد الأم من شعور الطفل بالنجاح فيما لا يتعلق مباشرة بالكلام، وذلك بتشجيعه على ممارسة وتعود بعض الحركات والألعاب أو الدراسة أو الأناشيد إلخ، من أنواع النشاط التي يمكن أن يظهر فيها التفوق، فذلك يؤثر تأثيراً لا يُنكر على بناء ثقته بنفسه.

كما يمكن معاونة الطفل أن يوضح مشكلاته في المدرسة أو الطريق بطريقته الخاصة دون أن يحاسب على أخطاء الكلام وذلك لأن تفريغ التوترات من الأمور الضرورية له. فهذا أفضل من أن يكبت مشاعره ويظل يكبتها، وإذا تمَّ هذا الكبت تطورت الأمور إلى ظهور اضطرابات نفسية.

وكما هي الحال مع مريض القلب فإن الطفل الذي يعاني من العجز في حسن الكلام، فإن جو التوتر في البيت لا يناسبهما. ويقتضي هذا التقليل إلى أقصى الحدود من الخلافات العائلية المنغصة للجميع، وللأطفال بوجهٍ خاص.

هذا ومن الجائز أن يكون العيب في الكلام راجعاً إلى تشويه بالفم أو لسوء وضع الأسنان، أو لضخامة اللسان أو ضموره، وكل هذا يمكن أن يعالجه أطباء الفم والأسنان ولا يُنسى هنا دور التدريب.

وقد يكون من الكشف الطبي وجود ضعف في حاسة السمع ولاشك أن تحسن سمع الطفل سيؤدي إلى تحسن ألفاظه وكلماته وإذا كان الطفل مصاباً بالشلل الدماغى (Cerebral Palsy) وكان نطقه للكلام ضعيفاً وبطيئاً ومتلجلجاً بسبب ذلك؛ فإن من الواضح أن سوء حالة الدماغ تؤدي إلى اضطراب العضلات في النواحي المتعلقة بالكلام أو النواحي الأخرى بشكلها العام.

وأما إذا كان الطفل مصاباً بانشقاق سقف الحلق (Cleft Palate) أو بشفة أرنبية، فإن عيوب الكلام راجعة إلى هذه الإصابة.

ولكن من حسن الحظ أن الجراحة والوسائل التي ابتكرها الإنسان يمكنها أن تعدل مساوئ الطبيعة وكثيراً ماتعالج الأمور معالجة ناجحة، هذا إذا توفر للطفل الإشراف الطبي المستمر متعاوناً مع المختصين الذين يعملون بهذا الصدد ولا ننسى أهمية الجو العاطفي السليم في الأسرة.

هذا ومن الضروري إزالة الخزعبلات الشائبة بين الناس المتعلقة بالشفاه المشقوقة، وانشقاق الحلق، بالذكاء والادعاء أن هناك ((دماً رديئاً)) أدى إلى ذلك، إذ إن الشفاه المشقوقة وكذلك انشقاق من الحلق تظهر دون تمييز بين الأطفال الأذكى والأغبياء وبين الفقراء والأغنياء، كما يحتاج الأمر إلى استشارة الطبيب لمواجهة مشكلات التغذية التي قد تنجم عن وجود تشويه بالفم، ومعروف أن الطفل المصاب بانشقاق سقف الحلق يتعرض لأذيات الرشوح ونزلات البرد أكثر من الطفل سليم الحلق، والطبيب المختص يقدم مشورته ونصائحه في مثل هذا الوضع.

وعندما تظهر للطفل الأسنان اللبنية الأولى لا ينبغي أن تقلق الأم إذا رأت هذه الأسنان تبدو غير مستقيمة فطبيب الأسنان سيتولى إصلاح الأمور هذه.

والرأي العلمي السديد يوصي الأمهات بالاهتمام بالأسنان الأولى، ولو أن الناس يقولون: لاداعي للاهتمام بالأسنان الأولى مادامت ستتغير، وفي الواقع يحتاج الإنسان إلى أسنان جيدة في جميع أطوار نموه.

وأياً كانت الأصوات أو الصراخ الصادر عن الطفل، فإنه يجب أن يقابل بالسرور والاستحسان، كما ينبغي تشجيع الطفل على المناغاة بمداعبته والتحدث إليه لكي يصبح صوت الكلمات مألوفاً لديه.

ويخطئ بعض الآباء إذ يهملون استثارة أطفالهم في حالة انشقاق سقف الحلق لإحداث الأصوات، رغم أن صغارهم لن يتمكنوا من الكلام مطلقاً، ولكن التصحيح في تركيب الفم عن طريق الجراحة وطب الأسنان يمكن الطفل من الكلام، وفي كل مرة يدرّب الطفل عضلات الكلام، عن طريق إصدار الأصوات، فإنه يعمل على تنميتها، ولهذا السبب نفسه يجب الاهتمام بتعويد الطفل على المضغ.

ولاشك أن تصحيح تركيب فك الطفل يحتاج إلى درجة عالية من المهارة، وعلى ذلك يجب التأكد من أن الجراح وطبيب الأسنان اللذين تلجأ إليهما من المتخصصين في هذا العمل، ومن

المؤكد أنهما سينصحان باستشارة المختص بالكلام الذي يصبح في هذه الحالة أحد أعضاء فريق التأهيل الذي يقوم بالعلاج.

وسيدرك المختص بعلاج الكلام بالتدريبات (التي يمكن تمرين الطفل عليها في البيت)، شأنه كمن يأخذ درساً في الموسيقى ويداوم على التمرين بالبيانو. وعادة ماتكون هذه التدريبات غريبة ومسلية، فتدريب الغرغرة يمكن أن يتناوله المشرف بطريقته بحيث يصبح نوعاً من اللعب أو التسلية لا مجرد إحداث صوت. ويمكن في هذا اعتبار الطفل بمثابة المقعد على اعتبار أنه مقعد في الكلام أي إن المطلوب تخفيف شأن الأمر وتبسيطه حتى يتفاهل الطفل، مع لزوم ألا ينتقل شعور الأبوين إلى الطفل بطريق إظهار الرثاء له؛ فإن هذا يشعره بالنقص. وحذار من إجراء مقارنة بينه وبين إخوته أو أن يندب حظه على إصابته. والحق أن طريقة تقبلنا الأمور ونوع شعورنا بها، يكون له دخل في سعادة المرء أو تعاسته أكثر من واقع الأمور نفسها.

وعندما يبدأ الطفل يتعلم الكلام، حاول أن يكون التصحيح دون إبداء شيء من الضيق أو التبرم، أو أن يبدو منك ما يشتد منه رائحة التأنيب أو اللوم. ويجب التأكد من تعلمه إحداث الأصوات قبل أن تطالبه بتصحيح الصوت أثناء استعماله.

وإذا بدا أن الطفل ضعيف في عمله المدرسي، فهذا أمر طبيعي ومن الظلم أن يطالب بما فوق طاقته، إذ أن ما يعانيه من ضيق بسبب مظهره وصعوبة كلامه لاشك يعوقه من التقدم بعض الشيء.

ولعل أصعب الأمور التي يحسن مراعاتها خلال الوقت الذي يعيش فيه الطفل تصحيح العيوب وتحسين الكلام هو أن تقف موقفاً وسطاً من العلاج فلا أنت باليأس منه ولا المنتظر وقوع العجائب، ولكنك إذا سرت في الحدود وراعت الأهداف التي يضعها الاختصاصيون، فإنك ستصل بطفلك إلى بر الأمان.

ولو أن الطفل قد يولد بفهم طبيعي إلا أنه قد يتأخر في الكلام عن السن المعتادة، ويسبب هذا قلقاً عند الوالدين نظراً للاعتقاد السائد أن التأخر في الكلام له صلة بالضعف العقلي، ومع هذا يكون القلق عند الوالدين في غير محله.

ويجب ألا ينظر إلى التأخر في الكلام على أنه علامة على الضعف العقلي فإنه يلاحظ أن أكثر من نصف الأطفال الذين يتأخرون في الكلام يتمتعون بدرجة متوسطة أو أعلى في الذكاء.

كما أنه من المسلّم به أن لكل طفل معدله الخاص للنمو العام ويدخل في هذا تكوينه الطبيعي وصحته العامة وأمور أخرى، فإذا لم يبدأ الطفل في الكلام في حدود بضعة شهور من السن المقررة

للكلام، وهو خمسة عشر شهراً، فقد يكون في حدود المدى المعتاد للكلام.

وإذا كان عجز الطفل عن الكلام يبدو متأخراً مع نموه العام، فمن الجائز أن يُعزى السبب إلى الضعف العقلي.

أما إذا كان عجزه عن الكلام يبدو متأخراً عن بقية نواحي نموه فإن الأمر يتطلب مراجعة الطبيب المختص بالكلام أو طبيب الأسرة.

ولعل أكثر أسباب تأخر الكلام راجع إلى سوء الصحة العامة، أو ضعف السمع أو لأسباب نفسية وفي هذه الحالة الأخيرة يقتضي الأمر استشارة الطبيب النفسي، الذي قد يكتشف وجود عوائق انفعالية وعاطفية.

هذا وقد يتطلع بعض الآباء إلى مستويات عالية من الكلام لأبنائهم، وهم بذلك يعقدونهم ويشبطون عزائمهم فيمتنعون عن ممارسة أي محاولة ولا يبذلون الجهد اللازم للكلام.

ويحسب حساب انعدام تحدث الأبوين مع الطفل، إذ يمنعانه من التدرب على الكلام، أو صرف مزيد كبير من الاهتمام بالطفل وتدليله، والتدليل تضليل.

وإذا كنت وقعت في أحد الأخطاء التي أشرنا إليها، فإن الوقت لم يفت بعد لأن تعدل من طريقتك مع طفلك، ومن البديهي أن

التغير المفاجئ لا يأتي بالنتيجة المطلوبة لأنك تزعج طفلك إذا بدأت تحبو عليه بإفراط و كنت لاتأبه بالاهتمام به، أو بالعكس إذا أهملته فجأة بعد أن يكون قد تعود منك الاهتمام.

وعلى ذلك فإنه يجب أن يكون مسلكك الجديد معه في شيء من التدرج لا التقلب.

ويحتاج مثل هذا الطفل إلى صحبة أطفال آخرين في اللعب ولو كانوا يتكلمون بغية تعرفه إلى طرق التعبير السليم.

وتفيد مدرسة الحضانة فائدة مؤكدة إذ تتيح له الاتصال بالآخرين الذين يستثرونه بالكلام، كما أن رياحين الأطفال توسع من إمكانيات التحسن؛ لأن البرامج فيها أكثر تركيزاً والفعاليات العادية فيها أغنى مثل استعمال القلم والمسطرة... إلخ.

ويجب أن نذكر هنا أهمية التفاؤل عند الأبوين فإنه يكون دوماً داعماً لجهود المدرسين والأطباء المختصين.

وطبيعي أن الطفل يتسرب إليه اليأس عندما يكون أبواه يائسين، وخلافاً لذلك فإن شعورهما بالأمل يظل دوماً في محله وتأثيره؛ لأنه يعتمد على الحقيقة ويفيد من طبائع الأمور حين تكون بإشراف المختصين والأطباء.

التلعثم (اللجلجة)

تسبب اللجلجة دون شك كثيراً من المضايقة للأسرة، فلاعجب إذا تهافت المصابون بها (صغاراً أو كباراً) على أي شخص يعدهم بالشفاء.

إن اللجلجة هي العي في الكلام والتزدد والتوقف وعدم الطلاقة، أو إدخال بعض الأصوات الزائدة أو تكرارها، كل هذه عقبات في سبيل الصداقة والحب وحسن التكيف والعمل، وهي تجعل الحياة تعيسة.

ومن الضروري أن نشير إلى وجود المشعوذين الذين يدعون أنهم يخلصون المصاب باللجلجة. وإلى جانب هذه الفئة المشعوذة توجد فئة أخرى، وهي التي تتولى الشفاء عن طريق التدريب على الإلقاء والتمثيل، فهؤلاء يعوزهم التدريب العملي العلمي الذي يؤهلهم لمعالجة اضطرابات الكلام مع أنهم مخلصون في الغالب ويعملون بحسن نية، ولكنهم دون شك يتجاوزون حدودهم. وحين يسمع أحد الناس بطفل شفي من اللجلجة فإن كثيراً من الناس يسألون ويسعون لاستخدام الأساليب التي أدت إلى شفائه، لكن التجارب تؤكد عدم نجاح هذه الطريقة بشكل عام بسبب تنوع اللجلجة، ولهذا فإن الضرر الناجم هنا يؤدي إلى إضاعة الوقت والجهد.

ومن أجل زيادة الإيضاح نستعرض على سبيل المثال مختلف أنواع العلاج للصداع، وهنا نرى النظارات والطب النفسي والامتناع عن بعض الأطعمة والحقن المضادة للحساسية، فكل هذه الأمور تنجح الواحدة منها في معالجة طفل ما ولكنها لا تجدي مع غيره. والحق أنه لا تتماثل حالتان من حالات اللجلجة، كما لا يتطابق اثنان في اللجلجة، إن في المزاج أو الجسم أو العقل، ويؤدي قلق الوالدين على ولدهم إلى تصور أنه شاذ وغير سليم في جسمه، لكن الأمر يختلف فاللجلجة لا تنجم عن عيب جسمي دوماً، كما أنها لا تعد مرضاً أو دليلاً على ضعف الذكاء، وهي لا تنتقل بالوراثة كما لا تكتسب بالتقليد. وقد كانوا يقولون: إنها تحدث عند الإنسان الذي أُجبر على استعمال يده اليمنى بدلاً من اليسرى لكن هذا القول لم يثبت علمياً بشكل حاسم.

والكثير من المختصين لا يسعون إلى الشفاء الكامل بل يكتفون بالتخفيف من كميتها وعُسرها. إن التمرين على الكلام الصحيح يتأثر بالحالة الوجدانية، فمواقف الشدة والتواتر تزيد من اللجلجة. ويلاحظ الاضطراب في الكلام عند الكثير من الأسوياء حين يصابون بالانفعال وهكذا ينفع ضبط الانفعال في تحسين اللجلجة. ويلاحظ أن كلاً منا يصبح أقدر على الهدوء والاسترخاء حينما يكون حسن الصّحة. ولهذا يستفيد الأبوان فائدة كبيرة إذا هما قاما بفحص الطفل عند الطبيب العام ومعالجة أي مرض يكتشفه.

وبعد هذا فمن الواجب التأكيد من حصول الطفل اللجلاج على القسط الطبيعي من النوم والراحة، حتى لو كان هذا الطفل يعيش في كامل صحته، فإنه يلجلاج حين يتكلم كلما تعرض لتعب أو إرهاق.

ومن الناحية العاطفية ينبغي ضبط الأمور اجتناباً لكل تدليل أو إهمال. ويلعب الانسجام في البيت والتفاهم بين الأم والأب دوراً هاماً، فإذا كان التفاهم ضرورياً لراحة وطمأنينة الأطفال العاديين فإنه يبدو أكثر ضرورة للطفل اللجلاج. وهنا نذكر المربين والمعلمين ألا يببالغوا في الضغط على الطفل من أجل القيام بالواجبات المدرسية. ونذكرهم أيضاً بأنه يتوجب العمل على تقوية الثقة بالنفس بدلاً من إضعافها، ولن تعوزك أيها الأب الحيلة كي توجد المناسبات لإشعاره بالتحسن، فتشجعه مثلاً على ممارسة الهوايات أو بعض الأعمال المنزلية التي تبهجه.

والملاحظ أن الطفل الذي يتلجلاج في كلامه تأتيه فترات يحسن الكلام فيها بنفسه، لهذا فإن تشجيعه على حسن الكلام لا يعدو الحقيقة، ويؤدي إلى نتائج طيبة، أما حين يتلجلاج فإن من الطبيعي ألا نجره أو نضغط عليه ونسبب له الإهانة، وبدلاً من هذا أشعره بأنك تهتم بطريقة نطقه، وإذا سأله سائل عن أحواله فدعه يجيب بنفسه، وقد تحسُّ بأن في إمكانك الإجابة بدلاً منه، ولكن الأفضل أن تدعه يتحدث، فليحدث بنفسه إن هذا أفضل من إضعاف ثقته بنفسه وقولي الإجابة عنه، وإذا كان ثمة أشخاص

يتكلم معهم بطلاقة، فلتسع أنت إلى حضور هؤلاء الأشخاص، ولو كنت لا ترغب بهم كثيراً، فادعهم وادع معهم رفقاء اللعب، وإذا أظهر أهل الرفاق الخوف على انتقال اللجاجة إلى أولادهم فإن بوسعك أن تؤكد لهم أن هذا العيب ليس معدياً. ولا بأس أيضاً أن تمنحه لعبة تلفون صغيرة ليتحدث فيها في غرفته معك أو مع أمه وإخوته، أو تتيح له فرصة الكلام مع الدمى والحيوانات كالأرنب والسلحفاة والكلب الصغير.

ومن المفيد أيضاً أن تدعه يرفع صوته بالقراءة على مسمع منك ومن أمه خلال قيامك بالأعمال العادية، فهو يألف وجود بعض المستمعين إليه وعدم الاضطراب معهم، وهناك الدندنة التي يصوت فيها فيتسلى ويقوم بها طريقة لفظه، وكثيراً ما يستمتع بتكرارها مع أصدقائه، وفي كل الأحوال حاذر من نقده إذا لم يحسن الإفادة أثناء القراءة أو الحديث معك أو مع أمه، واسع كفي يكون أسلوب الكلام في المنزل بطيئاً هادئاً وبسيطاً.

وبالطبع فإن اللجاجة في سن المراهقة أصعب منها في سن الصغر، لهذا يجب الحذر من إحراج الفتى ودفعه إلى أن يجيب عما لا يسر أو يثير حفيظته فيكون خاسراً بالتأكيد ومستثاراً في آن واحد. وقد تكون الحياة الاجتماعية مشكلة بالنسبة إليه وعلى هذا يجب أن تعمل ما في وسعك لكي توفر له حياة اجتماعية بهيئة نظراً لحاجته إليها في مثل هذه السن.

وطبيعي أن نتوقع تحسن الكلام مع الفتى منذ شعوره بأنه قد
كبر، وهكذا تختفي اللجاجة مع أناس دون غيرهم. وطبيعي أن
نقول أيضاً: كلما سارعنا في حل الأمور بالحسنى كانت النتائج
أفضل.

وحتى حين يكون هناك من يسمونهم بالمعالجين المختصين،
فإن المسؤولية تقع عليك أيها الأب، وإليك وحدك يرجع الفضل
في إمكان التغلب على اللجاجة، وإذن فلتكن ثابت الجنان واحذر
مياً قد يتكون فيك للعزلة عن الناس أو الحساسية المفرطة التي
تنشأ عندك بسببه هو، ومن المفيد أيضاً إجراء تحسين في العناية
بالأسنان وإجراء بعض الجراحة بالإضافة إلى شعوره بالثقة والتقدم
وإحساسه الأكيد بمكانته في البيت وبجبك له.

نفسية الطفل المقعد

شلل الأطفال

يدعو هذا البحث إلى عظيم الشكر للإله على العافية وتقدير الجهود الكريمة الموفقة لإيجاد أفضل سبل الوقاية.

يجزن الأبوان حزناً لا مزيد عليه عندما يشاهدان ولدهما المقعد لا يستطيع أن يشارك رفاقه في ألعابهم، فالقضية ليست محصورة في أن ولدهما قعيد الفراش أو يتحرك على كرسي ذي عجلات، أو يستخدم عكازاً في مشيه، وإنما تتعدى كل هذا خشيةً على عواطف الصغير. فيشعران أنه ((همُّ جالس)) والبعض من الآباء لا يتحمل هذا، معتبراً أن هذا الطفل لا يبعث على الشفقة لجرد أنه ضعيف فقط بل ويُعمي أبصاره عن النظر إليه ككل فلا يرى فيه إلا عاهته.

وهناك مشكل آخر هو أن الشفقة على أحد (قعيداً كان أو سليماً) تجعله يحس بدونيته، فهذه الشفقة تبعد الطفل عن الاشتراك مع الآخرين أكثر مما يبعد كونه عاجزاً عن الحركة.

وهكذا يُنصح الأبوان بأن يسعيا للنظر إليه ككل أي كشخصية إنسانية يمكن تكييفها وتدريبها، وبذلك تزداد فرصه في أن يصبح شخصية متكيفة سعيدة وقادرة على الإنتاج والحياة السليمة.

مع شلل الأطفال يلاحظ المختصون أن أفضل طريقة لمعالجة طفل كهذا تكون في الحوار والمناقشة مع اختصاصي العظام المهتم بهذه العاهات، وهناك من الآباء من يخشى الكلام مع هذا المختص خوفاً من سماع أنباء مؤلمة أكثر إلا أنه من المستحسن معرفة الموقف على وجه التحديد بدلاً من الاستسلام للقلق والحزن. وفي هذا الحوار اسأل اختصاصي العظام بكل ما يخطر في بالك مثل (إلى أي درجة سيظل عاجزاً) (أو هل من المستطاع حمايته) (أو ماهي أفضل الطرق من أجل تدبير أمره) فالمعروف أن صياغة الكلمات في التعبير عن القلق تقضي على كثير من هذا القلق فتخفف من الحزن. والمعروف أيضاً أن القلق الذي لا يعبر عنه يثقل على الإنسان ويكبت، فإذا كنت تحمل الهم فإن هذا الهم الذي تحمله سوف ينتقل إلى الطفل نفسه فيضاعف من إشكاله، وتضاعف صعوبات معالجته، أضف إلى هذا كله أنك حين تكون مهموماً تعجز عن الإجابة إذا سألك ولدك عن حاله فتضطر إذ ذاك إلى الكذب والمواربة واللجلجة، الأمر الذي يعود على ولدك بالإشفاق على نفسه مضافاً إلى إشفاق والديه عليه.

هذا ويمكن إصلاح حالات العجز بواسطة العمليات الجراحية والتدليك والعلاج بالكهرباء أو بأشعة الليزر وما إليها والعلاج بالعمل، والأخير علاج يقوم على النشاط الذاتي الذي يختاره المقعد ويدرب عضلاته عليه.

وفي أحيان كثيرة يمكن التغلب على العجز بالكلية، أو على الأقل يمكن أن تتحسن الأمور.

أيها الأب إذا أخبرك اختصاصي بأن ما يمكن عمله قد أجراه فلأمزيد عليه، وفي هذه الحالة تكون محقاً بأن تبحث عن اختصاصي آخر، ولكن إذا أجمعت تقارير عدة أطباء ألا أمل في إحداث التحسن، فلن يكون لك الحق في أن تحمّل طفلك وتحمل نفسك.. في طلب المحال، ولكن إذا ظل هنالك الأمل فاستمر في طلب العلاج.

وإذا حصلت المساعدة الطبية في أحسن صورها، وأتبعت بدقة توصيات الأطباء، فليس عليك أن تفقد الأمل بدعوى أن لانتيجة من العلاج، و عليك في كل الأحوال أن تحتفظ بشجاعتك وتطلب العون من الخالق الذي خلقك وخلق طفلك المشلول.

والمشكل هو أن الطفل الذي تم علاجه جسدياً قد يتكون لديه عجز نفسي وهذا أمر جليل، وقد يبقى هذا العجز ولو بعد الشفاء من العجز الجسدي، وهكذا نرى بعض الأطفال الذين عولجوا وصلح عجزهم قد يستمرون ويتصرفون كما لو لم يُشفوا. والحل هنا بالتشجيع والمبادرة النفسية فتمحّي العاهات النفسية كما أمّحت العاهة الجسدية، وحتى لو ظل العجز ظاهراً.

هذا ويحتاج جميع الأطفال إلى المساعدة لتعلم طريقة الحياة السوية مع الناس ومعرفة أهمية العمل مع الأقران لأن (يد الله مع الجماعة).

وقد يحتاج ولدك إلى مساعدة فريدة فإذا كانت عاهته واضحة فإن سلوكه النفسي قد يتجلى في صورتين اثنتين:

١- الانطواء على الذات والحجل خشية السخرية واللجوء إلى عالم أحلام اليقظة فيرتاح من تذكر شقائه.

٢- أن يظل يشعر بالمرارة وأن يجمع الحزن في نفسه تعويضاً عن حالته.

وفي كلا الحالين يُنصح الأبوان بالألا يُفرطاً في الشعور بالعجز، فيمدا يد المساعدة في كل صغيرة وكبيرة. وإذا أفرطاً فإنهما سيئان التصرف بدعوى الشفقة. فالحووم حول الطفل والعناية المستمرة بلا انقطاع يشعرانه بأنه لاقدرة له البتة على اتخاذ أي موقف، وبدلاً من هذا فمن الجائز أن يلجأ إلى أسلوب الاستبداد أو الحساسية المفرطة أو سرعة الغضب أو الانطواء.

وهذه هي الأسباب التي تدعو الأبوين إلى تشجيع الطفل على أن يعمل بنفسه كل مايمكن أن يعمل، فإذا كانت يدها طبيعيتين فلايجوز أن يعتمد على غيره في فك أزراره أو إغلاقها، أو في سكب اللبن بكوبه.

وإذا كانت يدها المصابتان فإن في إمكانه المشي والسير، وهنا يجب أن يُسمح له بالجرى لافرق بينه وبين أي طفل مماثل له في سنه. وعلى كل يُدرب الطفل على تحريك العضو المصاب على

استعماله لتحصيل بعض الحاجات، وهنا يطلب من الأبوين أن يكتشفا الطرق والأساليب التي يستطيعها الطفل وأن يحفظا هذه الطرق للعمل بها بالقدر الممكن مع التشجيع.

الرياضة

وفي شأن الرياضة حَصِّلْ من الطبيب المعرفة بالأسلوب الرياضي الملائم وتعتبر اختصاصية العلاج بالعمل المعترف بها رسمياً والمدربة على القيام بالاختيار الصحيح للمهن والنشاط الرياضي مسؤولة في المساعدة شريطة أن يتم كل شيء بمعرفة الطبيب.

وإذا أوصى الطبيب باللجوء إلى المعالجة بطريقة العمل، فإنه يترتب على الأبوين تحقيق ذلك بالاتصال بأحد الاختصاصيين التجريبيين دوغما تردد ويعمل هؤلاء الاختصاصيون متصلين بأحد المشافي وقد تكون لهم عيادات خاصة.

ومن أجل أن يوضع حد لمساعدتنا يجب علينا أن نقنع ولدنا إذا كان يتحرك بكرسي متحرك بضرورة أن يقوم هو بذاته بهذا العمل، وعلينا أن نقرب الأشياء منه أو نبعدا بشيء من التوازن، وذلك كي يصبح في إمكانه تحصيل الأشياء بجهد شخصي مناسب وكي يتهيج ويفرح من جراء سعيه لخدمة نفسه.

وبهذه الطريقة لانخفف من مقدار الأعمال التي نعملها نحن الآباء، وإنما نتيح لولدنا المسرة لأنه حقق غرضه بنفسه.

وبنفس الطريقة ندرّب ولدنا على استعمال جهازه البولي وبقية الأعمال الصحية اليومية مثل أي طفل آخر. وقد تجد طفلك أصبح سريع التعب وقد يتوقف عن أي إجراء، وهنا أتجّه له أن يرتاح كي يحقق مطلبه بعد الراحة.

والمهم أن تحوّل ما استطعت من الأعمال التي تقوم بها أنت، أن تحوّلها إليه كي يعمل دوماً ويقتنع بضرورة عمله هو، ولما كان الاعتماد على النفس يتطلب من الفرد أن يفكر في نفسه فإنه يجب إعطاؤه جميع الفرص ليقرر وحده العمل.

وإذا كانت المشكلة على درجة كبيرة من الأهمية بحيث لا يستطيع الطفل أن يقوم بأي شيء بنفسه (مثل ترك عكازيه أو استعمالهما) فحاول أن تجد ((معها)) الرأي الصائب لا أن تجده ((له)). وهذا يتطلب منك أن تعلم أن لكل طفل وجهة نظر خاصة به وهو يحتاج لأن يشعر بأن أفكاره صائبة ومعتبرة، ومعنى هذا أن احترام شخصية الطفل ضرورية فلا يلزم بأوامرنا بل نتاح له أن يجرب وجهات نظره هو، فلنذكر أنه عطيل في جسمه فلا يجب أن نخلق له عطلاً في نفسه، بل لنعلم جيداً حاجته إلى بناء شخصيته وعدم إهدار كرامته كما يُهدر جسمه.

هذا ولنعلم أن حرمان الطفل من تأدية ما يستطيع يمنعه من محاولة شفائه وعودته إلى الحياة الطبيعية. وإنه لو اوضح أن المصاب بانحناء في العمود الفقري، أو المصاب بأحد أطرافه لن يُعهد إليه

كنس البيت، ولكن هناك كثيرٌ من الأعمال التي يستطيعها مثل غسيل الأواني إذا كانت يده سليمتين.

أما إذا كان عاجزه بالغاً فيمكن أن يُعهد إليه بأعمال فرز الفواكه أو تجليد الكتب، وإذا فكرت في الأعمال التي يمكنها فستجد أن ثمة أعمالاً لا حدَّ لها تساعد على أن يشعر شعوراً زاهياً بأنه مفيد وضروري لأسرته وللناس.

وعلى وجه الإجمال فإن توجيه الطفل بالرياضة الملائمة يعد باباً كبيراً وهاماً من أجل القضاء على القلق والحزن وبناء شخصية معوّضة.

وهناك الفن الجميل مثل الرسم بالزيت، أو النقش بأقلام الرصاص، أو التلوين أو التعبير بالموسيقا، وتأليف القصص الذي يُعد مفترجاً عظيماً ومنصرفاً إلى الإبداع. وهناك ضم الخرز والحفر على الخشب، والاشتراك في مسرح العرائس وتقوية ودعم كل الأعمال الجمعية.

وإذا صدف وتلقى الطفل من أقرانه إهانة مثل (الأعرج) أو (البطة) فعليك أن تعالج الموضوع بالمشاركة الوجدانية وتخفيف مساوئ الألقاب بعدم الاهتمام مثل القول: إن من الناس أناساً يغارون من ذكائه فيعبرون عن عجزهم عن مجاراته ومنافسته في التفكير، وقد يتردد بعضهم في إرسال ولدهم إلى المدرسة، فإذا

ظهرت صحة القول بأن مجتمع المدرسة فاسد، فلن يكون الآباء على حق إن نسوا التعليم الذاتي مع الكتب أو الفوائد التي تجلبها معلمة منزلية، وقد يكون الطريق طويلاً ولكنه سيكون أفضل من غيره على أساس دفع المظالم، وهنا أيضاً نذكر مبدأ (اللاتدليل) نطبقه بمرونة مع الحزم.

وبما أن حركته وذهابه وإيابه محدودة، فعليك أيتها الأم أن تبذلي جهوداً كبيرة من أجل إشراك الصغير بالرحلات العائلية بل والاحتفالات، وفي ذلك تأكيد أنه مثل لجميع إخوته، وقد سبق أن ذكرنا قيمة المشاركة في الأعباء المنزلية لإعطاء الطفل الشعور بالقدرة على الأداء، وهو أيضاً مهم لتقوية الإحساس بحب إخوته وأخواته.

وإذا كان طفلك عاجز هو الشخص الذي يتوقع من غيره من الأطفال العناية به، فسيؤدي ذلك إلى شعوره بأنه مختلف عنهم، وقد يكون من القسوة أن نعتبره مسؤولاً عن الوصول إلى مستوى أقرانه في مشاركتهم فيما يملك ولكن ورغماً عن ذلك فإن من صالحه أن نتخذ مثل هذا الاتجاه، ولاشك في أن هذا الاتجاه خير من الاتجاه المدلل الذي يعني تملله وإعطاءه الفرصة كي يكون أنانياً وأن يحصل على وسائل ترويح طفل آخر عاجز لا ينبغي أن يناهها.

كما إنه إذا أرغم إخوته وأخواته على التضحية من أجله باستمرار فغالباً ما ينمو لديهم شعور بالاستياء منه. وقد يستمر

مدى الحياة، فإذا جاء الوقت الذي يحتاج فيه إلى عونهم للعناية به، فإن فرص قيامهم بمسؤوليتهم عن طيب خاطر سوف تكون أفضل كثيراً إذا شبوا وهم يحبونه كواحد منهم أكثر مما لو كان يمثل لهم الشخص الذي يقف دوماً في وجوههم ويطلب المعونة.

وقيامك من ناحيتك بمجهود معتدل يمكن طفلك من أن يصبح غير أناني وأن يكون عضواً مساهماً في مجتمعه، وكلما زادت مقدرته على المساهمة في أعمال المجموعة قل شعوره بأنه ((مختلف ولا يشبهه أحد)) فقد لا يستطيع أن يقوم بجمع الجرائد القديمة مع زملاء صفه، ولكنه قد يتمكن من المساعدة على حزمها مثلاً، وقد لا يكون قادراً على غسل الصحون ولكنه قادر على تنشيفها.. وهكذا.

ويطبق كل ماتقدم ذكره على كل من الأطفال الذين ولدوا عرجة والآخرين الذين أصيبوا بحوادث أو أمراض سببت عجزهم مثل شلل الأطفال.

وبالإضافة إلى ذلك عليك أن تجد الحل المناسب لكل مشكلة تخلق نتيجة كل موقف من هذه المواقف إذا أردت أن يتمتع طفلك بمستوى طيب من الصحة النفسية، فإذا كان عجز طفلك خلقياً فقد جنب الشعور بالحرمان الذي يعانيه زميله العاجز الذي سبق له ممارسة النشاط الجماعي الحر الطليق، ولكنه من ناحية

أخرى يعاني من مشكلة مزدوجة، فبجانب كونه عاجزاً جسمياً فإنه يفقد جزءاً كبيراً من بنائه الانفعالي نتيجة لعدم حصوله على الإشباع بقيامه ببعض الأعمال التي يسرت لغيره من الأطفال الخالين من العجز الخَلقي، كالطفل سليم اليدين حينما يتعلم ربط حذائه أو تزرير قميصه، وكالطفل سليم الساقين حينما ينجح في القفز على ارتفاع ما، وعلينا أن نساعد الطفل العاجز على أن يجد نشاطاً بديلاً حتى تيسر له الميول والهوايات والجزاء الحسن لما فقدته نتيجة ضيق آفاقه، وعندما يفقد الطفل قدرته على الحركة بطريقة طبيعية بعد أن كان عادياً في طفولته، فإن المشكلة التي تواجهه جد مختلفة، فسيكون له المقدرة على أعماله السابقة لأنه يكون قد عرف الحرية في الحركة.

ويكون قد تعلم كيف يقوم بقضاء حاجاته الشخصية الكثيرة ولكنه سيكون عليه تحويل بعض الأهداف عن طريق وسائل جديدة تماماً. ويحسن بطفلك الذي كان لاعباً قديراً في لعبة البسبول مثلاً أن يتعلم ليصبح قانعاً بأن يكون حكماً. وإذا تعذر ذلك، فعليه أن يحوّل هوايته إلى ألعاب أخرى كلعبة المربعات (الداما)، والشطرنج، وتلك الألعاب التي يلعبها الفرد وهو جالس. وتكمن مساعدتك له في هذه الحالة أن توضح له أن ثمة أبطالاً في كثير من هذه المحاولات، رغم أن منهم مقعدين كثيرين.

وقد يصبح سلوك طفلك مشكلة بعد إصابته بالعجز وهو إزاء ذلك يحتاج إلى صبر وتفهم، فكل طفل ((شخصي)) ويختلف عن غيره من الأطفال.

وأي نوع من ميول طفلك السابقة قد تزداد في الظهور، فإذا كان (على سبيل المثال) قد دأب على تحدي غيره، فإنه لا يكون راضياً عن جهودك لعمل أي شيء له. وسوف يقاوم الأعمال الجديدة والهوايات والمعاملة الجديدة أيضاً.

وإن أفضل وسيلة تتعامل بها مع هذه الاستجابات هو أن تصمم بهدوء على دعوتك إلى الشيء الذي تظن أنه في صالحه، وأن تذكر له دائماً سبب الأعمال الجديدة التي تحاولها معه.

وحذار أن تستغل وجود الطبيب أو أي عضو في المجموعة التي تقوم بعلاجه مثل اختصاصي التدريبات العلاجية كوسيلة لتهديده، كأن تقول له:

((إذا لم تؤدِ تدريباتك فسوف أجعل الطبيب يجبرك على أدائها)).

وإن من أصعب المواقف التي يمكن للوالدين أن يواجهها قبول الحقيقة التي هي احتمال استمرار عجز الطفل.

وسيساعدك الطبيب على تبليغ طفلك أية معلومات حول مستقبله، ولكن قبل حدوث هذا يمكن بل يجب أن تتأكد من

ضبط عواطفك وأن تتمكن من التحدث عن الحالة بدون بكاء، وأن تستطيع أن تعرف أنه مازال في الحياة هويات ووسائل للراحة رغم أن النشاط البدني قد حدد كله أو بعضه.

وقد تحتاج لبعض المساعدة في ضبط عواطفك، ويمكن لطبيب نفسي أو اختصاصي اجتماعي مدرب على العمل أن يقوم بمواجهة ذات المشاكل وأن يساعدك. وقد تعتمد تصرفات طفلك الحاضرة ونجاحه في المستقبل على التصرف الذي اتبعته أنت معه خلال الفترة التي كشف عنها أنه قد يكون معقداً طيلة الحياة.

ولا يحتمل أن يشعر بالمرارة ما لم تشعر أنت بها، فإذا لم تتصرف بغضب ولم تشعره بأنك ضحية، فلن تكون لديه الفرصة لكي يتصرف بالمثل، وذلك بمرورك على حقائق الموقف دون أن تعباً بها، وعليك أن توضح له الميول والفرص التي مازالت مفتوحة أمامه.

واجعله دائماً يثق بك ويشعر بثقتك في مستقبله، ولا تتوقع منه مرور الوقت أن يكون شجاعاً على الدوام.

عاونه في الفترات التي يشعر فيها بالضعف، وإذا كان لا بد أن تبكي عند بكائه، فانتظر حتى تبتعد عنه.

وإن العلاج من شلل الأطفال وحالات العجز الأخرى قد يطول لسنوات، فبنمو الطفل قد تجري له عملية جراحية أكثر من مرة.

وقد تطول فترات التمريض في المستشفيات وفترات النقاهة المنزلية، وفي مثل هذه الحالات تجد المتاعب العاطفية من ترك المنزل المفاجئ للعلاج والنقاهة.

وعندما يكون طفلك تحت العلاج من أحد أمراض العظام أو كسورها، فإنك ستجد أن ما يعينه على البقاء مرحاً أن تشرح له الدور الذي يقوم به مختلف الأفراد لمصلحته.

أخبره بصراحة أن تقدمه قد يكون بطيئاً ولكن عليك أن تلتفت انتباهه لما حدث من تقدم، والأمل بعون الله أن يكون تقدماً أكبر.

وأنت تسأل نفسك ((كيف سيؤثر عجز طفلي على حياته)) وبالطبع فلن يتمكن أحد من أن يقدم لك إجابة قاطعة ولكن يجب أن تتأكد مما يأتي:

طالما أن اتجاهك إزاءه اتجاه كلي، وطالما أنك تعود طفلك الاعتماد على نفسه، وطالما أنك مدرك أن ثمة مناطق في العقل وفي النفس يمكنه كشفها دون أن يكون محتاجاً إلى أن يجرى قدميه، إذا أنت أدركت هذا كله فإن عجزه لن ينال منه أو يحطم سعادته، فقد ينظر إلى فقدان القدرة على الحركة بحرية كخسارة جسيمة كما يحدث في أية مؤسسة تجارية قابلة للخسارة، فقد تحدث خسارة في هذه المؤسسة أو تلك ولكن توجد بعض الودائع والمدخرات وتستمر المؤسسة في أن تتابع سيرها نحو الأمام بنوع

من البطء أو العجز، ولكنها لاتفلس. ولاتزال لدى طفلك رغم
 قعوده بعض القدرات ويستطيع أن يتكيف لعجزه إذا أنت منحته
 الحب والمساعدة والتشجيع، وهكذا يستطيع أن يجعل من حياته
 شيئاً مريحاً.

شخصية المقعد

قامت (باربور) الباحثة النفسية بدراسة تكيف (١٦٠) مئة
 وستين) طفلاً مقعداً، فقسمتهم إلى ثلاث فئات:

١- فئة أثر القُعاد على تقدمهم العلمي بحيث سيمتنع عليهم أي
 تقدم في المستقبل.

٢- فئة أثر القُعاد على مجال المهن التي يعملون بها، فرغم أن
 الطفل من هذه الفئة قد يكون صالحاً لمزاولة مختلف أنواع النشاط
 إلا أن عاهته تمنعه من مزاولة بعض الحرف في حياته المستقبلية.

٣- فئة المقعدين اجتماعياً فقد لاتتعارض عاهة الطفل مع حياته
 الجسمية إلا أن لديه تشوهاً يمنعه من مزاولة حياة اجتماعية طبيعية
 لأن عاهته تكون مصدر مضايقة وحسرة اجتماعية.

وقد قارنت بين حالتهم عام (١٩٣٠) وحالتهم عام (١٩٣٤)
 وتبينت أن هناك تقدماً ملحوظاً بين العامين، فقد ذكرت أن
 (٢٣) طفلاً شفوا تماماً من مرضهم ولم يكن لديهم أية ذكريات

قائمة سوى ما يذكره الطفل حينما يصاب بالحصبة وهم في العادة فئة سعيدة ونشيطة، حتى إن مدرساً غير عن أحد هؤلاء الأطفال أنه أكثر زملائه سعادة ومرحاً. ولم يبق من هؤلاء الـ (١٦٠) سوى ستة فقط مازالوا مشلولين ولم يتكيفوا بعد مع عاهتهم.

وقد ذكرت (ستراوس) أن في بعض المواقف الدراسية لا يظهر أي نشاط أو اهتمام على الأطفال المقعدين، كما أنهم لا يبذلون أي مجهود للحصول على قصاصات الورق أو الصور أو غيرها من المواد اللازمة للدراسة إلا إذا طلب منهم ذلك.

ورغم أن مدرستهم منحتهم حق الحكم الذاتي الديمقراطي إلا أنهم لم يحاولوا الاستفادة من هذا الحق.

وقد عللت (ستراوس) ذلك بعدم الخبرة والشعور بالنقص.

وعندما تعرض (بروكواي) للأطفال العصبيين قرر أنهم يحجلون وأن لديهم شعوراً واضحاً وخطيراً بالنقص.

التحصيل المدرسي

لم يتسن الحصول إلا على تقرير واحد فقط عن التقدم المدرسي للأطفال المقعدين، فقد قامت (باربور) بهذا التقرير الذي قامت به على (٤٠) حالة لشلل الأطفال ظهر أن تسعاً منها تأخر أصحابها سنة واحدة، وأربعاً تأخروا سنتين واثنيتين لمدة ثلاث سنوات دراسية وأنه لم يكن هناك أي مجهود من أجل التقدم.

وبعد محادثات مع مدرسين من مختلف الجهات، اتضح أن الاتجاه إزاء دراسة المقعدين هو إعطاء نفس البرنامج العام أو المنهج الذي يدرسه الأطفال العاديون على أنه ليس لدينا صورة واضحة للمركز التعليمي لهؤلاء الأطفال.

فقد قرر (نلسن) أن هناك تأخراً كبيراً من الأطفال المصابين بعجز جسمي في مدارس (مينيسوتا) رغم أنه لم يتسنّ التمييز بين مختلف أنواع المقعدين. وقد أكد هذه النظرية (هل Hall) حين قرر أن الأطفال المقعدين في إنكلترا وويلز غالباً مايتأخرون في الدراسة عن زملائهم مدة تتراوح بين سنة ونصف وستين.

ذكاء المقعدين

قام (ويتي وسميث) باختبار ألف وأربع مئة وثمانين طفلاً من المقعدين في مدارس المقعدين بشيكاغو وسنت لويس وكليفلاند وتوليدو واستعملا اختبار كوهلمان - أندرسون على ثلاث مئة وخمسين طفلاً، واختبار ستانفورد بينيه مع الباقيين وكانت نسبة الذكاء تتراوح بين (٥٠ و ١٣٠). بمتوسط (٨٤,٥).

كما اتضح أن نسبة الذكاء من الحالات كانت أقل من (٩٠) وقد قارن الباحثان بين مجموعة من المقعدين أجروا عليها أبحاثهم وبين مجموعتين أخريين من أطفال المدارس فاتضح من هذه المقارنة ندرة حصول المقعدين على نسبة ذكاء عالية.

وأجريت مقارنة أخرى بين (١٠٠٠) ألف طفل من أطفال المدارس الذين أجرى (ويقي) عليهم تجاربهم وبين (٦٧٠) طفل كفيف، وقد قسم الأطفال إلى سبع فئات بين الكفيف والمبصر والمقعد، وقد تبين من هذه المقارنة أن المكفوفين يتفوقون على المقعدين. إلا أن هذه النتيجة لا يمكن التسليم بها بهذه الطريقة من غير تقص وبحث وخصوصاً أن المقارنة غير متكافئة، لأن التعديل الذي أدخله (هينز) على اختبار بينيه للمكفوفين جعله أكثر سهولة من اختبار ستانفورد بينيه، ومن ثم لا نتوقع أن تظهر نفس النتائج. وأياً كان الأمر فقد أظهر هذا البحث أن عدد المعلمين بين الأطفال المقعدين أقل بكثير مما هو لدى الأطفال الآخرين.

وقد قام (ستانتون) بإجراء بحث على (٣٠٠) طفل مقعد في نيويورك (وكونتكت) و(مساشوس) مستعملاً اختبار (تيرمن - ميريل - بينيه)، وكان ضمن المجموعة مقعدون من جميع الفئات ماعدا المصابين بالشلل في أعصاب الدماغ، وكانت نسبة الذكاء تتراوح بين (٣٥ إلى ١٤٠). بمتوسط (٨٨) وكما ظهر في الأبحاث الأخرى كان أعلى مستوى للذكاء بين المقعدين خاصاً بفئة المصابين بشلل الأطفال إذ كان متوسط الذكاء بينهم (٩٤).

ولقياس مستوى الذكاء بين أسر المقعدين، وأخذ المتوسط لنسب الذكاء الخاصة بالأخ الشقيق الذي يلي المقعد وكذلك الشقيق الذي يسبقه. وأمكن الحصول على بيانات عن مئة أسرة،

وقد اتضح أن نسبة ذكاء المقعدين كانت (٨٦) ولأسرهم (٩٠) وليس هذا الفرق كبيراً من الوجهة الإحصائية. وقد استعمل اختبار الذكاء العملي لـ (بينتر - باسترسون) على (١٠٠) طفل مقعد تراوحت أعمارهم بين (٧-١٢) سنة وسمحت عاھتهم لهم باستعمال المواد الخاصة بالاختبار. وقد اتضح أن نسبة ذكائهم كانت تتراوح بين (٤٠ و ١٥٠) بمتوسط (٩٠)*.

ومن أجل التأكيد والتثبيت نكرر بعض ماقلناه حول أعمال يتمكن المقعدون أن يعملوا بها:

- إذا كان الطفل عاجزاً عن الاشتراك في مسرحية لكن هذا لا يمنع من أن نكلفه بمسك حساباتها.

- يستطيع سليم الساقين أن يشترك بالعدو والقفز من عالٍ.

- يستطيع المقعد وهو على كرسيه المتحرك أن يكون حكماً في ألعاب الطاولة والكتابة ونقل المحفوظات وقراءة الشعر وتأليفه وابتكار القصص.

- ومن المفيد أن يتم التنافس في هذه الأعمال مع أقران مماثلين أو مع أطفال أسوياء وقطعاً سوف يفوز بعض المعاقين.

* اعتمدنا إحصائيات ودراسات شخصية المقعدين وذكائهم على كتاب سيكولوجية المرضى وذوي العاهات للدكتور مختار حمزة ١٩٥٦.

- وعند فوز بعضهم نثني على الفائزين ونعاملهم كأبطال* .
 هذا ويجب أن نعلم أن العلاج من شلل الأطفال يحتاج إلى زمن
 قد يستمر لسنوات دون ظهور مايشعر، ومع ذلك لابد من
 الاستمرار ومتابعة العمل من أجل العلاج.
 ومن المفيد أن يُعلم المقعد أن تقدمه قد يكون بطيئاً، وحالما يظهر
 بصيص من التقدم أعلمه به وأشجعه من أجل الفوز أملاً بالمستقبل.
 المهم في كل الأحوال أن تكون أنت متفائلاً لتمنح طفلك
 التفاؤل، وأن تتبع كل الخطوات التي أشرنا إليها، ففاقد الشيء
 لا يعطيه.

ومن المجدي أن يذكر له مثال الشركات التي تخسر مع بيان
 أنها تستطيع أن تعود إلى سالف قوتها، هذا إذا لم يُصب التاجر
 بالجزع وفقدان الأمل.

هناك بعض الخسارة، وهناك ودائع تنقذ الخاسرين، ولعل
 أفضل ودیعة أن تقبل بما قسم الله وتحتسبها عند الله بعد أن قمت
 بكل مايمكن أن تقوم به، وسيكون لك من ذلك الأجر والأجرة.

* شاهدنا في الأبحاث الأولى من كتاب (الإعاقة ونفسية المعاقين) أن بيرون كان أعرج فتعرف
 إلى عالم الشعر فارتقى مثل الصاروخ بشعره وصار لسان حاله ((أنا أعرج هذا حق))
 ولكن ألا ترون أنكم كسيحون أمام تفوقي في الشعر؟..

شلل الأطفال

سبب هذا المرض ميكروب هو غاية في الصغر لدرجة أنه لا يرى بواسطة أدق الميكروسكوبات (المكبرات) العادية. ولا يرى إلا باستعمال الميكروسكوب الإلكتروني.

وقد أحرزت معرفته واكتشافه تقدماً كبيراً في الآونة الأخيرة مما يبعث على الأمل بمكافحته والتغلب عليه، ولكننا رغم التقدم في إمكان استئصاله، فإن الطب ما يزال عاجزاً عن حل المشاكل التي يتسبب عنها وخاصة حين ينجح الميكروب في الاستقرار في جسم طفل أو راشد.

ومن الصعب أن يُحصَر عدد الذين أصيبوا به أو يصابون من جديد في أية أمة.

أعراض المرض

كثيراً ما يصعب التعرف إليه بسهولة فقد تصيب أعراضه الأولية الكثيرين وتعرف هذه الأعراض أنها تشاهد في أمراض وبائية أخرى فالصداع والألم الخفيف في الرقبة أو الظهر، وتصلبهما، الحرارة الخفيفة، رشح الأنف. ولربما لم تزد أعراضه عن هذه الأوبئة وقد يبرأ منها المصاب بعد يوم أو اثنين ويظن أنها ليست أكثر من برد بسيط أو انفلونزا خفيفة* لكن الثبت منها يحتاج إلى فحص النخاع الشوكي والتجارب الكلينية.

* المصدر السابق ص ١٥٨.

ويبدأ الشلل بالعضلات الثانوية، ثم يحصل بعد بضعة أيام شلل في مجموعة العضلات بشكل واضح وجلي* .

العوامل النفسية للمصابين بشلل الأطفال

يمكننا أن ندرس:

١- التغيرات النفسية والعوامل التي تنشأ مباشرة عن المرض.
٢- كما ندرس التغيرات النفسية والعوامل التي تنشأ عن مواقفه واستجاباته للمرض.

٣- كما ندرس التغيرات النفسية والعوامل التي تنشأ عن مواقف الهيئة الاجتماعية.

أ- التغيرات النفسية الناشئة عن الإصابة

هناك أحوال يمكن الفصل بينها:

١- حين لاتتعدى الإصابة النخاع المستطيل

٢- حين تتعدى ذلك إلى إصابة النخاع الشوكي

أ- في حالة الإصابة بالنخاع المستطيل وحدها لا يرى العلماء أن هناك تغيرات نفسية إلا مايتعلق بالتغيرات البدنية اللهم إلا ظهور استعداد لدى المريض للتهيج والاستثارة وظهور شيء من الضعف في التركيز والأعمال العقلية.

ب - في حالة الإصابة بالنخاع الشوكي يحدث تغيرات جسدية في التنفس واضحة فيتسبب عنها حرمان الدماغ من كمية الأوكسجين اللازمة. ولحسن الحظ فإن هذه الحالة نادرة الحصول، وتظل التغيرات النفسية راجعة إلى تأثيرات البيئة الخارجية.

وإذن فإنه يترتب على الاختصاصي الذي يتناول المساعدة أن يهتم ويدرس كل التأثيرات النفسية الناجمة عن التحولات الجسدية الخطيرة مثل حصول حمى عالية والحرمان من الأوكسجين وإصابة الدماغ ومجموعة أعصاب الجمجمة.

ب - التغيرات النفسية الناشئة من مواقف المريض واستجاباته

وهنا يُلاحظ أن التغيرات في النواحي الجسدية رغم خطورتها فإن النتائج النفسية تكون بالغة وهي تتراوح بين:

١- الخوف من المرض.

٢- مواقف المريض من العجز والعاجزين.

٣- المعلومات التي حصلها المريض من هذا المرض.

٤- مواقف الأهل والأصدقاء من شخصيته.

فلننظر في هذه الأمور كلاً على حدة:

١- مدى خوف المريض من مرضه وهو أمر خطير ولكنه يختلف بين مريض وآخر إلا أنه لا بد من وجود الخوف عند

الجميع، ويتركز حول مواقف من حوله وتصرفاتهم ومشاعرهم وحول مواقف المريض الذاتية العامة قبل الإصابة وينبني هذا كله على أن مايجري يُعد تهديداً للعقل الباطن من جراء شعور المريض بأنه مصاب وليس مثل غيره فتنتابه الحسرة الناتجة عن الإصابة والاختلاف عن الآخرين وعن عجزه عن تحقيق مايصبو له من أهداف.

٢- حاجة الإنسان إلى الشعور بالتفوق وإحراز النجاح الباهر، فهذه الحاجة تضطرب وتصاب في الصميم من جراء وجود آخرين سليمين يعجز عن مواجهتهم في الحياة، وهكذا يفرز المصاب الناس من حوله فيقرر: ((أنه لايحتمل صحة شخص عاجز)) لأنه يذكره بإصابته هو وعجزه.

ويضيف إلى هؤلاء وجود أناس آخرين يرون أن المرض بذاته ماهو إلعقاب لهم على نواياهم وتصرفاتهم السابقة أو نوايا آبائهم، وهناك أناس يحاولون إخفاء الشعور السابق واستبداله بالمبالغة في خدمة المصابين والعطف عليهم والألم والحسرة من أجلهم.

٣- الخوف المتأثر بمعلومات المصاب حصلها من إصابته، وبالنتائج التي يمكن أن تترتب على عاهته. وهكذا توجد احتمالات كثيرة أهمها: مايبالغ به المريض في تقدير المدى الذي ستفرضه

عاهته، ومنتاسياً كفاءاته ومواهبه التي كان يمكن أن يستغلها أو التي لم يُتاح له استغلالها كما ينبغي.

على أنه يحدث أحياناً أن يقلل المريض من شأن المرض أو يعظم من شأنه، فلا يدري أهو قادر على أن يبذل الجهد الذي يعود عليه بالنفع أم لا. وعلى هذا فإن جهل المريض وقلة كفاءته في تقدير مواهبه والإمكانات التي تترتب عليها يؤديان به إلى الشعور بخوف لا مبرر له.

ج - العوامل النفسية الناشئة من اتجاهات وتصرف الآخرين نحو المصاب بشلل الأطفال

إن مواقف واتجاهات أفراد الأسرة، والأفراد الآخرين، تؤلف عاملاً في غاية الأهمية من حيث خلق الشعور بالخوف لدى الفرد وكذلك تكيفه مع بيئته، ومن المؤسف أن اتجاهات مجتمعنا لم تتغير منذ القديم حتى اليوم.

وهنا يجب أن نتذكر أن أحداً من الناس لا يجب أن يكون مختلفاً عن الآخرين، وإذا كان لابد من الاختلاف فالمطلوب الذي يرتجيه كل فرد أن يتفوق عليهم وينجح في منافستهم، وهنا نجد أنواعاً من المفاهيم تنشأ من جراء ذلك، فإذا كنا أمام ابتكارات يديها المصاب قد نقول: إنه عبقرى أو مجنون أو خليط من هذا وذاك. وكثيراً ما يحلو لنا أن نصفه بأنه يبعث على الاستغراب أو يعد من

صور الشذوذ، ولربما قال أحدنا: ألا ترى أنه فنان؟!.. إنه ككل الفنانين.

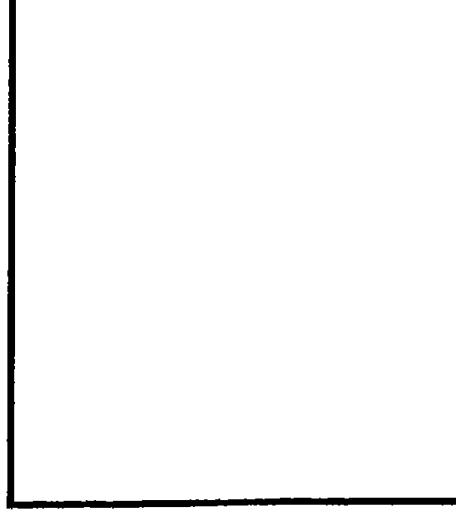
وفي حالة إصابة شلل القدمين أو الذراعين أو الساقين أو كل هذه النواحي، فإنه يترتب علينا أن ننسى فكرة العجز، وقد شرحنا ذلك بشكل مفصل في الكتاب الأول من هذه السلسلة ونستبدلها بالإعاقة. ونؤكد أن الإعاقة تفسح المجال للعمل تجاه المصاب، كما تفسح المجال للمصاب نفسه أن يرتاح فيقبل الإصابة بنفس هادئة. ولكن ما ذكرناه يعد المثل الأعلى الذي قد يحتاج إلى أزمدة طويلة ريثما يتحقق فيستقر في عقول الناس وأذهانهم.

فإذا ما تلاشى قلق المصاب وانزعاجه، وإذا ما تأكد أنه ما يزال يملك كفايات لم تُمس بسوء وإمكانيات جاهزة وطيبة كي تؤدي أكلها، فعندها سوف تفتتح مشاعر المصاب بضرورة ((ألا يحقر نفسه)) وأن يمارس نوعاً من المنافسة والإخلاد إلى الراحة.

وإذا حدث كل هذا كان معناه إنقاذ المصاب من مساوئ إصابته وفتح الأمل في نفسه ومن رده إلى المجتمع السوي.

ويجب ألا ننسى هنا دور الآخرين إذ يذكرون المصاب بأنه مثل غيره وقد يكون أفضل، ويتعاضم هذا الدور حين يكون هؤلاء الآخرون مربين وكباراً وشخصيات اجتماعية مرموقة.

ونختم بحثنا حول شلل الأطفال بالإشارة إلى أناس عظماء بالفعل أصيبوا بهذا المرض إلا أنهم لم يفقدوا شجاعتهم بل نموها، ومن هؤلاء الرئيس (روزفلت) الذي لم يمنعه الشلل من حكم الولايات المتحدة الأمريكية وهو على كرسي المقعدين خلال أكبر أزمة خطيرة عاشتها أمريكا في الحرب العالمية الثانية.



PDF GENERATED BY PDF24.COM

الصحة النفسية لضعاف العقول

الصحة النفسية لضعاف العقول

الطفل المتخلف عقلياً

يكون الطفل سويًا ويحيا حياة هانئة مادام يحس أنه كائن مرغوب، يفهمه الآخرون ويفهمهم، وأنه يماثل كل الذين من حوله، فلا يقل عنهم أو يحيا دونهم. أما الأطفال الذين يولدون بنقص عقلي ما، أو الذين يُستحدث فيهم هذا النقص بعد الولادة، فإنهم يحسون أنهم (يختلفون) عن غيرهم من الصغار. وهؤلاء الذين يختلفون عن غيرهم يمكن أن يشعروا بالسعادة إذا وجهت إليهم عناية خاصة فقدمت لهم مساعدة تهدف إلى جعلهم مماثلين لبقية الأطفال فلا تقلقهم مشاعر الدونية أو القصور.^١

وحين يكتشف الأبوان أن ولدهما يختلف عن غيره، يقلقان عليه، فيتخذان موقف الجريح أو المهان، إنهما في الغالب يرفضان قبول المشكلة ويعجزان عن مواجهتها مواجهة إيجابية ناجعة، ويبدلان لطفلهما المتخلف مزيداً من الدلال والعطف، (بغية مساعدته) فيعقدان المشكلة دون علم منهما، وذلك لأنهما يثبتان في الصغير عن طريق الدلال، شعوره بأنه (يختلف) عن غيره. وأول مانقوله لهذين الأبوين: احذرا التشاؤم فإن كثيراً من الأطفال المتخلفين يحيون حياة نافعة ومثمرة.

وحقاً فإننا نستطيع أن نشاهد في كل الأجناس البشرية، وفي كل المذاهب والمستويات الاجتماعية، أطفالاً متخلفين، وقد يملكون استعدادات وراثية طيبة أو سيئة، وقد نجدهم ضعفاء البنية أو أقوياء الجسم، ونراهم يسكنون المدن والقرى على السواء، ومنهم من يُربى في المعاهد والمدارس، أو يظل رهين البيت، وعلى وجه العموم فإن التربية الأسرية إذا قامت على أساس من الفهم والدقة، ونهجت منهجاً علمياً سليماً، فإنها تُؤتي أكلها وثمارها، وتستطيع أن تُعدّل الكفة لصالح المتخلفين.

أجل وإذا تلقى هؤلاء ممن حولهم محبة معقولة مع رعاية وضبط، فغُرست فيهم عادات حسنة ووجهوا صوب العمل الذي يلائمهم وأشعروا بأهميتهم، وتلقوا من حولهم تقديراً للمزايا التي غرسها فيهم ذورهم وآباؤهم، فإن كثيراً منهم قادر على أن يحيا حياة سعيدة ومنتجة في آن واحد. وحقاً فإن طفلاً متخلفاً إذا أحس أنه محبوب ومرغوب في بيته، فإن كل شيء يجري على أفضل شكل، أما إذا كان غير محبوب بسبب ثقل ظله أو لأسباب ثانية، وإذا لوحظ أنه قلما ينتفع أو يستفيد من توجيهات ذويه، فمن الأفضل لهذا الصغير وللآخريين أيضاً، أن يُرسل إلى معهد مختص أو إلى مؤسسة تربوية خاصة.

٤ والتخلف في الأطفال قد يأتي معهم منذ الولادة، وقد يتكون فيهم بسبب اضطراب البيئة التي يعيشون فيها، وقد يتكون بسبب

إصابة في أحد مراكز الدماغ أو نتيجة جرح أو مرض طويل أو اضطراب في الغدد. ولذا فإن معالجة مبكرة لهؤلاء المتخلفين قادرة على أن تقدم نتائج ملحوظة وطيبة.

ليسوا كلهم سواء

تفاوت في المهارات

- فئة تعجز عن حماية نفسها من الأخطار اليومية العادية فهذه الفئة يجب مراقبتها بعناية وتقديم العون لها، وأفراد هذه الفئة لا يتعلمون في اكتساب عادات النظافة والترتيب وقد لا يتمكنون من تناول حاجاتهم الجسمية البسيطة، أما محاولاتهم الكلامية فقد لا تتجاوز بضعة مقاطع صوتية أو كلمات مبهمه لا يفهمها إلا ذورهم وأقرباؤهم (آآ- أي اي- آو).

- وهناك فئة يحسن أفرادها نطق بعض كلمات بسيطة أو بعض جمل لا يتعدونها.

- وهناك أيضاً فئة تحسن الكلام والقراءة والكتابة مع شيء من المساعدة، كما تحسن القيام ببعض الأعمال الضرورية.

- وهناك فئة تستطيع أن تتقن نفس الأعمال والأقوال التي يتقنها من حولهم من الصغار، ولكنها تقف عن أي تقدم في مجالات العمل العقلي والمحكمة، وبعد هذا فإياكم أن تظنوا أن الأطفال المتخلفين يُحتم عليهم أن يكونوا بائسين بالضرورة، فقد نجد بينهم من هو بائس، إلا أن عدداً طيباً منهم يمتلك حيوية فياضة، ويبدو مرحاً وله جاذبية تقربه إلى القلوب، وخاصة أولئك الذين تلقوا من ذورهم محبةً وحسن فهم وأنشعوا تنشئة طيبة.

والشيء الهام الذي يجب ألا يفوت الآباء والأمهات الذين يربون طفلاً من الأطفال المتخلفين هو أن يدركوا جيداً أن هذا الطفل كائناً ما كانت علته، وأياً كان سبب تخلفه أو سوء حالته، فإنه لا يستطيع أن ينمو أو يتطور إلا تبعاً لتوازنه الخاص، وسيراً مع رغباته ومقاييسه الشخصية، وهكذا فإن كل تقدم نريد أن يحرزه الطفل المتخلف، يجب أن يسلك سبيل الطفل ذاته، وعلينا أن نتيح له فرصاً يصنع فيها أشياء - على قدره - أو تتناسب مع قدراته، وإذا أردنا له أن يصاحب أحداً فليصاحب أولئك الذين يستطيع أن يسير معهم ويتابع النمو في جمعهم، مهما كانت أعمارهم.

والخلاصة

إن طفلاً بطيء النمو يكبر حسب قدراته الشخصية يمكنه أن يكون أسعد حالاً وأهنأ بالاً وأقدر على النجاح من طفل لامع لاتتاح له تلك الفرص. ومن جهة أخرى فإن طفلاً متخلفاً بطيء النمو، إذا دفعناه أو سقناه بشدة، رغبة منا في أن يتقدم حسب مقاييسنا نحن، يجب أن نتوقع له الفشل، وأن يغدو مستعداً للانزعاج والاضطراب والعناد.

الكشف والتشخيص

علائم التخلف العقلي عند الأطفال

إذا لقيتم طفلاً لا يسير سير من هم في سنه، ولا ينشط مثلهم أو يتكلم بكلامهم فلا يطعم نفسه أو لا يرتدي ثيابه ولا يعتني بنفسه كما يفعل رفاقه، وإذا رأيتموه لا يعنى بما يجري حوله ولا يقوم ببذل جهدٍ ما أو يظهر فضولاً أمام قضية مجهولة ولا حب اطلاع، إذا وجدتم مثل هذا الطفل فامضوا به إلى الطبيب النفسي ليقدر مدى تأخره وتخلفه عن غيره.

وإذا كبر هذا الطفل فلم يظهر فهماً للتوجيهات البسيطة التي توجه إليه، أو ينفذها، وإذا وجدتموه يفضل صحبة من هم أصغر منه بشكل واضح، فمن الواجب أن تكشفوا عن نوع تأخره وتخلفه. وطبعاً فإن من المفيد أن يعرض هذا الطفل على أحد مراكز الصحة العقلية، أو يرسل إلى أحد المعاهد التربوية والاجتماعية.

وعلى كل حال يجب أن تكونوا رأياً صحيحاً عما يمكنكم أن تتوقعوه أي عما يمكنه أن يقدم من هذا الصغير ومن ثم يجب أن تقبلوا وضعه الخاص وأن تواجهوا هذا الوضع بإخلاص فإذا فعلتم ذلك فإنكم تسرون في الطريق الذي يغدو فيه ولدكم مثل الآخرين، بقدر الإمكان، وبالتالي إلى جعله طفلاً سعيداً، يجب الآخرين ويكون محبوباً منهم.

أما إذا حرصتم على مشاورة الأطباء والمختصين مدفوعين برغبة شفاء الصغير وإنقاذه بأقصى السرعة من التخلف الواقع فيه، فإن قلقكم سوف يقلب طفلكم رأساً على عقب ويجعلكم تبتعدون عن العدل بينه وبين إخوته، وأما إذا لم تروا في سلوكه إلا ماهو شاذ وغير سوي، فإنكم تفقدون الصواب، وتغيب عن أنظاركم النقاط الكثيرة التي يمكنه أن يكون فيها سوياً، وتنسون المطالب الأساسية لنمو كل طفل.

وإذا قبلتم الطفل المتخلف على وضعه الخاص، وعلمتموه وفقاً لطبيعته مع توقع قلة مايرجى منه وبطء تقدمه، فإنكم ستجعلون منه طفلاً سعيداً على الأقل، فتفسحون له المجال كي يستخدم قواه وإمكاناته، مهما كانت هذه الإمكانيات محدودة وبسيطة.

إن موقفاً كهذا يقفه الأبوان، سيؤثر في كل أولئك الذين يحيطون بالصغير المتخلف ويحولهم إلى أناس نافعين ومخلصين، وهو بنفسه بالتدريج سيحرز الكثير من وجوه النصر، ويحس بنشوة الظفر كلما أصاب تقدماً أو أتقن صنع شيء من الأشياء.

المظهر الحسن

أهمية النظافة والترتيب

إذا كان الطفل المتخلف مرتباً ونظيفاً وحسن الهندام، فإن هذا يكسبه نقاطاً كثيرة من وجوه التقدم، ولانعني بحسن الهندام أن تكون ثياب الصغير ثمينة غالية القيمة، بل الأفضل أن تكون بسيطة وعملية ومتينة، شرط المحافظة على النظافة والترتيب بحيث تظهر الطفل بمظهر حسن، وعلى الأبوين أن يُعنيا بكل التفاصيل الصغيرة والكبيرة على السواء، فتكون الثياب الخارجية مكوَّاة، ويكون الحزام والأزرار في مواضعها، والشرائط (عند البنات) مربوطة غير مفلتة، والحذاء ملمّع... إلخ.. إن المظهر الحسن للطفل يكسبه رضا الآخرين ويجعله في موضع حسن مقبول لديهم، ويعود هذا على الصغير بالرضى والمسرة فيصيب من جراء ذلك وجوهاً من التقدم.

وفي سبيل وضع منظم عودوا طفلكم

١- أن يغسل يديه ووجهه ورجليه يومياً وأن يستعين بالصابون والليفة وأن يغسل يديه قبل الطعام وبعده وبعد دورة المياه، وأن يقلّم أظافره ويحسن استعمال الفرجون بعد كل طعام، ولا بد من الاهتمام بنظافة جلد الصغير ونعومة يديه تحاشياً للجفاف والقشب.

- ٢- احرصوا كي يظل فم الطفل مغلقاً على الدوام، وعلموه ألا يضع أصابعه في أنفه أو أذنيه.
- ٣- وابدلوا عناية خاصة من أجل شعره كي يظل نظيفاً ممشطاً غير مشعث أو مسترسل.
- ٤- وعودوه كي يبدو مبتهجاً حين يجلس على مائدة الطعام وحين يخرج من البيت.
- ٥- دربوه على أن يسير رافع الرأس نشيط الحركات متوازناً في سيره.

الصحة

يحتاج الطفل المتخلف عقلياً إلى أن يتمتع دوماً بصحة طيبة، فعلى أبويه أن يُعنيا بمعالجة كل ضعف جسمي يمكن أن يعوق الصغير أو يخلق له الصعوبات. والمرء لا يتوقع من طفل ساءت تغذيته أن تحقق ملكاته العقلية كفاياتها أو تعطي ثمارها كاملة.

والذي يلاحظ بصورة واضحة أن المتأخرين لهم في الغالب أجسام معتلة وأن مقاومتهم للأمراض تقل عن الأطفال الأسوياء، الأمر الذي يجعل صحتهم تتطلب عناية فائقة وانتباهاً من نوع خاص. ونحن نرى أن من الواجب أن يفحص الطفل المتخلف فحصاً عاماً مرة في كل سنة. كما نرى أن من الضروري أن يتخلص من كل عيب يقع في سمعه وبصره فيزيد في تعويقه

وينضاف إلى بطاء نموه العقلي. وعلى وجه العموم نرى أن الطفل المتخلف يحتاج إلى:

١- غذاء حسن يماثل غذاء الأسوياء في سنه.

٢- تمارين رياضية وألعاب منظمة في الهواء الطلق.

٣- قدر زائد من النوم.

وبالمناسبة فإن الطفل المتخلف يحتاج لنومٍ أطول مما يحتاجه الصغار الأسوياء، فلا يستغني عن القيلولة يومياً.

السلوك

وفي موضوع السلوك يلعب النموذج الحي دوراً مع كل الأطفال ومع المتخلفين منهم بوجه خاص، فإذا عني الأبوان بحسن سلوكهما وحرصاً على انتقاء ألفاظهما فتصرفاً بدقة، وحرصاً على آداب السلوك، فإن أطفالهما ينهجون على منهجهما. والشائع المعروف لدى معظم الناس أن الطفل المتأخر أكثر قابلية لتقليد الكبار من الطفل السوي، فإذا كان يسمع من حوله عبارات ((عفواً))، ((من فضلك))، ((إذا سمحت))، ((أشكرك))، ((أنا ممنون)) فمن المرجح أن يدخل هذه العبارات إلى قاموسه وأن يستعملها في المناسبات المختلفة في حياته.

وإذن: بادروا إلى الأساليب الطيبة في المعاملة

بوسعكم أن تساعدوا طفلكم المتخلف من أجل اكتساب أساليب طيبة إذا علمتموه وصبرتم عليه كي يتعلم:

١- كل صيغ الأدب المعروفة: صباح الخير، تفضّل، وداعاً، إلى اللقاء، كيف حالك، إني سعيد برؤيتك... إلخ.

٢- أن يكون مهذباً على المائدة فيتعلم أن يطلب ما يريد، وأن يأكل بتأنٍ وتمهل، وأن يمسخ فمه بالمنديل، وأن ينتظر دوره في توزيع الطعام، ولا بأس في أن يساعده أبواه في تقطيع اللحم وخلافه، ولذا يفضل أن يجلس الطفل المتخلف بجانب من يتولى مساعدته فيشرح له أصول التصرف وقواعد الأكل وطرقه.

٣- أن يعوّد على أن يتهج ويُسّر مع الآخرين فيعيرهم ألعابه ويجد مسرةً في اللعب معهم، ويجب أن يُجنّب التعامل مع الأطفال المسيئين أو غير المؤدبين، لكلا ينهج نهجهم أو يتلقى آثارهم السيئة.

٤- أن يطلب السماح والإذن كلما رغب استخدام أغراض غيره وأن يحرص عليها ويحترم ملكية الآخرين.

٥- أن يستجيب للباب فيفتحه ويستقبل الزوار قائلًا: ((تفضل)) ((اجلس من فضلك)) إلخ..

٦- وأن يستجيب للهاتف ((آل)) لحظة من فضلك، سأناذي بابا.

٧- حاذروا من تركه يتعدى حدود اللياقة والأدب فيرفع الكلفة، أو يشتط في المعاملة، والأفضل أن يكون طبيعياً مع تحفظ، وحينما يكبر يبدأ يتبسط شيئاً بعد شيء.

العادات الحسنة

يحتاج كل طفل إلى اكتساب بعض العادات ولو كان من المتخلفين، والطفل المتخلف شأنه شأن بقية الأطفال، فهو يميل إلى تكرار الأفعال التي تفرحه وتبهجه، وترك الأفعال التي لاتسره، والمعروف أن المتخلفين لايسعون ولايفكرون كثيراً بالتقدم إلى الأمام، ولذا كان من الواجب أن نوجههم بتوجيهات بسيطة ما أمكننا ((سعيد انظر ماما)) أو ((سعيد افعل كذا)). ولما كان بطبعه غير مستعد لتمثل الأفكار الجديدة، فإن أفضل طريقة لغرس الأفكار في ذهنه هي استعمال أقل كمية ممكنة من الكلمات وتكرارها بذاتها على الدوام ((لا ياسعيد)). ومن ناحية أخرى فإنه من الصعب أن يطبق فكرة واحدة على ظروف مختلفة، لذا كان الواجب أن نشرح له ماذا يجب أن يفعل في كل ظرف على حدة، فقبل أن تأمره بأداء عمل من الأعمال اعرفوا بالدقة ماذا تريدون أن يتعلم، أو يفعل، وبذلك تتحاشون الأقوال التي لاتفيد

والأوامر الغامضة التي لا يمكنه أن يستجيب لها. وفي تربية الأطفال المتخلفين يجب الاعتماد على الروتين بالدرجة الأولى، فالروتين أفضل طريقة من طرق التنشئة. ضعوا إذن برنامجاً لأعمال الطفل واجعلوه ممتعاً ما أمكنكم، واحرصوا على أن يتبع الطفل ذلك البرنامج بحذافيره، فيغسل يديه قبل الطعام وبعده وينظف أسنانه بعد الأكل، ويجلس في نفس المقعد على الطاولة، وينام في نفس الساعة، وحين ينجح في أداء كل ذلك، فإنه يمتلك ثقة بنفسه أضف إلى ذلك أنه يكسب حسن الأداء في أقواله وتصرفاته ويتعلم العادات الجيدة.

وإذا ذكرنا أن الطفل لا يتعود من العادات إلا بقدر ما يسمح به إدراكه وتفكيره فعلياً أن نختار العادات التي تقع ضمن حدود قدراته ويستطيع تنفيذها بسرعة.

وحين تعلمونه شيئاً من الأشياء اعرضوا عليه العمل كاملاً ودعوه يقوم به على مراحل، وإذا لاحظتم عليه بعض التعب توقفوا في الحال عن متابعة الأعمال، فالتعب يعطل الطفل المتخلف ويفقده كل تقدم، وما أشد أن يتعب الأطفال المتخلفون.

إن الأمر في تعليم الطفل أن يترك وحده كي ينجز ما يستطيع إنجازه بمفرده ويحقق انتصاراته بنفسه، على أن يراقبه الأبوان عن كثب، فلا يتدخل إلا حين تلحف الحاجة، إن دفعات بسيطة بين فترة وأخرى تهدف لإتمام العمل تنشيط الطفل وتعطيه نتائج قيمة.

لا تقتصدوا في المديح

- ١- أظهروا البشاشة والسرور حين يبذل ولدكم جهده فينجح، إن ابتسامة تسمعونها على وجوهكم مع ربتٍ خفيف على ظهره تفعل العجائب، فحاذروا تثبيط الهمم.
- ٢- لا تكلفوه في الوقت الواحد أداء أكثر من عمل واحد وذلك لئلا يتشوش ويقع في الاضطراب.
- ٣- اسهروا على ما يفعل وراقبوا نشاطه، إن الطفل المتخلف إذا ترك وحيداً فإنه كثيراً ما يدع شغله وينسى العمل الذي بين يديه.
- ٤- عليكم بالصبر الطويل وذلك لأن الصغير يحتاج إلى الإعادة والتكرار مراراً قبل أن ينجح في أداء عمله.
- ٥- قدموا له النموذج الحسن الذي يستطيع محاكاته، فالمحاكاة أيسر أسلوب وأصلح أسلوب للمتخلفين.
- ٦- وإذا أمكنكم واتسعت الدار فخصصوا له غرفة خاصة به يوضع فيها حوائجه ويحس أنها غرفته، واحرصوا على أن تكون هذه الغرفة مضيئة مشرقة ومرتبة وأن تكون رفوفها ودروجها وكل ما فيها يناسب الصغير وجسمه.

عادات النظافة

يستطيع الطفل المتخلف أن يكتسب عادات النظافة كبقية الأطفال الآخرين، والطفل الذي لا يستطيع السيطرة على بوله وخروجه يُعد عبئاً ثقيلاً على الأم ويجب الاستعانة بالطبيب من أجل مساعدته على إحراز هذه السيطرة، وعلى وجه العموم يمكنكم أن تأخذوا طفلكم إلى الحمام في المواعيد الآتية:

١- حين اليقظة من النوم.

٢- قبل وبعد كل وجبة طعام.

٣- قبل النوم.

٤- قبل أن ينام الوالدان.

ولابد من وقوع مفاجآت بين هذه المواعيد، فعلى الأسرة أن تكشف أوقات هذه المفاجآت فتسجل قائمة بها، وتطلب فيها من الصغير أن يذهب إلى الحمام، فإذا تعاونت الأسرة وتقيدت بتنفيذ مثل هذا البرنامج خلال أسبوعين اثنين فقط فإن الأسرة تريح المعركة ويكتسب الصغير عادات النظافة.

وإذا ظل الصغير يبيل سريره، فإن عليكم أن توقظوه في الليل قبل أن يتبول، ولن يكلفكم هذا عناء أكثر من أسبوع أو أسبوعين، واحرصوا كي ينام ولدكم على جنبه ولا تسرفوا بتغطيته بالأغطية السميقة، وليكن عشاؤه خفيفاً ومن المواد غير السائلة،

ولاتأخروا في عشاءه بعد السادسة مساءً ولا تسمحوا له بتناول أي سائل بعد العشاء، وعلى الرغم من كل هذه التحفظات ومع أخذ الصغير بكافة الاحتياطات، فمن المحتمل أن تحدث مفاجآت، فإذا حدثت وكثرت فعليكم بالحزم والعودة إلى البرنامج الذي أشرنا إليه، وذلك دون تضخيم للأمور أو لوم الصغير، فاللوم لا يعمل أكثر من تعقيد الأمور وإثارة القلق والاضطراب في نفسية الطفل.

كيف يأكل ويلبس

إذا وجدتم أن طفلكم لا يقبل على الطعام بشهية كافية، فإن عليكم أن تنوعوا في طعامه من ناحيتي المضمون والشكل، ولتجعلوا الطعام جذاباً ومقبولاً ما استطعتم، فإذا رفض الصغير أن يتناول قطع الجبن مثلاً فإن بوسعكم أن تقدموا الجبن في شكل فطائر أو أن تبيعوا الجبن وتقدموه للصغير ساخناً داخل خبز ساخن. والمعروف أن الصغار يحبون تنويع الطعام كما يحبون أن يروا ألواناً كثيرة في الوجبة الواحدة، وعلى العموم فإن الأطفال يتمتعون بشهية كافية لهم، وإن كان الكبار يحرصون على إتخام أولادهم أكثر فأكثر، وإذا قدمتم للطفل صحناً مترعاً بالطعام فترك فيه كمية كبيرة، فعليكم بإنقاص الكمية في الوجبات القادمة، ومن المحتمل أن تُصد قابلية الطفل إلى الطعام إذا وجد أمامه صحناً مترعاً بالأكل الدسم، والأفضل من هذا أن يقدم له الطعام بقدر

يستطيع أن يلتهمه بكليته ثم يطلب بعد ذلك صحناً آخر. والقاعدة في الطعام ألا يُجبر الصغير وألا يُلام على طعام لم يأكله. وبالعكس عليكم أن ترفعوا صحن الصغير دون أي تعليق حالما ينتهي الآخرون من طعامهم وترفع صحنهم، فهذا الدرس كافٍ وحده ليجعل الصغير يقبل على طعامه بنهم في الوجبة القادمة، وذلك شريطة أن لا يُسمح للصغير بتناول أي شيء بين الوجبات. وإذا فاتت الطفل (خلال فترة تعلّم الأكل) وجبة أو وجبتان فلا ينبغي أن تقلقوا بذلك.

وإليكم بعض الأمور التي يجب أن تعلّموها طفلكم بصدد التغذية:

- ١- دعوه يشرب بواسطة كأسٍ من الماء (ساعدوه في ذلك أول الأمر).
- ٢- عودوه أن يمضغ جيداً.
- ٣- علموه كيف يستخدم الملعقة والشوكة.
- ٤- وفي الوجبة الواحدة عودوه أن يستخدم أداة واحدة (الملعقة أو الشوكة).
- ٥- عودوه أن يشرب بنفسه.
- ٦- عودوه أن يطلب بالكلام ماذا يريد لا أن يشير بإصبعه.

- ٧- علموه أن يأكل وفمه مغلق دون أن يحدث أي صوت.
- ٨- ويمكن تعليمه استخدام السكين على مراحل بدءاً من قطع شرائح اللحم والخضرة.
- ٩- علموه أن يمسخ فمه إذا انتهى من طعامه وكلمة تطلب الأمر.
- ١٠- وعلموه أن يغسل يديه قبل الطعام وبعده.

عادات النظام

وهناك عادات في النظام وتحمل المسؤولية إذا أخذ بها الطفل جعلته أكثر اعتماداً على نفسه، وهيأته ليكون مقبولاً لدى الناس، وإذا اكتسبها الطفل أراح أبويه كثيراً ووفر عليهما الاستمرار في التأنيب والمؤاخذه، وستكون حياة الطفل جميلة ورائعة إذا أخذتم الصغير بما يلي:

- ١- أن ينظف يديه بنفسه.
- ٢- أن يرتب ألعابه وجميع الأشياء التي يتعامل بها.
- ٣- أن يعلق ثيابه بنفسه.
- ٤- أن يغسل يديه ووجهه وفمه وأسنانه بنفسه.
- ٥- أن ينظم دروجه ويحفظ صدرته ومناديله وثيابه الداخلية.

٦- أن يستخدم المنديل.

٧- أن يبدأ بالاستحمام بنفسه مع مساعدته التي تخف شيئاً فشيئاً.

٨- أن يغسل يديه قبل الطعام وبعده، وإثر الخروج من الحمام. وفي أثناء بذل جهودكم الرامية إلى تنشئة الطفل تذكروا دوماً القاعدة الذهبية القائلة: ((سنعلمه شيئاً واحداً في كل مرة، ولكنه شيء أتقن صنعه)).

اكتساب السلوك المضبوط

إذا بذلتم للطفل المتخلف ما يستحقه من العناية اليقظة والتربية الذكية، فإنه يستطيع أن يكون نفسه ويقوم سلوكه، ويشب مثل بقية الأطفال الأسوياء، ولكن إذا لم تتح له مثل هذه التربية فإنه يظل مشوشاً ضعيف الإدراك، والمبدأ في تربية الطفل المتخلف أن نتوقع منه أن يسلك سلوك طفل سوي أصغر منه في السن.

وإذا ظن بعضهم أن الطفل المتخلف لا يحتاج إلى النظام فإن ظنهم هذا خاطئ ولا يقوم على أساس علمي سليم ومن يأخذ بهذا الظن فإنه لا يحسن إلى الطفل بل يسيء إليه.

وحين نتكلم عن ضبط السلوك فإن أول ما يقابلنا هو ((ضبط الانفعالات))، وفي مضمار ضبط الانفعالات يجب علينا أن نتبع نفس الطرق التي نتبعها في تربية الطفل السوي. فإذا ذكرنا أن

الانفعالات (كالغضب والحجل والحزن والفرح) ليست كلها سواء بل منها الطيب ومنها الرديء، فإن الحياة الاجتماعية تسمح ببعض الانفعالات وتطلب ذم الانفعالات الأخرى، ومن هنا كان يتوجب على كل طفل أن يتكيف مع مطالب المجتمع بضبط انفعالاته هذا ويجب أن نتوقع من الطفل المتخلف أن يكتسب ضبط انفعالاته ببطء شديد، وأن يتأخر انسجامه وتوافقه مع الجماعة، ونجده يتصرف وكأنه ابن سنة أو سنتين، نراه يضرب الأرض برجليه حين يستاء ويفرط في البكاء واستدرار العطف... إلخ.

الإفراط في الغضب

يلجأ الصغار إلى الغضب حين تلح عليهم رغبتهم في امتلاك أشياء لا يدرون الطرق المجدية لتحصيلها، وقد يلجؤون إلى الغضب من أجل فرض أنفسهم وجلب انتباه الآخرين إليهم*، لذا فإن جهد الآباء يجب أن ينصب على تعليم الصغار أن الغضب ليس سبيلاً إلى امتلاك الأشياء، فحين تثور نائرة الغضب عند الصغير، عليكم ألا تنساقوا بالتأثر وتقلبوا مزاجكم، بل اضبطوا أنفسكم ريثما تمر المرحلة خلال دقيقة أو دقيقتين ثم حولوا انتباه الصغير إلى شيء آخر، إلى أي شيء يمكن أن يصنعه أو يلهو به، وإذا لم

* وهكذا نرى الصغير كلما استيقظت حاجته إلى الامتلاك ارتمى على الأرض وأخذ يصيح ويبكي ويدبك برجليه ويلقي بالأشياء من حوله.

يُعرِّكم انتباهه فاتركوه يخرج نفسه بنفسه من أزمة الغضب التي استولت عليه، وفي كل الأحوال يجب عليكم ألا تظهروا أي تأثير أو غيظ تجاه الصغير، وقد يستحسن أحياناً ترك الصغير وجيداً في إحدى الغرف ريثما يهدأ غيظه.

وبالطبع يجب ملاحظة ألا تكون في الغرفة أشياء يمكن تحطيمها وكسرها وتقع تحت يديه، كما يجب ألا تظهروا هذه الغرفة بمظهر مخيف للأطفال، وبإمكانكم أن تفهموا الطفل بهدوء ولهجة حازمة أنه سيخرج من الغرفة حالما يسكت ويخلص من البكاء. وإذا أكثر أحد الأطفال من البكاء فهذا يدل على أن خطأ ما يكمن في تربية هذا الطفل، وغالباً ما يكون هذا الطفل قد كُف سلوكه لمدة طويلة، أو حرم من ألعاب أو حاجات يملكها رفاقه ويتمتعون بها، إن من الناس أناساً يفرطون في عبارات النهي والأمر: سعيد لاتفعل هذا، سعيد لاتفعل ذاك، لاتؤذ، لاتمد يدك... لاتتحرك.. لاترفع صوتك.. إلخ.. وعلى هؤلاء الناس أن يذكروا ذاك الطفل الذي سُئل عن اسمه فأجاب ((اسمي سعيد لاتؤذ))، فما أجدر الآباء أن يلاحظوا أنفسهم وألا يكثروا من الطلبات من أمر ونهي ولا يطلبوا إلا الأشياء الهامة والضرورية فقط.

السيطرة على الخوف

يخاف الطفل المتخلف الأمور التي لا يدركها أو التي تذكره بذكريات سيئة، فمثلاً هو يخاف الهرة لأنها خدشته أو عضت يديه حين حاول أن يجذبها من ذيلها ذات مرة، والأحسن أن نتنبأ سلفاً فنتحاشى مثل هذه التجارب ماوسعنا الأمر، ومع ذلك ومهما سعيتم كي يفهم الطفل المتخلف الأمور فإن سعيكم لا يجرز النجاح كله، إذ إنه يجب أن تذكروا أن هذا المتخلف إذا فهم شيئاً صعب عليه أو استحال أن يفهم الأمور المماثلة (وبعبارة أخرى فإن الطفل المتخلف ضعيف التعميم لا يحسن القياس أو المحاكمة إلا بقدر) فحريٌّ بنا أن نذكركم إذن بقاعدة الصبر.

هذا وإن الطفل المتخلف يمتص (مثل بقية الأطفال) مخاوف الكبار، فعلى الأمهات أن تحرص بشدة لئلا تنتقل مخاوفها الخاصة إلى أولادها (كالخوف من الرعد أو الحشرات وبعض الحيوانات كالفأر وما إليها) وإذا صدف أن وقع الطفل في موقف خطير بالفعل فعليكم أن تستعينوا بالهدوء ما أمكنكم، وذلك لئلا يهلع الطفل أو يفقد صوابه ويعجز عن أي تصرف (مثل حالة حصول حريق مثلاً). ولنذكر أن الأخطار تجعل الطفل السوي مضطرباً عصبي المزاج فمن باب أولى أن تصنع ذلك بالنسبة إلى الطفل المتخلف. وإذا رأيتم الصغير تستعصي تربيته أو تشتد معاكسته لكم فإياكم وتخويفه من البوليس أو الشحاذ وما إليهما.. وأكثر

من هذا فإن عليكم أن تعودوا الطفل كي يألف الأمور الغريبة التي تثير مخاوفه شيئاً بعد شيء، ولا يكفي من أجل هذا أن تقولوا: لا تخف، بل اجهدوا لربط الشيء (أو الشخص) المخيف بفكرة سارة، بينوا له مثلاً كيف يخرّ الهر بهدوء حين يُمسح بلطف. أما الجدة المسنة التي يخافها الصغير فإن بإمكانها أن تُحضر له قطعاً من الحلوى فتجعله يألفها ويجبها مع مرور الأيام. أما خوف الطفل من الظلام فيعالج بوضع (نواصة) صغيرة في الغرفة أو يترك باب غرفته مفتوحاً، فإن هذا يؤدي إلى إشاعة الطمأنينة في نفسية الطفل ويعمل على تبديد مخاوفه الوهمية التي قد تفوق في أثرها المخاوف الحقيقية.

حينما تظهر الغيرة

بيدي الطفل المتخلف الغيرة حينما يحس بالحاجة إلى العطف والمحبة، فلا يجوزهما، والغيرة تنشأ عن سلوك الكبار، فهؤلاء حتى حين يحرصون على أن يعدلوا في معاملتهم صغارهم فإنهم لا يستطيعون أن يمنعوا أنفسهم عن كيل المديح لأخٍ لامع أو لأخت أجمل، وغالباً ما يحس الطفل المتخلف أنه محبوب إذا قدم له أبواه ((أشياء)) يلعب بها ومكاناً خاصاً به في إحدى زوايا المنزل، ولا مانع من إظهار مزيد من المحبة للطفل المتخلف شريطة ألا يفسد ذلك أو يعطل نموه النفسي. ومن المستحسن أن نقنع الأطفال

الآخرين أن يسمحوا للطفل المتخلف بأن يلعب معهم في بعض الأحيان شرط ألا يتخذوه مادة لسخريتهم وهزلهم.

الطاعة

من الضروري أن يعرف الطفل المتخلف أن هناك أموراً حسنة يجب أن يؤديها، وأموراً سيئة يجب أن يجتنبها، ومعرفته بهذه الأمور تخدمه من أجل أن يسلك سبيل المطمئن الواثق في حياته وأن يغدو سيد نفسه في المستقبل، ومن الضروري بوجه خاص أن يعرف كيف يكون طيعاً. ولعله لا يفهم لماذا يُمنع عنه هذا الأمر أو ذاك، ولكنه يستطيع أن ينفذ ما يطلب منه.

١- الطريقة الأولى وفيها يتعلم أنه ينبغي أن يتحاشى كذا وكذا... فلا يفعله، فإذا فعل شيئاً من ذلك قرأ مظاهر السخط على وجوهكم وتلقى منكم العقوبة. وهكذا يعرف أن نتيجة هذه الأفعال مبئسة ومؤلمة.

٢- الطريقة الثانية وفيها يتعلم أنه ينبغي أن يفعل كذا وكذا... فإذا فعله فإنه يلمح على وجوهكم علائم الرضى والتشجيع ويتلقى ربثاً خفيفاً على ظهره تشجيعاً له على عمله أو يتلقى قطعة حلوى، وهكذا فإن نتيجة هذه الأفعال سارة ومبهجة.

نعود فنذكر بأن تعلموا الطفل أمراً واحداً فقط في كل مرة، فإذا علمتموه مثلاً ألاّ يمس المدفأة بيده لئلا تحترق، فإنه لن يفهم

لوحده أنه لا يجوز مس آنية الطبخ (الطنجرة) لنفس السبب، فالطفل المتخلف ضعيف التعميم ولا يجيد فهم الروابط بين الأشياء المتماثلة، بل يفهم كل حالة جزئية على حدة، ومن المؤسف أن الكثير من الآباء يجهلون كيف يعلمون أولادهم الطاعة، فالبعض يخضعون لعواطف زائدة أو لحنان مفرط تجاه الولد المتخلف فلا يعلمونه النظام، والآخرون يفقدون صبرهم إذ يرون بطء النمو عند طفلهم المتخلف فيشتد قلقهم عليه فيعكفون على عقابه بشدة وصرامة.

كونوا منطقيين

قد يظن الناس أن قسوة العقاب كفيلا وحدها بإعطاء النتائج المتوخاة، وهذا الظن خاطئ والحق أن العقاب المفيد هو الذي يحتوي على معنى، فإذا عاقبتم طفلكم ذات مرة لأنه قطف وردة من الحديقة، ثم تركتموه في اليوم الثاني يقطف الورود دون أي عقاب فإنكم لا تكونون منطقيين ويكون عقابكم بغير معنى. والأطفال يدركون بأنفسهم اللامنطقية وخلو المعنى في مثل هذا العقاب، وعليكم أن تعرفوا أن النظام جزء من كيان منهجي معقول، ولكي يكون فعالاً يجب أن يكون ذا معنى ومضمون، وهذا يقتضي ملاحظة مايلي:

١- ينبغي ألا تعاقبوا طفلاً على هناتٍ أو هفوات غير إرادية. إن طفلاً يسكب الحليب على ثيابه لأنه لم يعرف بعد كيف يتناول الفنجان لا يستحق أية عقوبة، أما إذا سكبه بإرادته وبرغبة إغاظته الآخرين أو إتلاف الأشياء، فإنه يجب أن يعاقب لئلا يثابر على مثل هذه التصرفات.

٢- ويُستحسن عادة معاقبة الطفل بعيداً عن أعين الآخرين، وخاصة عندما يوجه العقاب نحو الكبار.

٣- وإذا عاقبتم طفلاً فعاقبوه مباشرة بعد اقتراف الخطأ، وإلا فعليكم بترك العقاب، إن الطفل المتخلف يملك ذاكرة ضعيفة، وهو ينسى، فلا يدري لماذا يُعاقب إذا مضى على ذنبه الوقت.

٤- عاقبوا الصغار وأنتم في أهدأ حالة، فلا عقوبة وأنتم في حالة غضب، وليس المهم أن تؤلموا الطفل المذنب أو تسخطوه، بل المهم أن تجعلوه يدرك أنه لا يجوز أن يفعل كذا وكذا... فإذا تمّ كل شيء وأدرك الأمور فالزموا حدودكم وأوقفوا كل عقاب.

أنواع العقوبات

هناك أنواع عديدة من العقوبات، منها:

١- يمكن معاقبة الطفل المتخلف بضربة خفيفة على اليدين وخاصة إذا كان لا يفهم ما يقال له، ولكن إياكم أن تكثروا من

هذه العقوبة فإن ذلك يجعلها غير مجدية وضعيفة المفعول، إن كلمة لا إذا قيلت بحزم قد تكون أفضل وأقوى من أية عقوبة أخرى.

٢- يمكن عزل الطفل المذنب عن الآخرين، بتنويمه في مكان خاص بعيداً عن الآخرين، ويجب ملاحظة عدم وجود أشياء يمكن أن يتلفها الصغير في عزلة، وفي حال تنفيذ هذه العقوبة يجب ألا تأخذكم الشفقة إذا هو بكى أو لجأ إلى شيء من الاستعطاف، وعلى كل لا يجوز أن يترك في غرفة مظلمة أو مكان مهجور يرعب الأطفال، فمن الجائز أن يتثبت في الصغير الخوف من الظلام.

٣- ويجب أن نحذر الآباء من الإفراط في اللوم أو التأنيب فالطفل يألفهما بسرعة، ورغم أنه لايلمس في التأنيب شيئاً جميلاً، غير أنه مع الأيام يخف انتباهه إلى وجوه الملامة والتأنيب.

٤- أما التهديد فلايجوز استعماله بأي حال من الأحوال لأنه إما أن يُفزع الصغير فزعاً شديداً لاجابة إليه، وإما أن يغدو شيئاً غير ذي جدوى إذا أكثرتم منه وأصبح أمراً مألوفاً.

٥- وأحياناً يلقي الطفل جزاءه من نفس عمله، فهذا الجزاء طبيعي، ولكن يجب معه اتباع الحذر وذلك لأنه قد يكلف غالياً، فهل ندعُ الطفل تكسر رجله جزاء له على صعود الأشجار؟..

وآخر مانقوله في الجزاء أن تستغلوا الحوادث اليومية التي يمر بها الطفل من أجل تعليمه وتنشئته.

اظهروا سروركم ورضاكم

إذا أذعن الطفل لمطالبكم وأحسن التصرف في سلوكه، فعليكم أن تظهروا رضاكم ومسررتكم به مكافأة له، وتزداد ضرورة ذلك حين يكون الطفل من المتخلفين الذين يتم نموهم ببطء ملحوظ ويحتاجون إلى مزيد من المديح والتشجيع، غير أن التشجيع لا يقتضي ضرورة أن تلجؤوا إلى مظاهر المبالغة والتفخيم، فابتسامة رضى ترتسم على وجهكم تؤدي المطلوب، وضربة تحبب خفيفة على الظهر تجعل الصغير فخوراً بنجاحه وخاصة إذا كانت بحضور الآخرين.

وإذا أحسن الصغير عملاً فامدحوه على إحسانه، ولا تكتفوا بقولكم (عال) بل قولوا: ((شكراً نحن مسرورون لأنك أحسنت خطك في الكتابة)). ومن حين إلى آخر فإن تقديم هدية مناسبة يفعل الشيء الكثير، فقطعة حلوى، وتفاحة، ولعبة صغيرة، تشجع الطفل، أما الطفل الأكبر سنناً فيمكن إثابته على إحسانه كلما أحسن صنع شيء من الأشياء؛ وعليكم أن توفوا بوعودكم إذا وعدتم الصغير ونفذ مطالبكم بشكل جيد. وهناك ضروب من التشجيع والثواب يمكن اللجوء إليها كوضع نجم أو نجوم خاصة في لوحة أنيقة تعلق على الجدار، أو داخل دفتر خاص، وبوسعكم أن تنظموا لوحة الشرف المذكورة كما ترغبون فتضعون فيها أعمدة شتى تخصص للنظافة والترتيب والأدب.. إلخ.

اللعب والألعاب

بطريق اللعب يتعلم الصغار جملة أشياء حول العالم والحياة والناس، فيكتسبون المهارات ويمارسون الأعمال، واللعب بالنسبة للأطفال فعالية جدية، والطفل يحب اللعب لا لأنه أمر سهل بل لصعوبته، والكبار وحدهم يظنون أن اللعب سهلٌ ومسلٌ وأن العمل شاقٌ وغير مبهج، ومع ذلك فالأطفال يحبون الألعاب البسيطة التي يتسلون بها في معظم أوقاتهم، كالأشياء المستعملة التي يستخدمونها في وجوه شتى، فيحولونها بخيالهم إلى أشياء رائعة. إن علبةً من الخشب يمكن أن تتحول فتصبح قصراً عظيماً أو مركباً (جندولاً) من المراكب الحلوة، وعلى هذا فلسنا في حاجة إلى أموال باهظة كي نمنح صغارنا مجموعة من الألعاب، بل تكفيهم عادةً علبة صغيرة من الكرتون ومظروف كبير بعض الشيء، مع بعض المكعبات والكرات الخشبية حتى يشكلوا منها ماشاؤوا من الألعاب... إن كثيراً من الأسر الآن تجد أمتع الساعات وأحلاها في تشكيل لعب أو أشياء يصنعها صغارها. ومن المعلوم أن المواليد يتعرفون على الحياة بطريق الأشياء التي تلتقي بجواسهم المختلفة، فلاعجب إذا قلنا: إن ألعاب الصغار يجب أن تتنوع في ألوانها وأصواتها وأشكالها.

ألعاب المولود

يمكن للمولود في السنة الأولى أن يلهو بطوق ذي خرزات من الخشب الكبيرة اللامعة التي يسهل غسلها وتنظيفها، وذلك لأن الطفل سيضعها حتماً في فمه؛ فاختاروا خرزات ثابتة الألوان وذات حبل متين لا ينقطع. وتصلح للمولود أيضاً مجموعة بكرات (كراكر) فارغة وملونة بألوان مختلفة وغير سامة، ومربوطة بحبل متين أو منفصلة عن بعضها بحيث يتمكن الصغير من صنفها إلى جانب بعضها، أو صف بعضها فوق بعض ومن ضربها ببعضها وجذبها ودفعها على خشبة أمامه فتحدث ضجيجاً يمتع المولود ويهجه. ويمكنه أيضاً أن يتسلى بقطع من الورق يكومها بيديه ويفكها ويمزقها أو يرمي بها إلى الأرض، ولكن حذار من أن يقتطعها قطعاً يجعلها في فمه أو يتلعها. ويتسلى أيضاً بلعب من القماش تُصنع في البيت على شكل حيوانات أو نجوم، وأتيحوا له صحناً معدنياً أو علبة من الصفيح يضع فيها أشياءه ويُسر من أصواتها، وأتيحوا له قطعاً معدنية يدخلها في زجاجة ويراها في الداخل، كما يراها وهي خارجة حين يفرغها...

ومن أجل الطفل الأكبر

يجب الطفل الأكبر أن يجلب إليه الأشياء وأن يلقيا بعيداً عنه، وهكذا فإن علبة من الخشب أو الكرتون تحتوي الكثير من

الإمكانيات، فإذا ثقت من وسطها وربط بها حبل متين يسمح بشدّها منها، فإنه تنقلب إلى عربة أو سيارة شحن أو سيارة ركوب، وهي إذا أضيفت إليها عصا أو عصوان، غدت طبلاً يشبه طبل الجنود وإذا وضع فوقها غطاء طنجرة، وقطعة من الحصى فإنها تصبح آلة صوتية، وإذا ربطت مجموعة من علب الكرتون ببعضها بواسطة حبل (أو ربطت مجموعة من علب السجاير الفارغة) فإنها تصبح قطاراً يعلو صفيره ويشق طريقه ويتخيل الصغير دخانه الذي يعلو منه ويملاً الجو... وبالطبع فإن بوسعكم أن تلونوا العربات كما تشاؤون وتشحنوا فيها ماشاء خيالكم من بضائع أو بشر.

ومن قطع الفلين يمكن صناعة خيول مطهمة تثبت فيها عيدان من الكبريت لتصبح قوائم لها... إلخ... وهناك ألعاب الصلصال والجبس وأوراق المجلات المهملة القديمة التي تصنع منها الصحون والزهريات وكل ذلك رائع جذاب.

ولا تنسوا طرق ملء الفراغ

فالأولاد الذين كبروا بعض الشيء يحبون تكوين مجموعات من الأشياء كأنواع العملة أو الطوابع أو علب السجاير أو الكبريت أو قطع الخشب والحجارة..

وهناك أطفال كثيرون يتمتعون بمشاهدة العصفير التي تقترب من النوافذ وتجذبها فتات الخبز ولا يكلف هذا أكثر من علبة

كرتون تثبت على شجرة أو على نافذة الصغير وتوضع فيها الفتات، وبقايا المائدة، وسترون الصغير يفتخر بهذا العش الصغير الذي صنعه وجلب إليه عصافير الحي، ومن الأطفال من يتسلى بتربية حيوان داجن، وبطريقه يتعرف الطفل إلى معاملة الإنسان للحيوان، وإلى الرفق به ككائن ضعيف، وطبعاً يجب أن نحسن اختيار الحيوان المناسب للطفل والمكان الذي يُربى فيه، فلا يخيف الطفل أو يؤذيه، ولا يخلف أقداراً تزعج الأسرة أو ضجيجاً يمزق هدوءها.

وفي خارج البيت (على الشاطئ أو في الحديقة العامة) يمكن للطفل أن يتسلى بدلو من الماء وكمية من الرمل ومنكاش ورفش... أو بآنية لا تحتاج إليها الأسرة. وتستطيع البنات أن تجد في الدُمي والسرائر لانهاية من المباحج.

مدرسة في البيت

يخطئ بعض الناس إذ يظنون أن الطفل المتخلف لا يمكن تقويمه أو تربيته، وبالعكس فإننا نرى أن طفلاً متخلفاً إذا أشغل ذهنه ويديه بأشياء نافعة فإنه يتعلم وينمو ويتهدب، ويغدو وهو في بيته وكأنه أفضل مدرسة، وسرعان ما تلقون هذا الطفل يفتخر بنفس الأشياء التي يصنعها غيره من إخوته وأصدقائه، لقد وجد نقطة تماثل تجعله يشبه الآخرين، فلم يعد غريباً عنهم ولم يعد يختلف عنهم. وحقاً جربوا الأمر الآتي تجدوا أروع النتائج:

ابدلوا عناية طيبة لطفل متخلف بحيث يتقن شيئاً من الأشياء، إنه إذا فعل ذلك فسيصبح حتماً أسلس قياداً وأوفر اهتماماً بما حوله، كما تجدونّه أكثر انتباهاً لأقوالكم وتنبهاتكم وأحسن إدراكاً لمطالبكم.

وأياً كان الأمر فإن إقامة صف خاص للطفل المتخلف في البيت، تبدو غريبة وصعبة بالنسبة إلى الأم، فهي لا تعرف من أين تبدأ، وماذا تفعل، وكيف تعلّم وتوزّع أوقاتها، إن أمثال هذه الأم جديرات بأن يستمعن إلى بعض الإرشادات التي تلقي الضوء على الموضوع:

فمن الأمور الأساسية في تعليم الطفل المتخلف أن يتعلم كل ما تعلّمه أمه، وتبذل فيه الجهد، وفي هذا من المشقة ما يجعل الأم تضجر من جراء توزيع وقتها على أعمالها المنزلية اليومية وعلى طفلها المتخلف، ولكنها إذا اتخذت لنفسها منهجاً واضحاً، فإنها تستطيع أن تجعل تربية طفلها تسير إلى جانب أعمالها المنزلية، فمثلاً تستطيع الأم أن ترتب السرائر وأن تنفض غبار البيت أو تتم خياطتها، وخلال ذلك يكون الطفل (الذي اعتنت به أمه) منصرفاً إلى كتابة أسماء الأشياء أو الأفعال التي تصنعها أمه (سرير، طاولة، قميص)، (تغسل، تكوي، تطبخ...) إلخ..

١- ضعي برنامجاً للوقت

اتفقي مع نفسك وحددي أية نصف ساعة أو ثلاثة أرباع ساعة تستطيعين الاستغناء عنها من أجل ((صنع مدرسة)) للولد. فهذا الوقت كافٍ للأطفال الصغار، أما الأكبر قليلاً (من ٧ إلى فوق) فحاولي تخصيص فترتين في النهار لهذا الأمر، وتبعاً لمشاركة الطفل واستمرار اهتمامه وإشارات التعب البادية عليه يمكنك أن تحددتي ساعات المدرسة الملائمة، وطبعاً فإنه يستحسن في البداية عدم تغيير ساعات الدراسة، لذا ننصح بأن تعلمي مع طفلك في نفس الساعات ونفس المكان، ومن الأمهات من تخصص ساعات في الصباح تقع بين (١٠،٤٥ و ١١،٣٠) ومنهن من تفضل تخصيص فترة مابعد الظهر (بين ٢،٣٠ و ٣،١٥) وعلى كل أم أن تعنى بملاحظة كون الوقت مناسباً للصغير، ولا يكفي أن يكون مناسباً لها وحدها.

وإذا صدف ولم يظهر الطفل المتخلف أنه أدرك شيئاً مما تعلمينه، ولم يجرز أي تقدم فعليك بالصبر، وابدئي من جديد ونحن نستحسن لك أن تبدئي مدرستك مع الصغار جداً بالموسيقى، فتعزفين للطفل وتطلبين منه أن يرافقك بالنشيد وأن يشرع في تحريك يديه أو رجله مع الإيقاع، ثم يلجأ إلى النشيد معك. أما التدريس فيكون بتقسيم الوقت المتخصص إلى درسين أو ثلاثة دروس، مدة كل درس بين (١٠) إلى (١٥) دقيقة على الأكثر،

وإنه لخطأ كبير نرتكبه إذ نطلب من الصغار أن يظلوا منتبهين لمدة أطول مما تسمح به طبيعتهم، ومنذ البداية يجب ربط الأعمال الشاقة بأعمال جذابة، ورأينا ألا يُشغل الطفل في أول تعليمه بأشياء يمكن أن يتعلمها فيما بعد في المدرسة (كتهجئة الألف باء)، وبالعكس يجب أن تبدووا بالأمر البسيطة السهلة التي ترون جازمين أن الصغير يُسيغها ويقبل عليها بشغف، وشيئاً فشيئاً يمكن الانتقال إلى أمور أشق وأقسى. واجهدوا كي تكون الدراسة منذ البدء محبة إلى الصغير، كرروا الدرس الخاص الذي تودون أن يتبلغه الطفل، عدة مرات، وعليكم أن تراقبوا بدقة تبدد اهتماماته، وحالما ترون أن انتباهه بدأ يتشتت قدموا له موضوعاً جديداً أصعب إذا كان يستطيع المتابعة، أو أسهل إذا وجدتم أنه أتخم وتعب ذهنه، واتبعوا قاعدة إغلاق كل شيء في الدرس حين يحين موعد انتهاء الدرس فعلاً، مع ملاحظة عدم استخدام القضايا المدرسية إلا في الدروس، ويحصل هذا بأن تجعلوا فاصلاً واضحاً بين أمور التعليم وبين الألعاب بالمعنى الدقيق للكلمة، رغم أنها في معظم الأحوال تكون هي عينها.

٢- الصف

يُستحسن تخصيص غرفة في البيت كي تكون قاعة للدرس، وإذا لم تتوفر هذه الغرفة فأمر لا يهمل، فمن الممكن استغلال غرفة الجلوس لذلك، ومن الممكن تخصيص إحدى الزوايا في أية غرفة،

والمهم أن يتاح للصغير أن يجلس هادئاً وأن ينتبه إلى درسه فلا يعكر صفوه أحد ولا يعكر صفوه غيره، وإذا وقع اختيار الأم على ركن أو زاوية خاصة للصغير فلتجعلها مكاناً خاصاً به، ولتضع فيها وإلى ارتفاع مناسب صوراً مختلفة ينتقيها الطفل بنفسه من المجلات وتلصق على ورق مقوى بمساعدة الأم وإشرافها.

ولما كان الطفل ولوعاً بالتغيير فإننا نوصي بأن يجري إبدال هذه الصور وتغييرها بين فترة وأخرى، ولا يشترط أن تملئ الجدار بهذه الصور؛ فالإفراط يخلق التشويش. ونوصي أيضاً بأن تُخصص إحدى الزوايا لتوضع فيها لوحة بأعمال الطفل يومياً ويمكن أن تغدو هذه اللوحة لوحة الشرف، ويوضع داخل إطارها أفضل عمل صنعه، أو أحلى صورة انتقاها، أو المشروع الذي عزم على تنفيذه، وليترك للصغير أن يختار بنفسه ما يود عرضه فيها. فإن هذا يساعده على أن يكتسب المسؤولية. هذا وإن للوح الخشبي أهمية عند الطفل؛ لأنه يجعل صفه شبيهاً بالمدرسة الفعلية التي يمضي إليها إخوته، ويلاحظ أن الطباشير الملونة أروع من الطباشير البيضاء، وإليكم بعض النواحي التي يمكنها أن تساعد على إنجاح مثل هذا الصف في البيت.

الاهتمامات والمهارات

إن أولى معارف الطفل تأتيه من التأثيرات التي تتركها الأشياء فيه أو في حواسه، كاللون والحجم والشكل والصوت، إن الصغار

يتعلمون الحذاقة العضلية حتى يصلوا إلى المهارات الحركية، وإليكم بعض الأشياء التي تساعد في هذه التربية:

كرات كبيرة طرية - حبل قوي متين - مقصات ذات رؤوس مستديرة - أكياس ذات ألوان قوية - كراكر فارغة ملونة - طباشير - أقلام - لوحات خشبية ذات حجوم وألوان مختلفة - ورق مقوى - لاصقات ورق (صمغ) - كرات خشبية ملونة وصغيرة - ورق متين ملون - ثقابة ورق - حبال وخيوط ملونة - مجلات قديمة مصورة - معجون أو غضار طري - علب صغيرة - خرائط ملونة وصور - حبوب فاصولياء، حمص... قطع قماش ملون - أوراق بيضاء - كتب للتلوين والقص - متاهات بسيطة - نفاخات صابون - مسلات وإبر للنسج - خرائط للسجاد - قطع نسيج صغيرة... إلخ.

ويتعلم الطفل تمييز الألوان بواسطة اختبار قطع صغيرة من الورق أو النسيج على سطوح أكبر من نفس اللون، أو انتقاء حرزات ذات ألوان شتى، مع تسمية ألوان الحرز والنسيج ولا بأس بتصنيف الألوان المتقاربة (أصفر مع برتقالي) (أحمر مع وردي)... إلخ... ويمكن إجراء تلوين للصور...

ويتعلم تمييز الأشكال من مربعات ودوائر ومثلثات وأنصاف دوائر... إلخ. وذلك بإيجاد أشكال تماثل شكلاً معروضاً (يبين لي

الشيء الذي يشبه هذا الشكل؟).. أو بتسمية الأشكال (أعطني دائرة؟)، (ماذا تسمي هذا؟) ماذا تعني الكلمات الآتية: ضخيم، صغير، طويل، قصير، عالي، منخفض... قدموا له أمثلة.

ويتعلم الفصل بين الأشياء. اعرض عليه شيئين أو ثلاثة أشياء، ويبيّن له كل شيء باسمه على حدة، ويستمر الأمر شيئاً بعد آخر، إلى أن توضع هذه الأشياء في كيس مشترك، واطلب من الطفل أن يمد يده داخل الكيس فيتناول شيئاً من هذه الأشياء، وأن يسمي هذا الشيء قبل إخراجه، وبعد هذا خبيء أحد الأشياء واطلب منه أن يذكر اسم الشيء الذي خبأته.

ويتعلم وضع قطع الخشب في محلاتها، ويتعلم رمي كرة ضخمة لإدخالها في علبة أو مايشبهها ويتعلم البناء بواسطة المكعبات: بناء بيوت وقاطرات ومحطات سكك الحديد... إلخ.

ويتعلم القمع بواسطة المقص: قص قطعة قماش موضوعة فوق ورقة، أو ثمرة مرسومة على ورق (تفاحة أو برتقالة) أو قص صور من المجلات والكاتالوجات، (ملاحظة يجب الانتباه إلى خطورة المقص وانتقاء ما كان ذا رأس مدور، كما يجب وضعه في مكانه المخصص له).

ويتعلم نفخ (البالونات) بالصابون، كما يتعلم تزيير ثوب أو حذاء وما إلى ذلك.

ويتعلم اللصق: فيمرن أصابعه على تمديد الصمغ وعلى تنظيف أصابعه قبل لمس الصور. ثم يتمرن على استخدام فرشاة الصمغ وعلى صنع سلسلة من الورق بلصق شرائط الورق ببعضها، وصنع صورة تُغرس سطوحها بالكرات الصغيرة أو المكعبات يلصقها الصغير، وصنع ألومات مسلية..

وتتعلم البنت الخياطة: بدءاً من الحبل ولوحة الحصيرة، وتتعلم تمرير الحبل بين الشقوق، ثم بإبدال الحبل بإبرة نسيج أو إبرة صوف، وتتعلم متابعة خطوط صورة بواسطة إبرة النسيج.. ثم تنتهي بتفصيل فستان للعبة وخياطة أزرار، وما إلى ذلك، ثم تبدأ بشيء من التطريز..

ويتعلم الطفل الرسم: بدءاً من الخطوط والأشكال بواسطة أقلام الباستيل، ثم رسم أشياء بسيطة كتفاحة وعلبة وكرة فرسم أشخاص فبعض المناظر البسيطة ثم تصوير القصص مثل ليلي والذئب... إلخ.

طي الورق: مثل طي مثلث، صنع طاوية للرأس، سلال، ظروف، جلود للكتب، ورود.. إلخ.

الإيقاع والموسيقى: المشي على إيقاع موسيقي بسيط، الضرب بالأيدي مع الإيقاع، تنويم لعبة على إيقاع موسيقي هادئ، الرقص الإيقاعي مع الموسيقى، تقليد العصفير في القفز، تقليد الطيور في الطيران (بمد الأيدي مع العَدُو) تحريك الأجراس تبعاً

لإيقاع موسيقى، تمرينات جسمية بسيطة، لعبة القط والكرسي الموسيقي، الدممة الخافتة، أغنيات أطفال أغنيات شعبية، رقص ريفي (دبكات) ويمكن تعليم الأطفال أسماء الأصوات على البيانو بواسطة قصص خيالية.

الفن التشكيلي: صنع أشياء من الغضار، كرات، بيضة، عش، والتدرج في الصعوبات حتى الورود، والمصنوعات اليدوية، فمن الملحوظ أن كثيراً من المتخلفين والمتخلفات يصنعون أشياء يدوية، كالخفر على النحاس والموزايك وما إلى ذلك، ويمكن أن يكسبوا من هذا عيشهم في المستقبل.

القراءة والكتابة

يستطيع الطفل المتخلف أن يتعلم قراءة وكتابة كلمات وأرقام وأن يفهم شيئاً عن العالم الذي يحيط به، وقد لا يستطيع أن يؤدي ذلك بشكل ممتاز، ومع ذلك فعليكم أن تفسحوا له الفرصة كي يتعلم ما يستطيع تعلمه، وقد يتفق له أن يقرأ بسهولة، ولكنه يعجز عن الحساب مثلاً، فالصغير لا يبدي دوماً نفس الكفايات في مختلف فروع المعرفة، ولهذا كان عليكم أن تنتهزوا الفرص كي تعلموا طفلكم الكلمات التي تلائم الأحداث الجارية فتقولوا له: (هذا لبن) أثناء تناوله (اللبن)، وذلك كي يربط بين الكلمة والشئ، وإذا وجدتم في لفظه بعض الانحراف أو العيب فيمكن

الاستعانة ببعض المختصين لتقويم لسانه. حاولوا دوماً أن تسبغوا على الدروس صفة اللعب، فاللعب يجذب الصغير ويحفظ انتباهه لفترات أطول. وفي كل هذا تتوفر لكم في الأسواق:

أدوات نافعة

كالكتب والقصص المصورة (ذات الصور الملونة والجذابة) وكقطع المكعبات والمستطيلات، والأوراق السمكية (الكرتون) والأوراق الملونة والخرز، ولوحات الحروف، لوحات الكلمات البسيطة، والحبوب الجافة، كرات الزجاج، مجلات الأطفال... إلخ.

تعلم الكلام

وذلك بطرق تقليد الأصوات، في تسمية أشياء وأشخاص (بابا، ماما، توتو، بس بس).

١- وهكذا يجب تعليم الصغير أن يقول ما يريد بدلاً من الاكتفاء بالإشارة بواسطة الأصبع.

٢- وتعليمه أن يسمي أشياء موضوعة داخل كيس (بطريق اللعب)، وتسمية ما يراه الصغير في صور الكتب والمجلات والقصص.

٣- وتعليمه صياغة جمل قصيرة فطويلة، وفي تعليم الكلام حذار من تقليد الصغير في أسلوبه ومكالمته (بالطريقة الطفلية) عن أشياء أو أشخاص.

٤- وتعليمه تنفيذ تعليمات توجه إليه من غير مساعدتكم (شرط أن تكون بسيطة ومفهومة).

٥- وتعليمه الإجابة عن أسئلة تطرحونها حول قصص تُحكى له.

الحساب

يُعلم الصغير أسماء الأرقام من (١) إلى (١٠) بطريق التعداد واحد، اثنين... ويُعلم جمع تفاحة مع تفاحتين، ومفتاحاً مع ثلاثة مفاتيح... ويُعلم كتابة الأرقام من (١) إلى (١٠) وقراءة أسمائها، وقراءة أرقام الساعة، والهاتف الآلي، ويعلم الجمع إلى العشرة، بواسطة المكعبات وقطع النقود والخرز.

ويُعلم تكوين مسائل بسيطة على الجمع (معي في يدي اليمنى ٣ قروش وفي اليسرى قرشان فكم قرشاً معي؟) ويُعلم تحديد ساعة النوم والأكل والنزهة على ساعة الجدار، ثم يتعلم التعداد حتى الـ (١٠٠) عن ظهر قلب والتعداد العشري ١٠ - ٢٠ - ٣٠... والتعداد الخمسي ٥ - ١٠ - ١٥... ثم الجمع مع الباقي، والطرح بالاستلاف، ومعرفة قطع النقود المستعملة، اللعب بالبيع والشراء. ويُعلم الضرب بشكل مبسط والقسمة البسيطة، ولمعرفة الوقت يمكن قص قطعة كرتون بشكل ساعة ولها عقربان، كما يُعلم استعمال الأيدي والأصابع... في التعداد والجمع والطرح.. ويُعلم الكسور البسيطة $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{3}$ ، $\frac{1}{4}$.

ملحوظة

قد لا يتمكن الصغير من متابعة تعلم كل هذه الأمور، وقد وضعناها نحن لتتهدي بها الأمهات في التعليم، والمهم ألا يؤنب الطالب أو يؤخذ، إذا هو توقف ولم يتقدم، وعليكم دوماً أن تستعينوا بالصبر والأناة والتشجيع المستمر.

القراءة

نبدأ القراءة بالكلمات التي تدخل في حياة الطفل مباشرة مثل: قط، كلب، باب، وبواسطة صورة كبيرة ملونة يرى الطفل الشيء المراد تعلم اسمه، فيردد الكلمة مع مشاهدة اسمها مكتوباً، وتظل الصورة معلقة لفترة تطول أياماً حتى نتأكد أن الصغير أتقن قراءة الاسم، وبعد مدة يطلب من الصغير أن يكتشف بين لوحات الأسماء اللوحة التي تشير إلى (باب) مثلاً ثم يُطلب من الصغير أن يجمع الحروف التي تتكون منها كلمة (باب) وهكذا يعرف الطفل بواسطة ألعاب الكلمات كلمات كثيرة، ثم يطلب منه أن يؤلف جملاً على غرار: هذا كلب، هذا قط، هذا باب... ويعرض عليه بعد ذلك بعض الصور التي تتضمن قصة من القصص تُحكى له، ويطلب منه أن يذكر القصة ويتابع تسلسل الصور، ويعلم الطفل بعدها مختلف الحروف بواسطة الأصوات (حرف الباء عن طريق باب، أرنب.. إلخ) وبعد أن يعرف الطفل حرفاً من الحروف

ويتمكن من قراءته ورسمه وكتابته، يمكن إجراء ألعاب هي في غاية العذوبة يفرح بها الطفل ويُسر باكتشافها، فيطلب منه أن يأتي بكلمة آخرها (ب) مثل (باب، شراب، حطاب) وأن يأتي بكلمات تبدأ بحرف ب (بطة، برنس، بلورة) ..

الكتابة

وهي كما أشرنا ترافق القراءة، وأول ما يتعلم الصغير من الكتابة الحروف المرسومة التي لا يكون فيها قادراً على ضبط أصابعه، ويتعلم كتابة حروف المد أولاً (أ - ي - و) ثم يربطها بغيرها من الحروف، وتظل الألعاب ترافق الكتابة إلى أن يتمكن الطفل من كتابة اسمه واسم قطة، ثم اسم أبيه وأمه، وأسماء الأشياء من حوله وبذلك تمتزج القراءة بالدروس الأخرى.

التعبير

يعودّ الطفل الإجابة عن الأسئلة التي تطرح عليه فيعبر بها عن أفكاره بوضوح.

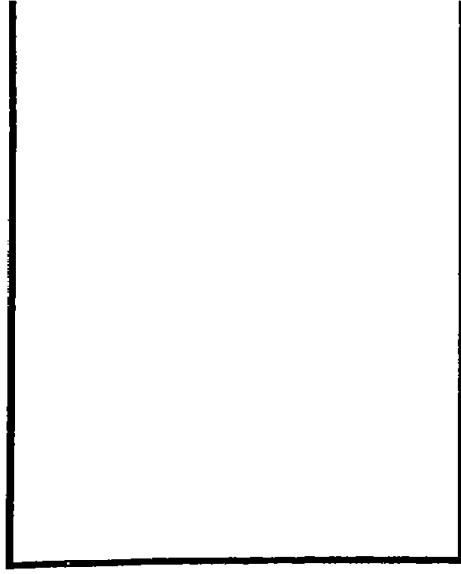
ويعودّ على إكمال الجمل الناقصة: أكل الخروف.....،
وشرب.....

ويُعلم نقيض كل فكرة على نحو: ولد، كلب، قطعة، بنت،
تفاحة... إلخ.

ويجب عن أسئلة من هذا النوع: يقال للضيف حين يجيء.....، ويقال للمريض حين يشفى.....، ويقال لمن يسلم علينا في المساء..... إلخ.

التربية الاجتماعية

يستحسن أن يعرف الطفل اسم الشارع الذي يسكن فيه واسم حيه أو قريته أو مدينته وأسماء وسائل الإعلام والتسلية، وأسماء رجال الخدمات كالشرطي والخباز وموزع البريد، والصيدلي والطبيب والبقال.. واسم وسائل النقل البري والجوي والبحري. وأن يعرف القواعد الأولية في الصحة والنظافة، والآداب البسيطة للتحية، والسير في الشارع وقراءة إشارات المرور، وعدم السير مع الغرباء، وعدم استعمال الأدوات الجارحة (كالسكين) أو اللعب بالنار أو السباحة بالبرك والأنهار، ويُعلم معرفة الطريق إلى البيت إذا ابتعد عن مسكنه، ويكون أفكاراً عن النباتات والأزهار والطيور والبساتين والأشجار.. وأفكاراً عن وطنه الصغير وما يحيط به من جبال أو بحار وما يتخلله من أنهار وسهول، وعن وطنه العربي الكبير ودول عدم الانحياز والدول الإسلامية الشقيقة، وفكرة عن بلاد الأسكيمو، الهنود الحمر والصينيين... إلخ.



الطفل المشكل

الطفل المشكل

تمهيد

رغم كل المظاهر الخارجية المخادعة، ورغم كل الصفات المشتركة بين الأطفال فإن أطفالنا ليسوا سواء.

منهم الذكي ومنهم اللامع في ذكائه، ومنهم الخامل الذي لا يكاد يتحرك، ومنهم المعتدل في النشاط، وهم وإن بدوا متماثلين أو متشابهين في المظهر منذ الولادة، إلا أنهم يختلفون فيما بينهم كل الاختلاف: في قدراتهم العقلية، في ميولهم وأولاعهم واتجاهاتهم الانفعالية والاجتماعية، وفي نوع مواقفهم واستجاباتهم على المؤثرات.

هذا ما أثبتته الوقائع وأكدته المشاهدات، وتجارب علم نفس الفروق، كل طفل يختلف عن غيره من الأطفال، وكل طفل عالم قائم بذاته كتاب فريد يجب أن يُقرأ... وتعليل ذلك هو تنوع المكونات التي كونت ونسجت وجود كل طفل.

وفي الدراسات النفسية الحديثة التي انبثقت في هذا القرن ظهر موضوع جديد وطريف ألا وهو موضوع ((الفروق بين الأفراد)).

وأهم ماتضمنته دراسة الفروق هذه تقدير الذكاء الفردي وتحديد آفاق الشخصية. والذي يهمننا الآن أن نتوجه صوب نوع خاص من أنواع التفرد والاختلاف ألا وهو الطفل المشكل؛ إنه

النوع الذي يظهر فيه طفل يختلف عن المجموعة اختلافاً بيناً وكأنه نسيح وحده.

معنى الطفل المشكل

يحدثنا معلمو المدارس وعلماء النفس أنهم يلقون في كل صف أو فصل دراسي طفلاً أو أكثر بيدي تفرداً بل وصعوبة في الاندماج بالمجموعة وفي السير مع الركب أو مع الفئة التي يتعلم معها والتي تماثله في السن، فهو يظهر وكأنه بليد لا يكاد يحركه محرك خارجي، وتبدو عليه مظاهر القلق وهو ملول منعزل.

إنه يتوقف... في حين أن الجميع ينشطون ولا تفعل فيه النشاطات إلا حيث يكون نشيطاً من نفسه، إنه يسلك كما يشتهي هو لا كما يشاء المعلمون أو الموجهون أو كما تسلك الجماعة والظروف.

على أن هؤلاء المشكلين ليسوا مرضى ولا شواذ ولا تجدد فيهم من يمكن أن يسموا بالمنحرفين... إن الشواذ والمنحرفين لا يدخلون في بحثنا هذا.

إن جماعة المشكلين التي نبحث عنهم ونعنيهم هي فئة قادرة ومستعدة للسلوك السوي، وتملك الكفايات العقلية اللازمة، ولكنها رغم ذلك تفتقر إلى الرغبة في السلوك المشترك. إنهم مشكلون بالمعنى الذي يشكو منه المعلمون حين يتحدثون عن صعوبة اندماجهم، من شرودهم الدائم وحاجتهم إلى تكرار نفس

التنبيه والتشجيع رغم أنهم أذكياء ومتوقدون ويظهر ذكاؤهم وتوقدهم في بعض الأحيان فنعجب منهم.

فماذا نفعل

حين يكون لنا مثل هذا الطفل في البيت أو المدرسة، أو حين يرزق أب نابه يحرص على حسن توجيه أولاده؟؟..

إن من أيسر الأمور وأخطرهما في آن واحد أن نحكم على مثل هذا الطفل بالبلادة أو نصفه بالغباء، فتوقع عليه العقوبات بدعوى ((أنه أحمق ولا جدوى منه))، أو أنه ((لا يكاد يفيد في شيء))، هذا أقرب وأسهل موقف يقفه معلم محدود بالظواهر ولكن كم في هذا الموقف من ظلم وتجنُّ على الحقيقة، وعلى مخلوق خلقه الله لأمرٍ أرادته ويمكننا أن نكشف عنه اللثام.

إن في مجتمعنا (وفي كل مجتمع) كثيراً من الناس الذين ظننا أنهم بلهاء وحكمنا عليهم بقلة الجدوى، أبعدهم عن العلم ودفعناهم إلى التفكير والعمل خارج المدرسة، ووقفنا حائلين بينهم وبين الرشاد؛ لأننا لم نملك المقدرة على فهمهم وكشف حقيقتهم مدعِين أنه أضعف من في الصف أو أغيبى من كل رفاقه، يالللهول وياللجراًة، لقد كنا كمن يصب ماءً بارداً على جذوة أو شعلة كانت تريد أن تتألق لوحدتها وبهدوء، والسؤال الآن: كيف نفهم هذا الإنسان؟ وكيف نعامله؟..

الجواب: علينا أن نكتشف أولاً ونشخص ثانياً، ونستدّ مواقفنا ثالثاً، نكتشف ونشخص باتباع المنهج العلمي أو التجريبي، ونسدد مواقفنا تبعاً لذلك. وكلنا يعلم أن المنهج العلمي في البحث يقوم على (الملاحظة)، (افتراض الفرضية) (التحريب).

أولاً - الملاحظة

نلاحظ تصرفات عديدة في أوقات متفاوتة ومواقف، تصرفات يكون فيها مندفعاً أو لامبالياً، مواقف مايجب ومايكره، من الذين يصاحبهم وماهي صفاتهم، ومن يمقتهم فلايلتقي بهم، من أحب الناس إليه، وماهي الدروس التي تبهجه وتسره؟؟ وماهي الدروس التي يُلاحظ أنه فيها وكأنه غائب؟؟

متى يكون أدنى إلى الاندماج بغيره أو أبعد.

ويوم نلقاه مبتهجاً نسأل عن سر ابتهاجه وظروف سروره وسوابق هذا السرور ماهي؟؟ متى؟ كيف؟.. ولماذا؟..

ويوم نراه مبتسماً نسأله عن هضمه الطعام ونوع الغذاء، كم كان نومه وكيف وسوابق هذا ماهي؟ متى وكيف ولماذا؟..

إن علينا أن نحسن المشاهدة وندقق في الملاحظة وجمع المعلومات.

ويجب ألا تتسرع في الحكم من حادث أو حادثين أو ثلاثة،
ونتهم وندين بل نزيث ونزيث قبل إطلاق الأحكام.

علينا أن نستفيد من ملاحظات الآخرين: نستعين بالطبيب
أقرب الناس إلى الموضوع فيقدر لنا أموراً أهمها:

أ- إن ضعف البصر أو سوء السمع أو الإصابة بالسلسل أو
الاستعداد له أو سوء التغذية والاستعداد إلى الروماتيزما ومن
متاعب القلب وطبيعة التنفس أو غير ذلك؛ كل هذا يمكن أن
يحول دون الاندماج بالآخرين.

ب - وأن نبحث عن ماضي طفولته وفي السنوات الخمس
الأولى على وجه الخصوص ونتصل بالذين علّموه، والذين تعاملوا
معه.

ج - وأن نستفيد من ملاحظات سجله وبطاقته المدرسية سنة
بعد سنة.

د - وأن نتصل بزملائه، أصدقائه الأكثر رصانة والأقل تحيزاً.

هـ - وإذا عرفنا أن لديه مذكرات فلنطالع نماذج منها.

و - ولنتفرد في حديث ودي معه ومحاولة استجوابه عن مواقفه
في أمور عدة.

ز - ويجب ألا نهمل أو ننسى تكوين الثقة معه بل نسعى إلى أن نكسب ثقته.

ح - ونتصل بأسرته ونبحث معها في طفولته وترتيبه بين الإخوة والأخوات، ونسأل هل هو وحيد؟ أم أنه الأول أم أنه الأخير؟ أم أنه الصبي بين بنات، أم أنه لم يكن مرغوباً فيه حين حملت به أمه؟

ونتساءل:

هل اعتادت الأم أن تتخلى عن تلبية طلباته؟.. هل مرض طويلاً؟

هل سبق أن توفي له أخ كان موضع حب لأمه؟؟..

هل ثمة إهمال للأطفال؟.. وهل له أم تحيا معظم أوقاتها خارج البيت؟

هل هناك إهمال لهذا الطفل؟ وهل من تعليل لذلك؟..

هل هناك شعور بالغبن يشعر به هو أو أسرته بوجوده بينهم؟

هل بين إخوته من هو مفضل لنشاطه؟.. وهل توجه إليه عبارات التهئة والتقدير؟

هل من عقوبات تُوقع على الأطفال في الأسرة، وعليه بالذات، مانوعها ومأسابها؟..

هل هناك تنافس ظالم أو غير ظالم؟

هل بيته في وئام ويحيا هو مع والديه؟

إلى آخر تلك الأسئلة التي يجب أن تُطرح ويوصي بها الوضع الأسري.

وإن من شأن الأجوبة المتحصلة أن تساعدنا على فهم الحالة النفسية والعامية له.

ثانياً. بعد جمع البيانات وتنسيقها

نعقد جلسات مع ((مدير المدرسة)) و((الخبير النفسي)) و((بعض المعلمين النابهين)) ((ثم مع الأبوين)) ونستعرض معهم ما وصلنا إليه من ملاحظات تُعيننا على وضع الافتراضات أو الاحتمالات، وإجراء البحث المتعمق فيها.

ثالثاً. الفرضية

نستعرض حالات الانطواء أو الخجل أو وجوه الموهبة الخاصة، أو الذكاء أو الخشية من الآخرين، أو احتقارهم أو الشعور بالظلم ونكرر: إن هذا كله ليس إلا من قبيل الافتراض.

قد يتراءى لنا أنه الخجل فهو الذي يمنع صاحبنا من الاندماج بغيره فلنتعرف إلى هذا الخجل وأسبابه، ولندفعه إلى مواقف يزول فيها الخجل. فإن حُلَّت الأمور، وانقشعت أسباب البعد عن

المجموعة، وزال الانفراد كان بها وإلا ترتب علينا أن نفتش عن أمور أخرى.

لعل طفلنا من ذوي الموهبة الكبيرة... والموهبة تباعد بين صاحبها وبين الناس، ولأن الناس لا يميزون بين الموهبة والشذوذ فلننظر في ذلك.. ولنذكر أن معظم الناس سطحيون، وهناك العبقرية، فكم من طفل عبقرى احتقر وأهين بسبب أنه عبقرى وشديد الذكاء، فلم يتفق مع غيره أو ينسجم، وظل يناضل في الفراغ، وينافس أناساً دونه في المستوى، ولكنهم أغلبية ويملؤون الصف، فبدأ أنه غريب ومجهول وغير مفهوم..

وقد تهدينا إحدى الملاحظات البسيطة إلى اكتشاف السر، فلقد شكنا أحد المعلمين من أن هذا الطفل التقطه في الدرس وهو يرسم في حين أن رفاقه منصرفون إلى الاستماع لدرس التاريخ... إنه طارق بن زياد وسفنه والبحر من ورائه لقد وقفنا على شيء جديد وهام.

رابعاً نستعرض الرسوم التي كان يخططها ولانكتفي بواحدة منها وتجمع لدينا فكرة اشتغال باله بالأمر الميكانيكية ورسومها.

واستفدنا من ملاحظة أخرى يقدمها مُوجه تربوي، إذ يقول: إنه شاهده في إحدى الرحلات (بعيداً عن الصف)، و(لدى زيارة أحد المعامل) شاهده يطيل الأسئلة عن أمور كثيرة وينظر هنا

وهناك متسائلاً عن تحريك المعمل، وعن العمال وعن صيانة الآلات.

وقد كنا عرفنا أن أباه مهندس ماهر يعمل بنجاح في أحد المعامل... هاهو ذا الأمر يستبين... بل يتضح.

إن طفلنا يحمل استعدادات للعمل وتحريك المعامل

فهو ماهر في الشغل، وليس لديه مثل هذا الاستعداد للكلام والبحث التاريخي والنقاش والوصف.. إلخ.

إنه ميكانيكي بطبعه، ولوع بالكلام حين اللزوم مع ميكانيكيين، هذا هو السر وتلكم هي القضية*.

وإذن لنحوّل الفتى إلى معهد صناعي أو كلية هندسة ولندعه يفكر ويرسم ويسأل ويستفهم عن الأمور الصناعية، فيشبع نهمه إلى الصناعة ومهاراته في الصناعة، ويلور شخصيته الصناعية.

ونطرح قصة طفل آخر له نفس المواقف قد اتهم أيضاً بأنه بليد ومنعزل فندرسه بالمنهج ذاته، ونضيف بأنه لوحظ أنه كثير الأحلام، فهو يحلم وهو في اليقظة - كما قال - المراكب البحرية والبحار، وينأى ويتعد بفكره إلى هناك وحوله الماء، وهو في

* يروى عن العالم الفيلسوف أنشتاين أنه كان يوصف بالكسل والبلادة في أول عمره... ثم أشرق ذهنه في آخر التعليم الثانوي، وتأكد ذلك في الجامعة إلى أن غدا فيلسوفاً من العباقرة.

درس الأشغال ينشئ المراكب ويلونها، ويتابع قصص الأسفار والمغامرات البحرية.

وحين تحدثنا مع المشرف الاجتماعي روى لنا حادثاً طريفاً أرشدنا ألا وهو أنه بينما كانت فرقة الكشافة في إحدى الرحلات... وقع طفل صغير في الماء، كانت البركة عميقة، وسبعة، خاف منها الجميع فما وجد أحدٌ يجراً على السباحة لإنقاذ الصغير، إلا فتانا الذي قفز وأنقذ الطفل من الغرق فأغرقناه بالتهنئة وغمرناه بالتقدير العميق، يا لله! أين هي البلادة؟ ألا نرى أنها تكمن في الذين رموه بها.

خامساً - حين نصل إلى اليقين الذي نرجحه ونطمئن إليه، يترتب علينا أن نجعل من هذا اليقين موضع عنايتنا ومركز توجيهاتنا واهتمامنا، فنتخذ من ذلك كله مرشداً فعالاً من أجل إعادة بناء الشخصية، وصياغتها من جديد.

سادساً - ولنوصِ المدرسة والأسرة.. أن يُدخَلَ الفتى الكلية البحرية حالما يُنهي دراسة الإعدادية أو الثانوية.

يقول علم النفس: إن النجاح يخلق النجاح، إن هذا الفتى الذي ظنناه خاملاً في الماضي تبدلت شخصيته وتغيرت نظرنا إليه، ومن ثمَّ تغيرت نظرته إلى نفسه، ثم إلى الحياة المدرسية والرفاق.. والأسرة.

إنه الآن يحس بأنه شيء ذو قيمة واعتبار... شيء لا يستغنى عنه، وأنه يتقن أشياء لا يهتم بها غيره، إنه يتميز ومنذ أن اكتشف، غدا لامعاً بين أصدقائه ومعلميه.

لقد تفتحت مغاليق نفسه، وهو بعد الآن يقبل صداقة الآخرين الذين راحوا يبادلونه التقدير.

وراح مع الآخرين يساهم في صنع حياةٍ فذة منتجة ومتعاونة، إن أبواب المستقبل مفتوحة أمامه فيدخل منها إلى حيث تكون الحياة قيمة ومحبوبة.

الطفل الوحيد

قد يترأى للمرء أن حالات وجود الطفل الوحيد قليلة ونادرة، فهي لا تكون إلا حيث يوجد طفل لأخ له في الأسرة، لكن شيئاً من التعمق يُظهر لنا أن الطفل البكر يعيش في أسرته وحيداً وما نعلم ولا يعلم هو متى يجيء له إخوة، فهو طفل وحيد.

كما إن الطفل المدلل بوصفه أعلى من غيره أو بسبب أنه مريض أو عاش مع موت إخوته، والطفل الذي وُلد بعد انتظار طويل، والطفل الصبي بين أخوات بنات، والطفلة البنت بين إخوة صبيان.

والطفل الجميل المفضل والفصيح المهذب بشكل ملحوظ يختلف عن إخوته، والطفل الوقح والصعب والفظ، كل هؤلاء يُعدّون وحيدين ويُسمى أحدهم بالطفل الوحيد في نظر علماء النفس.

وذلك بالنظر إلى ما يناله الواحد منهم من اهتمام خاص لا يكون لغيره.

وامتيازات فريدة تكون له وحده وتؤثر في سلوكه كما تؤثر في نظرة الناس إليه ونظرتهم إلى الحياة والناس.

بعض الحسنات

إن في وسعنا أن نلاحظ هنا بعض الحسنات لوجود طفل وحيد في الأسرة:

• فالطفل الوحيد بالنسبة إلى أسرة رقيقة الحال وغير موسرة يُعد وجوده فيها مناسباً خلافاً لما يكون عليه الحال حين يكون في الأسرة إخوة عديدون، وهكذا ينال الطفل الوحيد حظوة خاصة في شراء الثياب والمقتنيات وتتاح له الرحلات وحيداً مع أبويه والنزهات التي لا تُثقل كاهل الأسرة.

• والأسرة ذات الطفل الوحيد يُضمن فيها الهدوء لمن يجب الهدوء من الآباء والأمهات. ففيها ترتاح الأذن - من قيل وقال - الأطفال ومن ضجيجهم وصخبهم وتحطيم الأواني والأبواب وزجاج النوافذ.

• ثم إن وجود الطفل الوحيد يتيح للأبوين أن يكرّسا وقتاً أطول للعناية بواحد، وتخصيص مزيد من الاهتمام به في دراسته، وملاحظة ميوله وأولاهه وسجاياه، ومعرفة ما يجب إذا أحب، وما يكره إذا كره، وبذلك يُتاح له جو أفضل، من أجل فهمه وتحقيق متطلباته.

• ناهيك بأن الطفل الوحيد ينال في الغالب نصيباً طيباً من الألعاب والكتب الجميلة والمقتنيات، ويتمتع بغرفة لوحده فيلتقي مع نفسه طويلاً فيعدها لمواجهة الحياة.

• وحين يكون الأبوان على ثقافة طيبة أو موهوبين ببعض المواهب فإن من السهل اليسير أن ينميا فضائلهما في طفلهما وبيثا فيه كل ما يُستحسن وما يحسن أن يكون في الإنسان من جميل

المزايا وكريم الطباع، وهكذا تفسح المجالات لمواهبه التي تحدرت من أبويه أن تفتح وأن تتألق، خلافاً لما يكون عليه الحال حين يمتلئ البيت بأطفال عديدين.

- وسيُتاح لهذا الطفل أن يجتمع بشخصيات من أصدقاء والديه، ويتفاعل مع الكبار في سن مبكرة كما يتاح له أن يشاهد مدناً وأماكن عديدة، ويشهد أنواعاً من الثقافات والمجتمعات ويتعرف إلى عدد طيب من العادات والطقوس في شتى المناسبات.
- وستتاح له فرص مشاهدة مسرحيات وقراءة عدة كتب لا يتاح مثلها لمن يعيش في أسر الإخوة والأخوات.
- وسيكون في منجاة من التنافس مع إخوته، بعيداً عن المشاجرة معهم.

وفي مقابل ذلك كله نجد مساوئ نفسية لا تُحصى لوجود طفل واحد في الأسرة.

المساوئ

- يحرم الطفل الوحيد من التفاعل مع الآخرين ومن متعة الألعاب الجميلة، وليس من شأن هذه الألعاب إكساب الطفل اهتمامات اجتماعية فقط، بل تعريفه بضروب النشاط التعبيري اللازم له.
- إن أطفالاً أو إخوة يتسلون معاً بلعبة (الشرطي والحرامي) ولعبة (الجابي والركاب) و(الهرة والفئران) هذه ألعاب جماعية

تساعد على ممارسة الاهتمامات الجماعية وأساليب التعاون والإثارة والتأثر والاستجابة للآخرين داخل الأسرة.

• ويُحرم الطفل الوحيد في الأسرة التعبير عن النفس في وسط جماعي يراقب وينبه، كما يُحرم من الخروج من الذات وضبط الذات مع آخرين بوسائل المجتمع وأساليبه.

• إن وجود الطفل الوحيد وحيداً في الأسرة، يجعله ينظر إلى الحياة بمنظار شخصي ذاتي، وطالما أنه يعامل في أسرته كمرکز أو نجم، فإن هذه المركزية سوف تتطلب منه بل تفرض عليه أن يتوقع عناية الناس الآخرين، على الصورة التي أَلفها في البيت علماً أن في التدليل فتنة الأخذ بلا عطاء واستمراء الحقوق بغير واجبات والاندفاع بغير ضوابط، فيعتاد أن تعطيه الحياة دون أن يقدم لها الثمن.

• وإذا كانت التربية تقوم على إعداد الأطفال للحياة، فإن الطفل الوحيد لآتّاح له في المجتمع فرص البيت (حيث ينال كل ما يشتهي دون أن يدفع ما ينبغي).

• وهذا يعني أن الطفل الوحيد يتطلب العناية من الجميع على أساس أنه ((المركز)) دوماً كما كان في الأسرة، والسؤال هنا أين يوجد مثيل للأسرة في خارجها، وكم من الناس من يقبل مركزية طفل تفوح منه روائح الذاتية والأنانية.

• وهناك احتمال أن يغدو ديكتاتوراً رهيباً يفرض ذاته.
 • إن أهم ما يقلق الوالدين لطفل وحيد أن يملّ ولدهما العيش لوحده أو يقع في السأم فيلجعهما هذا إلى معالجة ملله والدخول دوماً إلى عالمه الخاص لتقديم خدمات بجانبة وإضافية دوماً.

وهكذا يتصور الطفل الوحيد أن اهتمام أبويه هو الدليل على محبتهم، وتلك هي المشكلة الكبرى ((أن نظن أن الناس الذين يعطوننا هم وحدهم الذين يحبوننا)).

وقد يكون في كل مكان أناس يحبوننا ولا يشترط أن يمنحونا شيئاً أو يقدموا لنا دوماً مزيداً من الهدايا والاهتمامات!.. وسيكون من نتائج ذلك انفلات ضوابط الوحيد فيغدو بمثابة سيارة لاكوابح لها ولا تحسن الوقوف عند اللزوم.

• درس (بوهانين) ٤٨١ طفلاً وحيداً في الأسرة فلاحظ أن أغلبية هذه المجموعة كانت دون الوسط في الحيوية والنشاط والصحة أيضاً. وكان سلوك الأكثرية ((نعم... بس)) (Yes... But) أي سلوك المسائرة مع التحفظ وهو سلوك يجول دون البت في الأمور والحزم في مواقف الحزم. وقد لاحظ هذا العالم أن الكثيرين من الأطفال الوحيدين يعانون من أمراض نفسية وتكثر عندهم أحلام اليقظة، وقد التحق أكثرهم بالمدرسة في سن متأخرة، كما لاحظ أن لديهم ضعفاً إجمالياً في المواظبة على

المدرسة، كما أن تحصيلهم كان دون المتوسط، وأنهم على وجه العموم يميلون إلى المشاجرة والغيرة، وقد ندر فيهم القادة والناهبون والزعماء ولكنهم ميالون إلى الشغب وإقلاق الآخرين، وما يزيد المشكلة تعقيداً أن الطفل الوحيد يكون في الغالب وحيداً من جراء وفاة متكررة للإخوة أو انقطاع ولادات جديدة لأمهاتهم.

وفي كلا الحالين يزيد قلق الوالدين فيتخذان سلوكاً مريباً يتميز بشدة التركيز حول الطفل الوحيد مع كثرة المراقبة، الأمر الذي يتسبب بتدمير روح المبادهة عنده مع القدرة على الانطلاق والاعتماد على النفس.

أنواع العناية بالطفل الوحيد

يحتاج كل طفل في الحياة إلى قدر معقول من العناية يساعده على أن يبني شخصيته وثيق بذاته ويشعره بالأمن والطمأنينة، فإذا توفر للطفل مثل هذا المقدار المعقول نشأ إنساناً سوياً وتكوّن هائناً وشب معتمداً على ذاته محباً للآخرين. وينال ويتوقع منهم الحب والتقدير. وإذا اعتبرنا هذا المقدار المعقول حالة متوسطة معتدلة استطعنا أن نجد في الطرفين (من التوسط) نوعاً يتناقض مع النوع الآخر، ولاحظنا أن هناك إفراطاً في المواقف وتفريطاً في المواقف الأخرى، والإفراط والتفريط يلتقيان كما يقول (أرسطو)، وحقاً

فإن من شأن الإفراط في التدليل والتفريط في عدم الاهتمام يؤدي إلى اضطراب في نفسية السُّمري. إن حرمان الطفل من العناية يؤدي إلى مساوئ تشبه المساوئ الناتجة عن العناية الزائدة المفرطة. ومن شأن هذين النوعين من التعامل مع الطفل أن يؤديا إلى امتناع نمو الشخصية، كما يؤديا إلى خنق كل حافز فردي وشخصي. وقد يستغرب بعض الناس من هذا القول فيظنون أن التدليل يصنع شخصية هائلة؛ لأنه اعتاد على الهناء، فهذا كلام يمثل نصف الحقيقة وأما نصفها الآخر فيظهر في قولنا: إن هذا الفرد لو اعتاد أن يصنع ويساهم في سعادته الشخصية فإنه يفرح بنفسه أكثر مما يفرح بفضل الآخرين، الناس ينسون أن التدليل إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، إنه يغدو كالماء الصافي الزائد في الزراعة الذي يحول دون نمو النباتات، لأنه يجعل جذور النبات رخوة وضعيفة في قدرتها على الامتصاص.

ومن ناحية أخرى فإن التدليل يؤدي إلى نفس النتيجة التي يؤديها الإهمال أو التشدد، (فالزائد أخو الناقص) كما يقولون.

ولعلهم يسألوننا عن المقدار اللازم من العناية بالطفل دون الإضرار به، أو عن المعيار المعقول لعدم الإفراط وعدم التفريط والجواب إنه ((تكون العناية بالطفل معقولة بمقدار ما تدفعه وتنشطه كي يعتني بنفسه ويحقق مطالبه معتمداً على نفسه ومتغلباً على صعوبات حياته وحل مشكلاته)) وهذا يعني أن إهمال

الطفل من كل عناية يعقد الصغير ويحطم همته واعتماده على نفسه فيتوقف عن النمو، مثله كمثل قدم البنت الصينية التي كانوا يضعونها داخل حذاء حديدي وهي في أوائل طفولتها لتلا تكبير وتظل صغيرة لطيفة. إنهم بهذا يخنقون نموها وتكبر البنت ويكبر جسمها أما قدمها فتظلان صغيرتين بسبب الحجز الحديدي.

تجربة

أتى أحد العلماء بشرنقة حرير في الوقت الذي تتأهب فيه اليرقة بداخلها أن تخرج، فأحضر مقصاً صغيراً وقصّ النسيج من حول اليرقة وسهّل عليها خروجها، خرجت اليرقة من الشرنقة، لكنها لم تخرج كأخواتها فراشة رفرافة بل خرجت يرقة ضعيفة ذات جناحين واهنين، ولو أن العالم ترك اليرقة كي تجاهد بنفسها كي تخرج لكان قد أتاح للجناحين أن يقاوما الغشاء الكثيف للشرنقة وينتصرا على الصعوبات فيكتسبا الصلابة ويخرجا من الحنة بجناحين قويين مستعدين للطيران.

إن التدليل يفضي إلى تعاسة المدلل، وخبراء علم النفس يرون أن التدليل لا يقتصر على منع تكوين شخصيات سليمة، وإنما يؤدي إلى تعاسة المدلل. انظر إلى طفل مدلل تجده كتلة هشة لا قوام لها، وهو نفسه لا يدري ماذا يريد ولا ما عليه أن يفعل ويظل يتطلع إلى مافي أيدي الآخرين ويظل بعيداً عن الإشباع الذاتي. والمدلل إذا كبر.. ظل تحت تأثير سحر طفولته، ولذلك

نراه منجذباً نحو ماضيه أكثر مما ينجذب نحو الحاضر أو المستقبل، وهو في الغالب صعب الاندماج بالآخرين، وتكثر وتتعدد احتمالات صدامه معهم، وإذا تزوج المدلل فإنه يتطلب من زوجته أن تكون كأمه التي ارتاح إلى عنايتها، وكلنا نعلم أنه يصعب أو يستحيل على إنسان أن يجد كائناً بشرياً يقبل التضحية بشخصيته ويستعذب العذاب على نحو مات فعل الأم. وهكذا يخفق المدلل في زواجه لا لأن زوجته مقصرة بحقه، ولكن لأنه يراها أو يرى خدماتها دون ما اعتاد أن يراه عند أمه.

ثم إن الفشل المتلاحق الذي يصيب المدلل في علاقته مع الآخرين يجعله يشعر بالجمود العاطفي تجاههم وكثيراً ما ينقلب هذا الجمود إلى كراهية بالفعل، حتى لأبويه اللذين دلّلاه على اعتبار أنهما لم يحسنا تكوينه وتقديمه للحياة. ولم يزوداه بصورة صحيحة عن العالم الذي يقوم على النضال والجهد. وهكذا ينتقض المدللون على ذويهم، فيتحولون من التعلق الشديد بهم إلى المقت المقيت والكراهية الواضحة.

والخلاصة

نخلص مما سبق أن العناية الطبيعية المعقولة هي نوع من التوازن الدقيق الذي يقوم على تحريض فعالية الولد وإتاحة الفرص له كي يعتاد الهمة وبذل الجهد والانسجام مع الآخرين والاستمتاع بقربهم في آنٍ واحد.

يحدثنا علماء النفس عن السعادة فيذكرون لذة الجهد ولذة الكفاح وتذليل الصعوبات. وهم يقولون* :

((مادامت الحياة تقتضي المشاق فمن الخير للطفل أن يعود على بذل الجهود وتحمل المشاق، وذلك لتحويل المتاعب إلى الأفراح وتحويل الصعوبات إلى مسرات)).

وهكذا قيل بحق: ((لا توجد طرق سهلة للحصول على أهداف سامية صعبة)) ومادام المرء يحرص على تحقيق مستقبل أفضل وتكوين مصير أغنى وأخصب وأرحب لنفسه ولذويه ولأمته فإن عليه أن يسخر همته ويجدد قواه ويجند عافيته من أجل المستقبل دفاعاً عن أفكاره وتحقيقاً لرسالته.

يقول الشاعر الشابي في الرجل (المدلل) الذي لا يجهد:

ومَن لم يعانقه شوق الحياة تبخرَ في جوها وانذر
ومن يتهيب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحُفر

* راجع كتاب: من أجل أطفالنا للمؤلف، طبعة ١٩٨١، الطبعة الرابعة ص ١٧٦.

إعاقة التخريب

كل طفل تلقاه أمامك مولع بمعرفة ماحوله من الأشياء، خاصة إذا كان شديد الملاحظة يحب الاستطلاع ويملك الفضول مثل (مازن)

يبلغ (مازن) السنة الرابعة من العمر، كانت أسرته قد أهديت ساعة بندول كبيرة، لاحظ (مازن) أن لهذه الساعة شأنًا نال إعجابه، بل استولى على عقله وحواسه، ويتعلق هذا الشأن الغريب بالبندول الذي ينوس ويتحرك بمنة ويسرة، ويروح ويجيء طيلة الليل والنهار. وهي من أول يوم عُلفت على الجدار تتحرك فكيف، ولماذا، ثم ماهي؟؟

سأل (مازن) أباه أسئلة كثيرة حول الساعة، فلم يسمع جواباً، ولكن الأب ابتسم.

كان رأس مازن يتحرك مع البندول يميناً وشمالاً فأحس بالتعب في رأسه، ومع ذلك فالساعة يبدو وكأنها لا تتعب.. يالها من شيء ممتع يستحق أن يراه ويسمعه ويتمنى أن يراه قريباً على الأرض! وفي غفلة من الأسرة، رأى شيئاً يمكنه أن يقرب الساعة... إنها المكنسة الموضوعة خلف الباب، وكانت المكنسة قد صارت فترة طويلة حصاناً يمتطيه مازن، والآن يمكن تحويل وظيفتها،

تساءل (مازن) في سره لماذا لاتساعدني العصا في معرفة سر البندول؟... وفعلاً لم يطل التفكير بل رفع العصا ولكز بها الساعة ولكنه لم ينجح بشيء في المرة الأولى والثانية، وفي المرة الثالثة كان المسمار الذي يحمل الساعة قد تخلص، وماهي إلا لكزة رابعة إلا وكانت الساعة قد هبطت وارتمت على الأرض، ولقد كادت وهي تهبط على الأرض تمر برأس مازن لتشقّه، لكنها والله الحمد لم تفعل، بل مرت بجانب رأسه، أما الأم التي سمعت صوت الساعة الساقطة على الأرض، فإنها هرعت إلى المكان وقلبها يدق كألف ساعة، وقد حسبت ألف حساب لاحتمالات الأذى يقوم بها ولدها المؤذي الذي تعرفه والذي زاد تخريبه في الآونة الأخيرة، فصنفته في قائمة المخربين.

• وهناك (ليلي) التي لا يقل أذاها عن الصبيان والتي شعرت بميل شديد ورغبة قوية كي تلعب بعلبة خيطان وأزرار ودبابيس أمها... لقد عرفت الأم أن ابنتها مفتونة بالمقص، وأنها تذوب شوقاً إلى مغافلة أمها، فأخذت الأم حذرهما متصورة أن أذى ليلي قاصر على القماش والخيطان والورق تقطيعاً وتمزيقاً، وقد خطرت ببال الأم أشياء كثيرة إلا أن ابنتها قد انسلت إلى المطبخ بهدوء، وأنها جلبت كرسيّاً من بعيد وصعدت عليه، ثم أخذت تسكب اللبن (بالسكابة).. كانت الأم قد تركت اللبن لتزد على الهاتف

فإذا بليلى الصغيرة تتبرع بسكب اللبن على البلاط الأسود حيث تلتهم (البالوعة) كل مايسكب.

نخلص مما سبق أن أطفالنا مولعون بمعرفة الأشياء الجديدة والناس جميعاً يسمون مايصنع الأطفال تخريباً، لكن هذا التخريب إن هو إلا أسلوب في كسب الخبرة والمعرفة، ويكون أحياناً للانتقام وتفريغ الانفعالات.

ظروف الأذى والتخريب

كلنا يعلم أن الظروف التي تحيط بالأطفال آخذة يوماً بالتقلص والضيق، فالبيوت في المدن الحديثة تزداد ضيقاً حتى أصبحت كالعلب أو علباً بالفعل.

لقد كان الطفل في البيت القديم وفي الأرياف بوجه خاص يجد من حوله متسعاً له ولنشاطه، فكانت المساحات الكبيرة تساعده على العدو والقفز والصعود على الأشجار، أما الطفل المعاصر في المدن المعاصرة فإنه يضطر إلى أن يعيش ضمن جدران أربعة، ويطلب منه أبواه ألا يتحرك لأن أبسط حركة يديها تعرّض الأواني والمقتنيات واللوحة إلى الكسر.

استقصاء عملية التخريب

١- من الجائز أن نجد عند الطفل المخرب نشاطاً جسمياً واضحاً، والواقع أن معظم المخربين الصغار يملكون أجساماً نشيطة

دفاقة بالحركة، ولا يملكون الطرق المنظمة لتصريف هذا النشاط، وفي كثير من الأحيان نجد اختلالاً في الغدد الصماء (كالدرقية والنخامية). وهكذا نشهد لدى المخربين أجساماً نامية وعقولاً ضامرة.

٢- قد نجد وراء التخريب عناصر انفعالية مكبوتة مثل الغيرة الناتجة عن ولادة أخ جديد منافس، أو الغيرة التي يسببها تمييز الأبوين وتفضيل بعض الإخوة على بعض، ويُصحب التخريب بمظاهر انفعالية شاذة مثل قضم الأظافر والتبول في السرير، وكره السلطة لمجرد أنها سلطة، فالتخريب هنا مظهر من مظاهر الدفاع عن الذات، أو هو صورة من صور الانتقام من أجل إثبات الذات.

فقد يؤذي الطفل ابن الجيران لأنه شاهد أمه تُعنى بذلك الولد أو تمدحه، وقد يكثر ويمتد أذى الطفل في بيته، ولا يبدي الأذى في المدرسة، وذلك لأنه يستمتع وينتقم من إخوته المفضلين في البيت، في حين أنه لا يجد في المدرسة أي دافع يدفعه إلى التخريب في محيط المدرسة.

٣- والفتى الذي يلقي اضطهاداً في حياته أو يعيش في ظروف صعبة قوامها عدم التفاهم بين الأبوين أو سوء المعاملة بين الإخوة أو الجيران.

ويذكر لنا الدكتور (توم) في كتابه مشكلات الأطفال اليومية، حالة ابنة في العاشرة من عمرها كانت حالتها الصحية وحالتها التعليمية لا بأس بها وسلوكها في المدرسة جيد جداً، وقد أرسلت إلى العيادة النفسية بسبب ميلها الواضح إلى التخريب والعناد، ففي أثناء الشتاء تفتح صنابير المياه الباردة في خزان المياه الساخنة، أو تفرغ هذا الخزان الساخن مما فيه من مياه على الأرض، وقد أتلقت البيانو وكسرت إسطوانات موسيقية ثمينة، ثم أخفتها، وكانت تعبت بكل أثاث البيت وبجدران المنزل فتخرب هذه الجدران... وغير ذلك. ولدى دراسة البنت وُجد أنها البنت الكبرى لخمسة إخوة وأن سلوكها التخريبي لم يظهر إلا بعد وفاة أمها، والأب مشغول جداً في عمله، وقد حاول جاهداً أن يهيئ أسباب الراحة لأولاده بعد وفاة أمهم. ولكن لوحظ أن الزوجة المتوفاة كانت قد بذلت جهوداً طائلة حتى تمكن الوالد من توفير المال اللازم لبناء البيت وتأثيثه، فكانت تعمل وتعمل دون معونة أحد، وكانت تحرم نفسها من الغذاء والملابس الجديدة بل ومن بعض الدواء حتى توفر شيئاً من المال لبناء البيت، وبعد أن تم هذا البناء كانت قد مرضت واشتد بها المرض... حتى آل أمرها إلى الوفاة. وكانت الأم تباهي بتضحيتها أمام أولادها حتى شعروا جميعاً بجسامة التضحية، فأصبح البيت بعد وفاة الأم مرتبطاً في

ذهن البنت الكبرى بفقد والدتها، فكأن هذه البنت كانت تنتقم من البيت الذي أخذت تكرهه كراهية مكبوتة.

ويؤكد هذا حسن سلوكها في المدرسة وسوؤه في المنزل.

٤- التخريب وتدمير الذات: من الصغار من يوجه أذاه نحو نفسه. فبعض الأطفال يعضون أصابعهم حتى يُدموها، وبعضهم يمزق ثيابه وأشياءه وأدواته، وبعض الناس يعذبون أنفسهم بكثرة العمل وكأنهم يدمرون أنفسهم، وبعضهم يمشي في أماكن خطيرة حتى ظهر أن كثيراً من حوادث الدهس تجري لأناس كانوا قد تعرضوا سابقاً للدهس ثم نجوا...

وكانوا يعرضون أنفسهم للخطر، ومثلهم الفتيان الذين يندفعون بدراجاتهم في طرق ضيقة يسابقون السيارات وينطلقون وسط الزحام وبين العربات والحافلات والصبية الصغار. ومن الجائز أن يعذب امرؤ نفسه حين يقع في أزمات انفعالية أو اضطرابية ويود التخلص منها. وقد لوحظ أن حالات تعذيب النفس تكثر قبل الامتحانات أو في أثنائها، وقد يكون كره الذات ناتجاً عن كره السلطة أو القوة الغاشمة التي يعجز الفرد عن مقاومتها.

فيتحول من مقاومتها إلى مقاومة نفسه وتعذيب ذاته.

الخلاصة

· يقوم التخريب عند الأطفال على تدمير الأشياء وإتلافها، وهو في الغالب يكلف الكثير ويؤدي إلى ابتئاس الآباء والأمهات، وقد يكون في التخريب اكتساب المعرفة والخبرة مع سوء تقدير لأثمانها، أو يكون السبب كسب اللذة (كلذة الانتقام) أو البحث اللاشعوري عن إيذاء الذات كتعويض لاشعوري عن الفشل.

أصناف المخربين الصغار

نستخلص مما سبق أن ثمة صنفين من المخربين.

١- صنف بريء يخرب من غير نية الأذى.

٢- صنف ماكر يعتمد التخريب بعد تصميم وتصور.

ولحسن الحظ فإن أطفال الفئة الأولى هم الفئة الغالبة. ويترتب على الأبوين أن يميزا بين الصنفين كي يتمكنوا من التكيف مع أولادهما.

المخرب البريء

ويظهر في أربعة أشكال هي مانسميه:

١- بالكلب المجنون.

٢- القرد الفضولي.

٣- الدب الغليظ.

٤- الثور الصغير (أو العجل).

١- الكلب المجنون

إنه الطفل الذي لا يتعب ولا يمل، يتشمم الأذى هنا وهناك، فهو لا يحترم شيئاً من الأشياء، وكل الأشياء تتساوى عنده: المقتنيات الغالية والساعات وأدوات الزينة، وهو يجب أن يتذوق كل شيء ويمسك بيديه كل ما يرى، وقد لا تنفع معه التنبيهات ولا تغير من اتجاهه، فهذه الزمرة تشجع رغبة التخريب، عن طريق معالجة ألعاب قابلة للتفكيك.

والنصيحة أن يوضع أطفال هذه الزمرة في أماكن خاصة أو زوايا، يمزقون فيها ألعابهم ويبعثونها كما يشاؤون، وننصح الأمهات والآباء أن يرفعوا الأشياء الثمينة التي تكلف كثيراً إذا تناولها التخريب.

٢- القرد الفضولي

ويكون عادة أكبر من الطفل السابق ويكون تخريبه منهجاً ومنظماً، فهو يفكك ساعة تقع بين يديه أو ينتزع أزرار الراديو أو يبعثر أوراق أبيه، ثم يحاول أن يرجع الأشياء التي فككها إلى أصلها. والمهم عند هذا الطفل معرفة تركيب الأشياء، أما إذا أدى ذلك إلى التخريب والإتلاف فهذا أمر غير هام.

ورأي المربين أنه بدلاً من تأنيب هذا الطفل وتقريعه، يترتب علينا أن ننمي فيه ملكة التنظيم فيسعد وهو المتطلع إلى المعرفة بكسب المعرفة، وهكذا يجب أن تقدم إليه الساعات القديمة والألعاب المعطلة، ولنساعده على أن يضم الأجزاء المفككة إلى بعضها ويصنع مايشبه قطع الغيار، وحينما يكبر نقدم له كتباً تشرح تركيب الأشياء وبنيتها.

٣- الدب الغليظ

ويتمثل في الطفل السمج الذي يلمس أي شيء فيفرط بين يديه، إنك تراه يصطدم بكل شيء، ويقلب كل شيء يراه، ويتلف ما يبدو له دون أن يبالي بما صنع.

فلنساعده هذا الطفل بدل توبيخه، وقد يظهر عنده ضعف في البصر إذا عُرض على الطبيب أو ثقل في السمع، وفي الغالب يجب أن يكون متأخراً في النمو، ويتطلب الأمر منا أن نعامله بصبر لاينفد وعطف شديد إلى أن يكتسب فن التعامل مع الأشياء فينمو بذلك.

٤- الثور الصغير

وهو ثور ولكنه صغير نسبة إلى عضلاته المتينة وجسده النامي، إنه يفرض نفسه على الآخرين ويهمه أن يعتني به الآخرون وبأنبائه فإذا وجدت سطح المقاعد في غرف الضيوف ممزقة ورأيتم الأواني الثمينة تداس بالأقدام، وإذا شاهدتم الستائر وقد استعملت كمصاعد أو أحبال الصعود فإن كل هذا دليل واضح يؤكد قوة

عضلات هذا الطفل وشدة بأسه، هؤلاء أطفال ينبغي أن نحميهم من أنفسهم علينا أن نثبت قبالتهم، فلانسحب ولانضعف حين نوجه إليهم التعليمات فلا نجدهم يحققون منها إلا قليلاً.

((قلتُ: لاشجار على طعام))

((لاتقفز فوق مقاعد الصفوف))

((اخلع حذاءك إذا كان متسخاً))

إن طفلاً من النوع الذي ذكرناه يحتاج إلى أن يُنبه ويذكر دوماً من جديد.

وأهم من هذا أن يعطى فرصاً ليصرف الزائد من طاقته، فإذا كان دون السادسة فإن اللعب على (جيميناستيك) يساعده على القفز العالي والعريض. والأثقال تعينه على تصريف مدخراته في تنمية عضلاته، أما إذا كان أكبر من ذلك فإننا ننجح في إرساله إلى ملعب، وقطعاً هو بعد اللعب سيخف أذاه وبعد بذل جهوده الشاقة في الأذى.

هذه زمر أربع للمخربين الأبرياء، وهناك المخربون من أجل التخريب (أي الأذى للأذى) فنصنفهم في صنفين:

١- العصابة.

٢- الذئب الشرس.

العصاة

جميع أحياء المدن الكبرى تعرف شرور العصاة وآثامها، إنها تظهر في زجاج النوافذ الذي تناله الحجارة، وفي أضواء الحدائق العامة. أما السطو على البساتين والمنازل، وأما كسر الأشجار واختلاس الطيبين، وتحويل بحاري المياه وفك مرابط المراكب في الشاطئ، والغزو على المزارع في أوان نضج المشمش أو الجوز. فإن كل ذلك يعبر عن النوايا السيئة ومقدار أذاها.

ورغم كل شيء فالعصاة لا تؤذي أو تخرب لمجرد الأذى للأذى، بل هنالك أسباب تكمن في أمرين:

١- طاقة فائضة لم تجد منطلقاً تنصرف فيه.

٢- ميل إلى التقليد والمحاكاة وسير مع المخربين.

وعلى وجه العموم فإن معظم الفتيان بين العاشرة والخامسة عشرة قد عرفوا بهذا في وقت من الأوقات.

ولا يصعب على المرء أن يحلل هذا التخريب، فالفتى وقد بلغ سناً معينة لا يريد أن يعامل مثلما يعامل الصغار، فهو يشتهي أن يفرض نفسه على من حوله، فيقبلوه ليشاركهم في أعمالهم ويفكر في أدائها ولو بقي وحده.

ولمعالجة الموضوع: يجب أن نميز بين درجتين، ففي الدرجة الاعتيادية يجب أن نذكر الفتى بالقيمة المالية، وبحقوق الناس،

ولانكتفي بهذا بل نأخذ من حصالة الفتى ومن ماله أو أشياءه الخاصة مايعوض عن الأذى والخسائر.

وفي الدرجة الأشد والأخطر يجب على الأبوين أن يعالجا الموضوع جذرياً فيتناولا بالبحث المتعمق أثر الفراغ في تربية ولدهما، ويلجأ إلى الباحث النفسي في المدرسة أو الموجه الاجتماعي، أو يعمدا إلى إدخال الفتى في نادٍ للكشفية أو الرحلات ودجمه بجماعات الخير والأعمال الخيرية ومعونة المنكوبين والمعاقين...

الذئب الشرس

هنا نجد فتىً يجرب من أجل التخريب فيستمتع به، إنه يؤذي عامداً ومتعمداً ويؤذي بعد إصرار ودراسة وتخطيط، وأمثلة ذلك الفتى الذي يضرم النار في الستائر ليُلد برؤية اللهب ورؤية الخائفين يتضرعون إلى من ينجيهم، ومن بينهم الطالب الذي يحطم أثاث المدرسة، والفتى الذي يؤذي الأطفال الصغار فيخطف كتبهم وحلواهم أو يدفعهم إلى الأرض أو الشاطئ ثم يفر ضاحكاً للبلبل الذي يصيب من قذفه إلى الماء، أو للألم الذي تألم منه ساق الطفل أو ساعده، أو لقطع الثلج التي حشاها بالحجارة ورمى بها وجوه الناس وزجاج السيارات.

فهؤلاء فتية تؤكد وجود نقص في نفسياتها وتكوينها النفسي والاجتماعي، وهكذا فإن الواحد من هذه الفئة يأتي الأذى لإثبات شخصيته (للتكوين المعرفة). ولمعالجة هذه الفئة يُلجأ إلى طبيب نفسي أو مختص تربوي، وذلك من أجل الكشف عن العقد النفسية المكبوتة التي تحرّض صاحبها على السلوك الشاذ.

فهذا السلوك الظاهري ليس هاماً وإنما الهام هو الدوافع والإرادة اللاشعورية المحرّضة. (وبالطبع فإنه لاينفع مع هؤلاء إبعاد الأشياء كالكبريت فهذا الحل سطحي ويفيد في الدرجات البسيطة الأولى).

نصائح إلى الآباء

نقدم أولاً بعض النصائح الوقائية حين يجدون أولادهم وقد بدؤوا بالتخريب أو تمرسوا بالتجربة في المراحل الأولى:

١- يجب دراسة الحالة بعناية ودقة لتحليل مدى التخريب ونوعه.

٢- يجب التفتيش عن الدافع الشعوري أو اللاشعوري الذي يكمن خلف التخريب.

٣- يجب دراسة صحة الطفل المخرب، ومعرفة مدى التوازن (الحسي - الحركي) و(الحركي - العقلي) ويجب اللجوء إلى الطبيب الجسمي لتشخيص حالة الغدد ومعالجتها.

- ٤- يجب إتاحة غرف خاصة يلعب فيها الأطفال والفتيان تلهيهم وتملاً فراغ حياتهم.
- ٥- يجب على المسؤولين أن يتوسعوا في إنشاء الحدائق العامة والساحات والملاعب.
- ٦- إذا وجدنا في طفلنا ميلاً إلى التساؤل والاستفهام والفك والتركيب فيجب ألا نستاء من ذلك بل يجب الفرح مع العلم أن الطفل الذي يسأل أو يفكك هو الذكي، والغبي لا يسأل غيره ولا يفكك.
- ٧- وفي كل مرة يكثر فيها أذى أولادنا وتخريبهم يجب أن نسأل أنفسنا عما قدمناه لهم من فرص لتفريغ طاقاتهم الكامنة قبل أن نلومهم ونعاقبهم.
- ٨- أما ميلنا إلى إسكات الصغار وإلى تقييدهم وإلزامهم الهدوء والرضوخ والبقاء ((عاقلين)) في بيوت محدودة فهو ميل شديد الظلم. أما الطفل الذي يستجيب لهذه المطالب ويركن إليها فهو إما أن يكون مريضاً بالفعل أو مستعداً للمرض (الجسمي أو النفسي).
- ٩- علينا أن نتيح لأولادنا فرص النشاط المنتج والألعاب التي نختارها لهم في الأعياد والمناسبات، ويجب أن تكون جميلة وجذابة وملفتة للنظر.
- ويجب أن يكون مانقدمه مثيراً لأعماق النفس ومساعداً على البناء والتصميم مثل الميكانو.
- ١٠- علينا ألا نبالغ فنهدى أولادنا الكثير من الألعاب كما يفعل البسطاء الأغنياء. ذلك لأن الكثرة تؤدي إلى تضائل القيمة:

(وفي المنطق يقولون إذا زاد الشمول نقص التضمن) ولا مجال هنا لتفسير هذ المسألة المنطقية.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ﴾ [الشورى: ٢٧/٤٢].

١١- لما كان التخريب أسهل من البناء، وكان أيسر على المرء أن يتحلل من القواعد ويوغل في الخطأ، من أن يتقيد بالفضيلة وتحمل المسؤولية، فليس غريباً أن نجد فتياناً ناجحين في حياتهم يعمدون (بتأثير صحبة اللاأخلاقين) إلى المساوىء واجتراح السيئات.

ومع ذلك فإذا وجدنا ولداً من أولادنا يمارس هذا التحول (لاسمح الله) فعلينا ألا نبأس فنبداً بإبعاد الصحاب المخربين ثم نشجع أنفسنا لكي نتحمل ونشجع أولادنا كي يقدروا بأنفسهم الخيرات والمساوىء.

١٢- ثم إن لكل سن أخطاءها ومحاسنها وعلينا أن نحسن سلوكنا نحن ونكون نماذج للقدوة الحسنة.

وعلينا أن نشجع أولادنا كي يجالسوا ويجانسوا الطيبين النشيطين من الأخلاقين وأصحاب الدين القويم، وبهذا نتغلب على احتمالات الأذى ونرجح نوازع الخير، وتقوي ونشد في عضد الإحسان؛ فبذلك لانكسب أولادنا فقط بل نساعدهم على أن يكسبوا أنفسهم، ويكسبهم المجتمع وتعلو بصحتهم الهمم وتفتخر القيم.

وإن من الناس أناساً نيرين يضيئون حتى على الشمس.

بعض المراجع

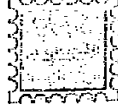
- الطفل السوي وبعض حالات شذوذه: فالتاين، ترجمة: رفاعي مصري عوض.
- من أجل أطفالنا: عدنان السبيعي.
- كيف يعمل العقل: سرل بيرت. ترجمة: محمد خلف الله.
- الحياة النفسية: آدلر. ترجمة: محمد بدران.
- سيكولوجية الطفولة والمراهقة: د. مصطفى فهمي.

HANDICAPPED, BUT NOT DISABLED

The general look at those having physical disability has changed with the advance of the psychological and social studies. Subsequently, notes of focus attracted the attention of scientists resulted in meeting the disabled with a better and more supreme way. The term of "disability" has also been replaced by the term "handicap" so as to indicate such alteration in the situation of the handicapped who have had favorable circumstances to adapt with their handicap today.

The outcome of such studies can be picked in this valuable book, which discusses the psychological situation of the handicapped in various forms of handicap (dumbness, blindness or mental retardation), the difficulties they meet within their entities and how to treat them. The writer concludes his research discussing the naughty child and the circumstances affecting him.

A book every individual in society needs for improving his/her conduct with the handicapped and contributing to evolving their social efficiency.



دار الفكر
للطباعة والتوزيع والنشر



• أسست عام ١٩٥٧م

• رسالتها

- تزويد المجتمع بفكر يضيء له طريق مستقبل أفضل.
- كسر احتكارات المعرفة، وترسيخ ثقافة الحوار.
- تغذية شعلة الفكر بوقود التجديد المستمر.
- مد الجسور المباشرة مع القارئ لتحقيق التفاعل الثقافي.
- احترام حقوق الملكية الفكرية، تشجيعاً للإبداع.

• منهاجها

- تتطلق من التراث جذوراً تؤسس عليها، وتبنى فوقها دون أن تقف عندها، وتطوف حولها.
- تختار منشوراتها بمعايير الإبداع، والعدل، والحاجة، والمستقبل، وتنفيذ التقليد والتكرار ومافات أو انه.
- تعتني بثقافة الكبار، كما تعتني بثقافة أطفالهم.
- تخضع جميع أعمالها لتفقيح علمي وثقافي ولغوي وفق دليل ومنهج خاص بها.
- تعدّ خططها وبرامجها للنشر، وتعلن عنها: شهرياً وفصلياً، وسنوياً، ولأمد أطول.
- تستعين بنخبة من المفكرين إضافة إلى أجهزتها الخاصة للتحضير، والأبحاث، والترجمة.

• خدماتها

- بنك القارئ النهم، ونادي لقراء دار الفكر.
- جائزة سنوية للإبداع الأدبي والدراسات النقدية.
- ريادة في مجال النشر الإلكتروني.
- أول موقع متجدد بالعربية لناشر عربي على الإنترنت للتعريف بإصداراتها ونشاطاتها.

www.fikr.com

- إسهام فعال في موقع (فرات) لخدمات الكتاب وتسويقه على الإنترنت.

www.furat.com

- خدمة المسنقني بإشرافها على موقع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

www.bouti.com

• منشوراتها تجاوزت ١٣٠٠ عنواناً، تغطي سائر فروع المعرفة.

دمشق - سورية - ص.ب: ٩٦٢
هاتف: ٢٢١١١٦٦ - فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
e-mail: fikr@fikr.com - http://www.fikr.com

دار الفكر
للطباعة والتوزيع والنشر

To: www.al-mostafa.com